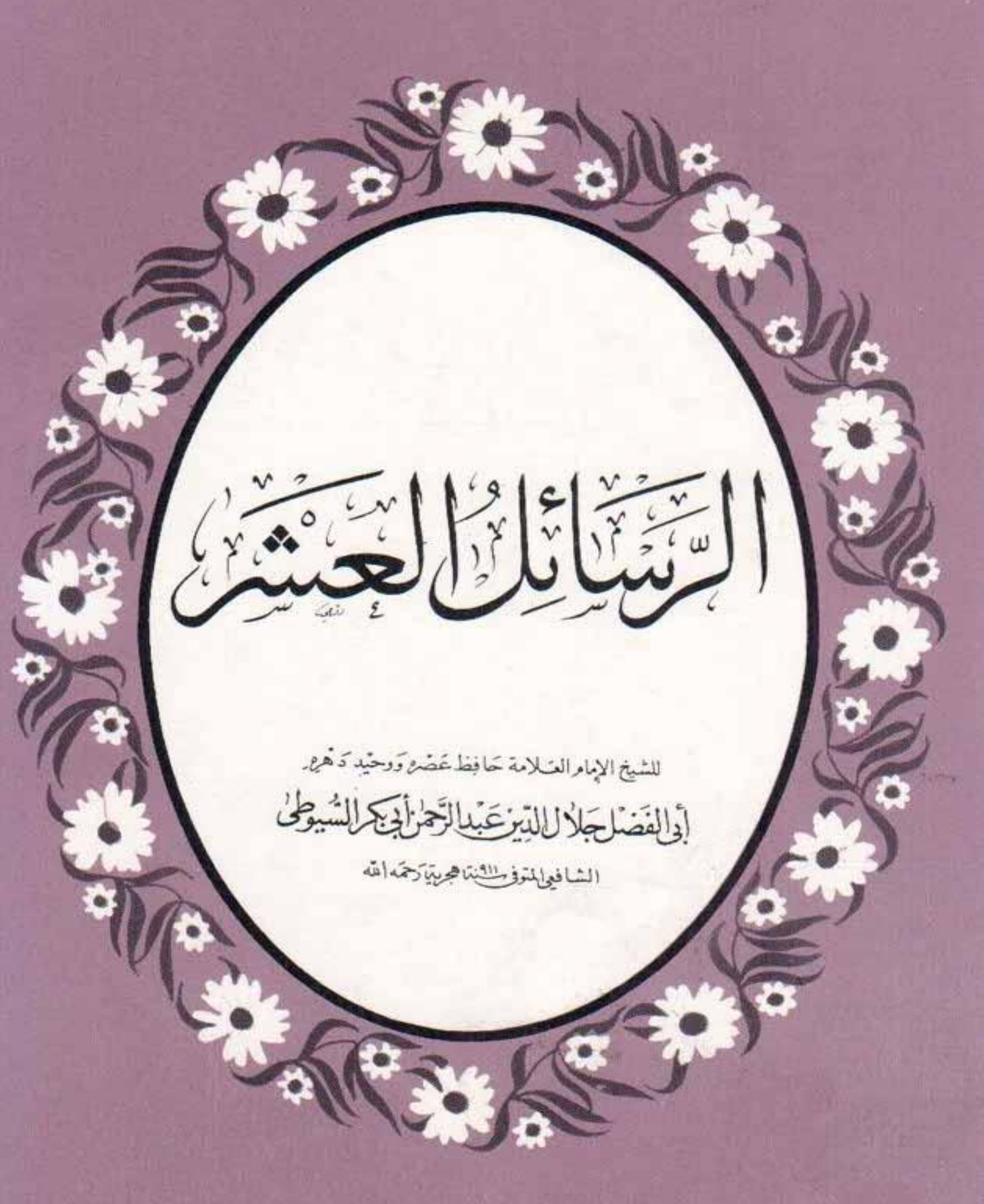


دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣


الرسائل العشر

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقامة السندسية في النسبة المصطفوية

الحمد لله وكفى. وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد فهذا مصنف شريف، مؤلف جليل منيف. للشيخ الإمام العالم العلامة، العمدة الفهامة، وحيد دهره، فريد عصره، جامع أشتات الفضائل، حاوي عقود جواهر الأواخر والأوائل؛ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام والحبر الهمام كمال الدين أبي بكر السيوطي[1] الشافعي - تغمدهما الله برحمته، وأسكنهما بحبوحة جنته - يشتمل على إظهار ما خفي من الدلائل والبراهين على إسلام أبوي المصطفى، وسماه المقامة السُندسُية[2] في النسبة المصطفوية قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لقد جاءكم رسـول من أنفسكم عزيـز عليه مـا عنتم[3] حريص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[4]. نبي سري[5] قـدوة عليّ، وبرهـانه جلي، خيـر الخليقة أماً وأباً، وأزكاهم حسباً ونسباً، خلق الله لأجله الكونين، وأقرّ بـه من كل مؤمن العينين، وجعله نبي الأنبياء وآدم منجدل في طينته[6]، وكتب اسمه على

(١) أسيوط بضم الألف وفتحها عند عوام الناس مدينة مصرية في الصعيد.

(٢) نسبة إلى السندس، وهو نوع من نسيج الحرير أو الديباج.

(٣) من عنت عنتا: وقع في أمر شاق. لقي الشدة وهلك.

(٤) التوبة الآية: ١٢٨.

(٥) السري: صاحب المروءة في شرف أو السخاء في مروءة.

(٦) ملقي على الأرض الصلبة في أول خلقته.

العرش إعلاماً بمرتبته عنده وفضيلته، وتوسل به آدم فتاب عليه، وأخبره أنه لولاه ما خلقه وناهيك بها مزية لديه!

نبي خص بالتقديم قدماً ... وآدم بعد في طين وماء
كريم بالحياه من راحتيه ... يجود وفي المحيا[1] بالحياء

ومن خصائصه فيما ذكر الغزالي وغيره أن الله ملكه الجنة، وأذن له أن يقطع منها من يشاء ما يشاء وأعظم بذلك منة، وخصه بطهارة النسب تعظيماً لشأنه، وحفظ آبائه من الدنس تتميماً لبرهانه، وجعل كل أصل من أصوله خير أهل زمانه: كما قال في حديث البخاري الذي نقطع بصدوره من فيه:

بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه.

وقال عليه السلام: أنا أنفسكم نسباً، وصهراً وحسباً، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً. وأجدر بقول صاحب البردة، أن يكون له في عرصات القيامة عدة:

وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العُلى بحلاه ... قلدتها نجومها الجوزاء[2]
حبذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة[3] العصماء

وينظم في سلك هذه الدرر، قول حافظ العصر، أبي الفضل ابن حجر:

نبي الهدى المختار من آل هاشم ... فعن فخرهم فليقصر المتطاول
تنقل في أصلاب قوم تشرفوا ... به مثل ما للبدر تلك المنازل

وقد ورد أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي

(١) الوجه.

(٢) الجوزاء: نجم، يقال إنه يعترض في جوز السماء أي وسطه. والجوزاء من بروج السماء.

(٣) اليتيمة: الثمينة التي لا نظير لها.

عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه عليهم الصلاة والسلام، ثم ألقى ذلك النور في صلب آدم وهو الدرة الفاخرة، قال: ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة؛ ويشهد لذلك بالاستيناس، ما أنشده إياه عمه العباس ـ رضي الله عنه:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق[1]
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسراً[2] وأهله الغرق
تنقل من صالب[3] إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق[4]
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

وأخذ الميثاق على النبيين أن جاءهم أن يؤمنوا به وينصروه، ولو أدركوه لما وسعهم إلا أن يتبعوه ويعزروه ويوقروه، وأرسله إلى جميع الخلق كافة، من الإنس والجن والملائكة الصافة.

قال البارزي: وأدخل في دعوته الحيوانات والجمادات والحجر والشجر، وقال السبكي: هو مرسل إلى كل من تقدم من الأمم وغبر، قال: فجميع الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ومشمولون برسالته ونبوته، ولذلك يأتي عيسى ـ عليه السلام ـ

---

(١) أي في الجنة حيث خصف آدم وحواء عليهما السلام من ورق الجنة.

(٢) نسر: صنم من أصنام قوم نوح عليه السلام، وقد تدخل عليه الألف واللام، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾.

(٣) الصالب: عظم في الظهر ذو فقار يمتد من الكاهل إلى العجب، أو أسفل الظهر.

(٤) النطق جمع نطاق وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض أي نواح وأوساط منها، شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس، ضربه مثلاً له في ارتفاعه، وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال، وأراد ببيته شرفه، أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف.

في آخر الزمان على شريعته، فجميع الشرائع التي جاءت بها الأنبياء شرائعه ومنسوبة إليه، فهو نبي الأنبياء وماجاؤوابه إلى أممهم أحكامه في الأزمنة المتقدمة عليه. هكذا قرره ذلك الإمام الحبر الذي لا تكاد تسمح الأعصار له بنظير، وأفرد له تأليفاً مستقلاً حقه أن يرقم على السندس بالنضير[1]، ويوافقه من النظم النضيري، قول الشرف البوصيري:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها	يظهرن أنوارها للناس في الظلم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفون لديه عند حدهم	من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وأجرى على يديه من المعجزات ألوفاً جملة، وآتاه من الخصائص ما لم يؤته نبياً قبله؛ وكان مما نسب من المعجزات والخصائص إليه، إحياؤه حتى آمنا به أبويه؛ وما زال كلام أهل العلم والحديث، في القديم والحديث؛ يروون هذا الخبر وبه يسرون، وينشرونه بين الناس ولا يسرون؛ ويجعلونه في عداد الخصائص والمعجزات، ويدخلونه في حيز المناقب والمكرمات؛ ويرون أن ضعف إسناده في هذا المقام مغتفر، وأن إيراد ما ضعف في الفضائل والمناقب معتبر؛ وقد خرّجت الأئمة في أبواب المناقب ما هو أشد ضعفاً من هذا، وتسامحوا فيها بإيراد ما لم يصل إلى رتبته ولا حاذى؛ ووجهوه بأنواع من التوجيه، وارتضوه لما فيه من التبرئة والتنزيه.

فقال القرطبي: إن فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى إلى حين مماته، وتتابع إلى وقت وفاته؛ فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه فضلاً، وليس إحياؤهما بممتنع شرعاً ولا عقلاً.

وقال ابن سيد الناس: ذكر بعض أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) النضير: الذهب والفضة. وقد غلب على الذهب.

وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية، صاعداً في الدرجات العلية؛ إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه، وأزلفه بما خصه به لديه، من الكرامة حين القدوم عليه؛ فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له بعد أن لم تكن، وأن الإحياء والإيمان متأخر عن تلك الأحاديث فلا تعارض.

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وبعض الأساطين أيده وشيده، وأكده وأطده[1]، وقواه وشدده، ومهد طريقه وسدده؛ بأنه وافق القاعدة التي اتفقت عليها الأمة كلها، أنه لم يؤت نبي معجزة أو خصيصة إلا وقع لنبينا مثلها؛ وقد أوتي عيسى - عليه السلام - إحياء الموتى من القبور، فلا بد أن يكون له نظيره وليس إلا هذه القصة في ما اشتهر من المأثور؛ وإن كان وقع له من هذا النمط نطق الذراع، وحنين الخشبة من الأجذاع؛ فإن قصة الأبوين أقرب إلى المماثلة، وأنسب بالمشاكلة؛ ومن الأصول المحررة، أن الحديث الضعيف يتقوى بموافقة القاعدة المقررة.

وذهب المحققون في شأنهما إلى ما هو أقوى مدركاً، وأصح مسلكاً؛ وهو أن حكمهما حكم من لم تبلغه الدعوة من أهل الفترة، إذ لم يثبت أنهما دعيا وعاندا وكل مولود يولد على الفطرة؛ مع ضميمة أنهما قبضا في أوان الشباب، ولم يبلغا سن من بلغ الأحقاب[2]؛ فلم يسع عمرهما الوقوف على الأخبار بالإخبار من الأحبار، والفحص عنها إلى الأسفار بالأسفار إلى حملة الأسفار.

وقد ورد في أهل الفترة أحاديث صحاح وحسان، بأنهم موقوفون للامتحان،

---

(١) قواه وثبته.

(٢) الحقب: وهي السنون، والحقب بضمتين: الدهر، وجمعه أحقاب.

بين يدي الملك الديان، فمن سبقت له السعادة أطاع ودخل الجنان، ومن سبقت له الشقاوة عصى وأدخل النيران؛ ومن هنا نشأت قاعدة من لم تبلغه الدعوة، فأطبق على نجاته من له بمذهب الإمامين الشافعي والأشعري قدوة[1].

وأجابوا عن الأحاديث التي بعضها في صحيح مسلم، بأنها منسوخة بالأدلة التي بنوا عليها قاعدة شكر المنعم؛ وقد أوردوا على ذلك من التنزيل أصولاً:

منها قوله تعالى: ﴿**وماكنامعذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[2].

وقال تعالى في بيان أنه لا يعاقب أحد قبل البعثة ولا يجزي: ﴿**ولو انا أهلكنٰهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك من قبل أن نذل ونخزى**﴾[3].

وقال تعالى في سورة طسٓمٓ ﴿**تلك آيٰت الكتٰب المبين**﴾ ﴿**ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك ونكون من المؤمنين**﴾[4].

وقال تعالى في هذه السورة وبه استدل العالمون: ﴿**وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آيٰتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظٰلمون**﴾[5].

وقال تعالى في عدم تكليف الغافل وبه قال الناقلون: ﴿**ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غٰفلون**﴾[6].

وقال تعالى في هذه السورة وهو أصدق القائلين: ﴿**إن تقولوا إنما أنزل**

---

(١) قدوه: أي أسوة.
(٢) الإسراء الآية: ١٥.
(٣) طه الآية: ١٣٤.
(٤) القصص الآية: ٤٧.
(٥) القصص الآية: ٥٩.
(٦) الأنعام الآية: ١٣١.

الكتب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغفلين﴾[1].

وقال تعالى في سورة الشعراء تنبيهاً للعالمين: ﴿**وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون، ذكرى وما كنا ظلمين**﴾[2].

وقال تعالى قطعاً لعذر الكفار حيث لا يجدون في النار من نصير: ﴿**وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صلحاً غير الذي كنا نعمل، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**﴾[3].

وبالجملة فهذه القاعدة مقطوع بها عندنا في الفقه والأصول، مستغنية لشهرتها عن أن يورد فيها شيء من النقول؛ ونظير هذا نسخ تعذيب أطفال المشركين بما هو أحرى، وهو قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[4].

وعلى هذا التخريج يحمل ما لوح به حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم المقام المحمود؛ فلوح بأنه يرتجي لهما في ذلك المقام الشفاعة، وليست إلا في التوفيق عند الامتحان للطاعة؛ وعلى ذلك يحمل حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فيما رواه تمام في فوائده المروية: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية، والمراد أخوه من الرضاعة وهو ابن حليمة السعدية.

وقد تأوله المحب الطبري في حق عمه على أنها شفاعة في التخفيف كما في مسلم، ولا بد من هذا التأويل في حقه لأنه أدرك البعثة ولم يسلم؛ وسلك الإمام فخر الدين الرازي مسلكاً آخر في غاية التبجيل والتعظيم، فقال: إنهما لم

---

(١) الأنعام الآية: ١٥٦.

(٢) الشعراء الآية: ٢٠٨.

(٣) فاطر الآية: ٣٧.

(٤) الأنعام الآية: ١٦٤.

يكونا مشركين بل كانا على التوحيد وملة إبراهيم ـ عليه السلام؛ وزاد أن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم ـ عليه السلام ـ كذلك، سالكون من التوحيد في أقوم المسالك.

واستدل بما في التنزيل الذي هو قوة عين العابدين، ﴿**الذي يراك حين تقوم وتقلبك في السٰجدين**﴾[1]، وبقوله تعالى ﴿**إنما المشركون نجس**﴾[2] فذلك صفة الكافرين؛ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين».

وقد استقريت أحوال أجداد سيد بني قصي، فوجدتهم مؤمنين متقين من آدم ـ عليه السلام ـ إلى مرة بن كعب بن لؤي؛ إلا أنه يستثنى منهم آزر إن كان والد إبراهيم ـ عليه السلام؛ وإن كان عمه كما رجحه الإمام وقال به جماعة من السلف فالأمر على التعميم.

وقد صحت الآثار الواردة بأنه لم يكن بين آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ نسمة جاحدة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة**[3]﴾.

وفي التنزيل حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ داعياً مؤمناً، ﴿**رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً**﴾[4]؛ وسام بن نوح قيل: إنه نبي وولده أرفجشد صديق، وقد أدرك جده نوحاً ودعا له، وكان في خدمته نعم الرفيق.

وفي طبقات ابن سعد أن الناس من عهد نوح لم يزالوا ببابل[5] وهم على

---

(١) الشعراء الآية: ١٢٩.

(٢) التوبة الآية: ٢٨.

(٣) البقرة الآية: ٢١٣.

(٤) نوح الآية: ٢٨.

(٥) بابل ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر، والمفسرون قالوا: بابل: العراق، وقيل: بابل دنباوند، وقال أبو الحسن: بابل الكوفة؛ ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام وهو أول من عمرها.

الإسلام، إلى أن ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان فدعاهم إلى عبادة الأصنام؛ وأما العرب فصحت الأحاديث في البخاري وغيره ولكل راوٍ واعي، بأنه لم يكن منهم أحد مشرك من عهد إبراهيم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي؛ فهو أول من عبد الأصنام، وغيَّر دين أبراهام؛ ورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذلك يجرّ قصبه[1] في النار، قد نص العلماء على هذه الجملة وروتها الحملة في عدة من الأخبار.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو جدير بأن يجد له في السير، قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فلا تذكروهم إلا بخير.

وفي الروض الآنف حديث: لا تسبوا الياس ـ عليه السلام! فإنه كان مؤمناً، وناهيك به بياناً.

وفي دلائل النبوة لأبي نعيم أن كعب بن لؤي أوصى ولده بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان ينشد إعلاناً:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وأما كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم، فلم أظفر فيهم في واحد من الجانبين بنقل جازم.

وأما عبد المطلب ففيه خلاف، والأشبه أنه من أهل الفترة، وممن لم تبلغه الدعوة كرة؛ وقد استشهد أولئك القبيل، بقوله في قصة أصحاب الفيل:

لا هم[2] أن المرأ يمنع رحله فامنع حلالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

(١) والقصب ـ بالضم: أقصاب، وقيل: القصب: اسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن منها.

(٢) لعلها كما وردت في الخصائص الكبرى: اللهم.

وقد استدل مجاهد وسفيان بن عيينة على استمرار التوحيد في ذرية أبراهام، بقوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾[1].

وصح في تفسير ابن المنذر عن ابن جريج وهو العالم الأواه، في قوله تعالى: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي**﴾[2]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ناس على الفترة يعبدون الله.

وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وقتادة بسند نعتمده، في قوله تعالى ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾[3] قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

وما أحسن قول الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نوراً عظيماً … تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً … إلى أن جاء خير المرسلينا

هذه خلاصة النقول والأدلة، وهي بدور مسفرة لا نجوم أو أهلة؛ شرحت صدور الأصحاب، وأشرقت إشراق الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب: فمن أم لها وتأملها، وألقى فكره لها ومالها؛ ونظر إليها منصفاً، وضح له منها ما خفي: ومن قوي عنده غير ذلك، وترجح في نظره ما هنالك؛ فدونه وما شاء دون إنكار، فليس في الاختيار ولاية إجبار، فإن كان ممن إذا نظر في الأدلة ما زها وما زها، وإذا قام قومة الرجال ما سها وما سها، فليختر لنفسه أي قول! وليركب في ترجيحه كل هول! ولينفق في نصرته من سعة ذات يده إن كان ذا طول! وإن قصر باعه، وانحصر اطلاعه؛ فمد لسانه إلى البذا، وتناول بالشتم والأذى؛ فإنا لله ولا حول، ولا قوة إلا بذي الطول؛ وإن رام بزعمه أن أرجع عما اخترته فلو قطعت إرباً إرباً ما

---

(1) إبراهيم الآية: ٣٥.
(2) إبراهيم الآية: ٤٠.
(3) الزخرف: ٢٨.

رجعت، ولم أقصد سوى أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت؛ ولقد وصل إليّ عن رجل من أهل الحديث، وممن سعى فيه طول عمره السعي الحثيث؛ أنه ذكر له ما قلته فصاح، وأعرض بوجهه وأشاح[1]؛ وأجرى من فمه سيلاً، وجر من لسانه ذيلاً، وكسا وجه الصباح ليلاً؛ وكاد يطير مع بنات النعش[2]، وحاص حيصة حمر الوحش؛ ثم زأر وشزر[3] في النظر، وكلح بوجهه وبسر[4]، وقال فحشا وهجر، وهذى في منطقه وهذر، وصرح بأنهما ـ نعوذ بالله! من أهل سقر.

وذكر أنه نزل فيهما من القرآن العظيم ﴿**ولا تسئل عن أصحٰب الجحيم**﴾[5] فقلت للناقل: لم لا لجأت إلى وزر! وهل لا ألقمت فاه من كلام شيخه وهو الركن المشيد بحجر! وأطفأت النار التي أوقدها من زفر بزفر من زفر[6]. وعلمت أنه يضرب في حديد بارد إذا ضربنا نحن في ذهب ذائب ويرمى عن وتر منقطع إذا فوقنا[7] نحن كل سهم صائب؛ ولو أنه اقتصر على ذكر المنقول من غير سفه لم يكن عليه من بأس، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس؛ أفرحاً بالعلو، أم تجاوزاً إلى حد الغلو! أم إعظاماً لنفسه واستكباراً، واحتقاراً لغيره واستصغاراً! أم استجاشة على مثلي واستنصاراً! أأتقن قاعدة شكر المنعم التي مبنى هذه المسألة عليها، أأحكم قاعدة التحسين والتقبيح التي مرد هذه القاعدة إليها! أعرف حكم الغافل من حيث التكليف، أدري حكم الأفعال قبل البعثة هل توصف بالتشديد أو التخفيف! أعلم فن الأصول، وقواعد الاستدلال والترجيح عند تعارض النقول!.

---

(١) أشاح عنه وجهه: أعرض متكرهاً.

(٢) بنات نعش الكبرى: سبعة كواكب تشاهدها جهة القطب الشمالي وبقربها سبعة أخرى تسمى بنات نعش الصغرى.

(٣) شزر الرجل وإليه: نظر إليه بجانب عينه مع إعراض أو غضب.

(٤) بسر: قطب وجهه فهو باسر.

(٥) البقرة الآية: ١١٩.

(٦) زفر الرجل زفراً وزفيراً: أخرج نفسه مع مده إياه. وزفر إذا استقى فحمل. وزفر الحمار: أخذ في النهيق. وزفرت النار: سمع صوت توقدها.

والفوق بالنسبة للسهم ـ بالضم: مشق رأس السهم حيث يقع.

لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

أنسى ما بدا منه من برهة في مسألة رؤية الأنبياء يقظة، وما أنكره عليّ من إفتائي بإمكانها كما نص عليه الأئمة والحفظة! فبادر بقوله: إن ذلك مستحيل، وأخذ يغبر في الوجه الجميل، ويفرح بكثرة القال والقيل؛ وما شعر أن هذا القول يؤل إلا لمن يعذر بجهله إلى كفره، وينبىء تعالى الله علواً كبيراً عن استقصار لقدره.

ثم لما شددت عليه النكير، وبلغه أن ذلك يلزم منه ـ والعياذ بالله! التكفير؛ بدّل قوله وحوّل، وقال: إنما أنكرت دعوى الإجماع وتأول، فكان قوله الثاني أشد سوءاً من قوله الأول؛ لأن صلاحية القدرة للممكنات لا يختلف فيها اثنان ولا تتجزى، ومن لا يميز بين الجائز والمستحيل فسكوته عن الإنكار أحرى وتصديه له أخزى: وقد قلت في تلك الواقعة:

رؤية الأنبياء بعد الممات   أدخلوها في حيز الممكنات

قل لمن قال إنه مستحيل   أترك الخوض عنك في الغمرات

أنت لا تعرف المحال ولا الممكن   لا ما بالغير أو بالذات

فاحترز أن تزل زلة كفر   وتوق مواقع الزلات

ونعود إلى ما نحن فيه ليت شعري ما الذي أنكره عليّ، وفوق[1] بسببه سهامه إليّ، أترجيح جانب النجاة أما لي فيه من سلف صالح! أما تقدمني إليه من أئمة كل منهم لو وزن بالجبال فهو عليها راجح! فإن اعتذر بعدم الوقوف كان عذره جلياً، أو بالنسيان فقد خلق الإنسان نسياً!

وما سمي الإنسان إلا لنسيه   ولا القلب إلا أنه يتقلب

وهل يستبعد على من أنجى الله به الثقلين، أن ينجي به الأبوين!

---

(١) فوّق هنا: بمعنى صوّب.

فإن استبعد هو ذلك فليست الشدة عندي بأرجح من الرخاء، وإن استكثر ذلك فإنه لبخيل حيث شح بأجمل الأمرين وهو السخاء؛

شح السخاوي بالإنجاء يـذكره عن والدي سيد الأنبياء والأمم
إن عز أن يبلغ البحر الخضم روى يـا ليته يستقي من وابل الديم

أم ظن أني أقدمت على الترجيح لا لمستند، أو لمجرد التشهي من غير دليل معتمد! معاذ الله! بل لما قام عندي من أدلة قاطمـة ساطعـة، ناصعـة، لامعة، جامعة، مانعة، هامعة رائعة، صادعة قامعة، بارعة باقعة، جازمـة لازمة، مثبتـة هازمة، صحيحة صريحة، متعبة مريحة، حاصرة فسيحـة، تامـة عاملة، كـاملة شاملة، كافلة حافلة، تجزم ولا تجزم، وتهزم أن شاء الله تعالى ولا تُهزم؛ كما قيل:

أتمسي القوافي تحت غير لوائنا ونـحن عـلى قـوالهـا أمـراء

أم أنكر عليّ السكوت عن القول الآخر ورام منـي أن أجريه على الألسنة! فيا سبحان الله! مـالي ولحكايتـه أنائم أنـا أم في سنة[1]! أمـا أكون من الـذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه! أما يحق لي أن أضرب بيني وبينه بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب!

أما أوّلاً فلأن العلماء أرشدوا في مثل هذا إلى الصمت، وعدوه من حسن الأدب والهدى والسمت، وأمّا ثانياً فلأن السائل عن ذلك ممن يقر المعاد ويستطرد في الكلام، ويحضر مجلسه النساء والعوام، ومن هم بعيدو الأفهـام، ومن هم حديثو عهد بالإسلام، أفأكون سبباً في وصول ذلك إلى أسماعهم، ووسيلة إلى تحدثهم به مع نقـص أفهامهم وجفاء طباعهم؛ كلا، والله! لكل مقام مقال، وما كل ما يعلم يقال.

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان عن بعض السلف قال: من كان عقله

(١) سنة: نعاس.

أصغر من علمه قتله علمه، ومن تكلم هدر دمه وكثر ذمه، ثم يا ليت شعري أيّ غرض لي في ذلك! أيتعلق به أصل من أصول الدين يخشى من السكوت عنه ضياع أو زلل، أم عبادة فيحصل بالصمت عنه فساد فيها أو خلل؛ أم عقد مالي فيؤدي إلى اختلاله، أم نكاح فرج فيفضي إلى استحلاله؛ أم دم يخاف من كتمه أن يسفك، أم عرض يحذر من ستره أن يهتك! كلا، بل الأدب مطلوب، والصمت عن كثير من الأشياء واجب أو مندوب.

ترك الأمور التي تخشى عواقبها في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وأمّا احتجاج المنكر في هذا المقام العظيم، بأنه نزل فيهما **﴿ولا تسئل عن أصحٰب الجحيم﴾**(1).

فنقول: قد تقرر في علوم الحديث أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع، لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل الإسناد لا ضعيف ولا مقطوع؛ وهذا السبب لا يعرف له في الدنيا إسناد صحيح متصل يذكره، والمنكر يعرف ذلك ويعترف به إذا عرض عليه ولا ينكره؛ فإن احتج في التعذيب بضعيف، فأحاديث النجاة مع كونها أمثل منه أولى بالقبول، وإن تشبث في النيران بهذا المقطوع فهلا تشبث في الجنان بذاك الموصول؛ مع ما ينضم إلى ذلك من حيث بلاغة الخطاب، إن الآيات من قبل ومن بعد كلها في أهل الكتاب، من قوله تعالى: **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾**(2) أولاً، إلى قوله: **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾**(3). المتلوة بقوله: **﴿وإذ ابتلى)**، ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت، وكرر نداء بني إسرائيل إيذاناً بالختم لطولها حين تقررت، فدل على أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، الحائدون عن الإنابة والمثاب.

---

(1) البقرة الآية: ١١٩.
(2) البقرة الآية: ٤٠.
(3) البقرة الآية: ١٢٤.

ويؤكد ذلك أن السورة مدنية، خوطب فيها من بني إسرائيل الذرية؛ وأكثر ما خوطب فيها اليهود، الناقضون ما في التوراة من العهود، ويشهد من المنقول ما أخرجه الفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد أحد أئمة التنزيل، قال من أربعين آية من سورة البقرة إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل.

ويرشح ذلك من المناسبة اللفظية والمعنوية، أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار المروية.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك أحد التابعين الأبرار، في قوله تعالى: **﴿أصحٰبُ الجحيم﴾**، قال: الجحيم ما عظم من النار.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: **﴿لها سبعة أبواب﴾**[1]، قال أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، قال: والجحيم فيها أبو جهل الحواب[2]؛ فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره، واشتد وزره؛ وعاند عن علم ويقين، وبدل ما عنده من آيات الكتاب المبين، وجحد ما يعلمه وأنكر، وحرف ما في التوراة وغير؛ وكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رسالته، وهو مأمور في كتابه، بتصديقه واتباعه وطاعته، ولا يليق ذلك بأهل فترة لا علم عندهم ولا كتاب، ولا عناد ولا تبديل لشيء من الخطاب؛ فإن هذه الدركة ليست لهذا القبيل، خصوصاً من هو من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بسبيل أيِّ سبيل.

وقد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً، لما حازه به من بره وقرابته اقتراباً؛ هذا مع امتداد عمره، وامتناعه من طاعة أمره؛ فما ظنك بأبويه الذين هما أشد قرباً، وآكد حباً، وأقصر عمراً، وأبسط عذراً؛ فمعاذ الله! أن يكونا في طبقة الجحيم، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم! هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم.

---

(١) الحجر الآية: ٤٤.

(٢) كثير الذنوب.

وأما قول المنكر أنه وردت أحـاديث كثيرة في عـذابهما فقـد وقفت عليها بأسرها، وبالغت في جمعها وحصرها؛ وأكثرها ما بين ضعيف ومعلول، والصحيح منها منسوخ بما تقدم من النقول. أو معارض فيطلب الترجيح على ما تقرر في الأصول.

وقد أتى بعض أئمة المالكية بجواب ساطع، فقال: هـذه أخبار أحـاد لا تعارض القاطع، وليت شعري! ماذ يقول المنكر في أطفال المشـركين، والخبر بأنهم في النار متين مبين! فإن قال بمقتضاه فقد أكبر القول، وأعظم الهول، وإن قال بقول الناس، ورفع عنهم البأس؛ فقد سلم العدول عن الأخبـار الواردة بأنهم في النار، وليس إلا لكونها من المنسوخ، عند أهل التحقيق والـرسوخ، وذلـك بالشفاعة الواقعـة من المصطفى صلى الله عليـه وآله وسلم فيهم، حيث قـال: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم». وقد وقع الناسخ للأطفال ومن لم تبلغهم الدعوة مقترنين نزولاً، في قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[1] ﴿**ومـا كنـا معـذبين حتى نبعث رسـولاً**﴾[2]؛ فـالجملة الأولى نسخت تعـذيب الأطفال، والثانية نسخت أخبار التعذيب قبل الإرسال، فانظر إلى هذه الأسـرار المودعة في نظم القرآن، والمناسبات المبدعة في ترتيب الفرقان!

قل للسخاوي إن تعروك مشكلة　　　علمي كبحر من الأمواج ملتطم

فإن قال قد تقدمت دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ قلنا: لم يثبت أنها وصلت إليهما، ولا وجد من يخبرهما بها ويكشف أمرها لديهما؛ ولو كان تقدم ذلك يمنع ما تقرر، لم يوجد في الدنيا أهل فترة في زمان محرر، فإن الأنبياء قبل عيسى ـ عليه السلام ـ مبعوثون في أقطار العالم، وما من فترة متقدمة إلا وقبلها نبي إلى آدم ـ عليه السلام ـ وليس قبل آدم بشر يتعلق بهم أحكام، من كفر أو إسلام، أو حلال أو حرام.

---

(١) الأنعام الآية: ١٦٤.

(٢) الإسراء الآية: ١٥.

فإن اعتبرنا تقدم بعثة ما وإن لم تصل إليهم، استحالت أحاديث أهل الفترة إذ لم يوجد بهذا الوصف قوم يحكم بها عليهم؛ ولا شك أن ألفاظ الحديث صريحة، ومبانيها فصيحة؛ في أن المراد بأهل الفترة من كان بعد دثور[1] شريعة عيسى - عليه السلام - وقبل بعثة نبينا السراج المنير، وهو ظاهر من قوله تعالى: **﴿يأهل الكتٰب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾**[2].

وقال المفسرون رأي العين، الفترة ما بين النبيين، وقال ابن جرير في هذه الآية القول الحسن، الفترة انقطاع الرسل بعد مجيئهم من فتر الأمر إذا هدأ وسكن.

وقال الجوهري في الصحاح قولاً أبانه، الفترة ما بين الرسولين من رسل الله سبحانه؛ فلا تكون فترة حتى يتقدمها دعوة رسول، ثم يتمادى الزمان فيدثر أمرها ويطول؛ ولفظ حديث الحاكم وهو على شرط الشيخين صحيح الإسناد، إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، ثم ذكر بقية الحديث في الإمتحان وهو صريح في المراد.

وقد نص إمامنا الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو بعد البعثة بمائتين من السنين، على أن في زمانه من لم تبلغه الدعوة وهم قوم وراء الصين، فإذا وجد من لم تبلغه الدعوة بعد بعثة نبينا بمائتي سنة والإسلام ظاهر والدين وافر، فما ظنك بزمن الجاهلية التي عم فيها الكفر والجهل طبق الأرض وغلب فيها كل كافر! وبالجملة فالمدار على بلوغ الدعوة وعدمه فمن لم تبلغه فهو ناج سواء كان قبل البعثة المحمدية أو بعدها، ومن كان في زمن الفترة وبلغته فهو في النار إذا أصر على العناد وردها.

وهذا القسم الأخير محل إجماع، ليس فيه بين أحد من الخلق نزاع، وهو

---

(١) دثر: محى.

(٢) المائدة الآية: ١٩.

الذي أشار إليه النووي في شرح مسلم، فمن عذره الله ورسوله فهو المعذور ومن يهن الله فما له من مكرم.

وقد ذكر الأبي[1] في شرح مسلم هذه المسألة فأطنب فيها وأتقن وأحكم، وقال: أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: ثم أهل الفترة فيما ذكر عقيل بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ثلاثة أقسام:

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته سواء لم يدخل في شريعة كزيد بن عمرو بن نفيل، أم دخل في شريعة عيسى عليه السلام.

والثاني: من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله تاركاً جميعه، قال: وفي الجاهلية من كان كذلك وهو أهل الفترة حقيقة، قال: وهم غير معذبين للقطع كما قررنا طريقه.

والثالث: من أشرك ولم يوحد وبدّل وغير، وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الأكثر؛ قال: وعلى هذا القسم يحمل من صح تعذيبه، أو يجاب بأنها أخبار آحاد لا تعارض القاطع كما تقدم تقريره وتهذيبه؛ وزاد بعض من تأخر من أهل العلم، أنه يجب إخراج الأبوين الشريفين من هذا القسم.

وقد وردت آثار أخر يستأنس بها في هذا المقام، وإن لم تكن نصاً في المرام.

كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

---

(١) عرّف به صاحب كشف الظنون بأنه: الإمام أبو عبدالله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المكي مات سنة ٨٢٧ هـ.

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[1]، قال: من رضي محمد عليه الصلاة والسلام أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وبهذا العموم يقضي.

وما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة[2] وغيره من حديث عمران بن حصين مرفوع المسالك، وسألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك؛ وعموم اللفظ وإن طرقه الاحتمال معتبر، وتوجيهه ما أشرنا إليه في الأوائل المقامة قبيل حديث ابن عمر.

ولهذا قال حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر، قولاً جامعاً بين مراعاة الأصول والأثر، الظن بآله كلهم من أهل الفترة أن يطيعوا عند الامتحان، لتقر بهم عينه صلى الله عليه وآله وسلم في الجنان، ولو كنا نحب إيراد الأحاديث الواهيات كبعض من سلك، لأوردنا حديث أوحى الله إليّ أني حرمت النار على صُلب أنزلك وبطن حملك؛ لكني لا أحتج بمثل هذا، ولا استمطر منه وابلاً ولا زذاذاً[3]، فإن في الأدلة القوية غنى عن واه فيه تكلم، ومهما طلع البدر استغني عن النجوم، وإذا حضر الماء بطل التيمم، والذي نقوله في أخينا هذا المنكر أنه غير مدفوع عن علم بالحديث ودين، وما هو عن درجة الحفظ من المبعدين، غير أنا كرهنا منه إطلاق اللسان، والتغيير في وجوه المعاني الحسان، أما ورد الحث على طيب الكلام وحفظ الألسنة! ولا تستوي السيئة ولا الحسنة؛ جعلنا الله وإياه من العلماء العاملين، ونزع ما في صدورنا من غل وجمعنا في الجنة إخواناً على سرر متقابلين.

وقد أنشأت هذه المقامة وسميتها المقامة السُندُسية، وخدمت بها النسبة الشريفة المصطفوية الطاهرة القدسية، ولي برهة منذ تركت الدخول في شيء من هذه الأمور غير محصورة، ولكني لم يسعني التخلف عن هذه القضية فجعلتها

---

(١) الضحى الآية: ٥.

(٢) أحد كتب علم الحديث.

(٣) الرذاذ: المطر الخفيف.

كالمستثناة للضرورة، وقد رجوت لها الفوز بجنات النعيم، وتوصلت إلى مرضاة هذا النبي الكريم، المحبو بالتبجيل والتكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأتحفت بها كل ذي ذهن قويم، وطبع سليم، وفوق كل ذي علم عليم، فإن تولوا فقل حسبي الله، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

* * * *

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.......

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرج المنيفة
في
الآباء الشريفة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا ثالث مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أخصرها وأوجزها.

فأقول: ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان ومحكوم لهما بالنجاة في الآخرة، وهم أعلم الناس بأقوال من خالفهم وقال بغير ذلك، ولا يقصرون عنهم في الدرجة، ومن احفظ الناس للأحاديث والآثار، ومن انقد الناس للأدلة التي استدل بها أولئك، فإنهم جامعون لأنواع العلوم متضلعون من الفنون خصوصاً الأربعة التي يستمد منها في هذه المسألة، فإنها مبينة على ثلاث قواعد: كلامية وأصولية وفقهية، وقاعدة رابعة مشتركة بين الحديث وأصول الفقه مع ما يحتاج إليه من سعة الحفظ في الحديث وصحة النقد له، وطول الباع في الاطلاع على أقوال الأئمة وجمع متفرقات كلامهم. فلا يظن بهم أنهم لم يقفوا على الأحاديث التي استدل بها أولئك: معاذ الله! بل وقفوا عليها وخاضوا غمرتها وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التي لا يردها منصف، وأقاموا لما ذهبوا إليه أدلة كالجبال الرواسي: والفريقان أئمة أكابر أجلاء.

وقد اختلف القائلون بالنجاة في مدرك ذلك على **ثلاث درجات**:

الدرجة الأولى: أنهما لم تبلغهما الدعوة، لأنهما كانا في زمن فترة عم الجهل فيها أهل المشرق والمغرب، فلم يكن إذ ذاك أحد يبلغ الدعوة على وجهها ولا يدري شيئاً من الشرائع، مع ضميمة أنهما قبضتا في حداثة السن ولم يبلغا سناً

يحتمل الوقوف على الأخبار والفحص عنها بالأسفار، فإن والده صلى الله عليه وآله وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي أنه عاش نحو ثماني عشرة سنة، ووالدته عاشت نحو العشرين تقريباً مع زيادة أنها مخدرة مصونة محجوبة في البيت لا تجتمع بالرجال، ولا تجد من يخبرها.

وإذا كان النساء اليوم مع فشو الإسلام والفقه شرقاً وغرباً لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء، فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة!

وحكم من لم تبلغه الدعوة باتّفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه أنه يموت ناجياً ويدخل الجنة، وعلى ذلك الإمام الشافعي رحمه الله وتبعه سائر الأصحاب.

واستدلوا على ذلك بثمان آيات من القرآن:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم وأهلها غفلون﴾[2].

الآية الثالثة: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك ونكون من المؤمنين﴾[3].

الآية الرابعة: ﴿ولو أنا أهلكنٰهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك من قبل أن نذل ونخزىٰ﴾[4].

الآية الخامسة: ﴿وما كان ربك مهلك القرىٰ حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آيٰتنا﴾[5].

---

(١) الإسراء الآية: ١٥.

(٢) الأنعام الآية: ١٣١.

(٣) القصص الآية: ٤٧.

(٤) طه الآية: ١٣٤.

(٥) القصص الآية: ٥٩.

الآية السادسة: ﴿وهذا كتٰب أنزلنٰه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون، أن تقولوا إنما أنزل الكتٰب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغٰفلين﴾[1].

الآية السابعة: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون، ذكرىٰ وما كنا ظٰلمين﴾[2].

الآية الثامنة: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صٰلحاً غير الذي كنا نعمل أو لَم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرَ وجاءكم النذير﴾[3].

وبستة أحاديث: منها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في الاعتقاد، وصححه عن الأسود بن سريع، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: لقد جاء الإسلام وصبيان يخذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: «رب! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني منك رسول؛ فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب إليها».

ومنها ما أخرجه البزار في مسنده بسند حسن على شرط الترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في فترة والمعتوه والمولود؛ فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل: فترفع لهم نار فيقال لهم: ردوها! فيدخلها من كان في علم الله تعالى سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله

---

(١) الأنعام الآية: ١٥٦.

(٢) الشعراء الآية: ٢٠٨

(٣) فاطر الآية: ٣٧.

شقياً لو أدرك العمل: فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب»!.

ومنها ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم أن أدخلوا النار! فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل! قال: وأيم الله! لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل عليهم أن أطيعوا! فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، قال أبو هريرة: فاقرأوا إن شئتم **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**.

وحديث رابع أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ثوبان رضي الله عنه وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي ـ رحمهم الله تعالى.

وحديث خامس أخرجه البزار وأبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه.

وحديث سادس أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال العلماء: هذه الآيات والأحاديث ناسخة لكل ما خالفها من الأحاديث في صحيح مسلم وغيره، كما أن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار منسوخة بقوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ﴾**، والأحاديث الواردة بخلاف ذلك.

وقد مشى على ذلك المدرك جماعة آخرهم إمام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني فقال: الظن بآبائه صلى الله عليه وآله وسلم كلهم ـ يعني الذين ماتوا قبل البعثة ـ أنهم يطيعون عند الامتحان لتقرّ به عينه صلى الله عليه وآله وسلم.

ويدل له من الأحاديث ما أخرجه ابن جرير في تفسيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾**[1]، قال: رضاء

---

(١) الضحى الآية: ٥.

محمد صلى الله عليه وآله وسلـم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن أبويه فقال: ما سألت ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا يلوح بترجي الشفاعة عند الامتحان، ولـولا عدم بلوغهما الدعوة لم يكن هذه الشفاعة، لأن الشفاعة لا تكون لمن بلغته الدعوة وعاند.

وقد صرح بهذا التلويح في حديث أخرجه الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية». أورده المحب الطبري[1] وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابـه ذخائـر العقبى في منـاقب ذوي القربى وقـال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على مـا ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ـ انتهى، فاحتـاج إلى تأويله في أبي طالب، لأنه أدرك البعثة ولم يسلم.

وقد اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال فيه: ناج، وقال بعض الأصحاب: مسلم. وقال الغزالي: التحقيق أن يقال: في معنى المسلم.

الدرجة الثانية

إن الله أحياهما له فآمنا به، وذلك في حجة الوداع، لحديث في ذلك عن عـائشة ـ رضي الله عنهـا ـ أخـرجـه الخـطيب البغـدادي في السـابق والـلاحق والدارقطني وابن عسـاكر كـلاهما في غـرائب مالـك، وابن شاهين في النـاسخ والمنسوخ، والمحب الطبري في سيرته؛ وأورده السهيلي في الروض الآنف من وجه آخر بلفظ آخر وإسناده ضعيف وقد مال إليه هؤلاء الثلاثة مع ضعفه، وهكذا القرطبي وابن المنير، ونقله ابن سيد الناس عن بعض أهل العلم، وقال به الصلاح

---

(١) هو محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.

الصفدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له، وجعلوه ناسخاً لما خالفه من الأحاديث لتأخره ولم يبالوا بضعفه، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه منقبة.

وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التي اتفق عليها الأمة أنه ما أوتي نبي معجزة أو خصيصة إلا أوتي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثلها، وقد أحيا الله تعالى لعيسى عليه السلام الموتى من قبورهم، فلا بد أن يكون لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك، ولم يرو من هذا النوع إلا هذه القصة، فلم يستبعد ثبوتها؛ وإن كان من هذا النمط نطق الذراع[1] وحنين الجذع[2] إلا أن هذه القصة عين ما وقع لعيسى عليه السلام فهو أشبه بالمماثلة. ولا شك من الطرق التي يعضد بها الحديث الضعيف موافقته القواعد المقررة. قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي:

شعر

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا

فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

الدرجة الثالثة

إنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه السلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وعمير بن حبيب الجهني، وعمرو بن عتبة في جماعة آخرين؛ وهذه طريقة الإمام فخر الدين الرازي وزاد: إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم على التوحيد

---

(١) نطق الذراع المسموم من المرأة اليهودية.

(٢) بعدما صنع تميم الداري منبراً لرسول الله يخطب عليه في مسجد المدينة ترك الجذع اليابس من النخل فحن الجذع إلى رسول الله واشتاق إليه بصوت أشبه بصوت الناقة.

لم يكن فيهم مشرك، قال: ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، وقال الله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس﴾[1]: فوجب أن لا يكون أحد من أجداده عليه السلام مشركاً، قال: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الذي يرىٰك حين تقوم وتقلبك في السٰجدين﴾[2]، معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، قال: ولهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، قال: وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين، وإنما ذاك عمه؛ أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿وتقلبك في السٰجدين﴾، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل؛ وبذلك يثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان، وأن آزر لم يكن والده، بل كان عمه ـ انتهى ملخصاً.

وقد وافقه على الاستدلال بالآية الثانية بهذا المعنى الإمام الماوردي[3] صاحب الحاوي الكبير من أئمة أصحابنا، وقد وجدت ما يعضد هذه المقالة من الأدلة ما بين مجمل ومفصل: فالمجمل دليل مركب من مقدمتين:

إحداهما: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصوله عليه الصلاة والسلام من آدم عليه السلام إلى أبيه خير أهل زمانه.

وثانيهما: الأحاديث الصحيحة والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أناس على الفطرة، يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

---

(١) التوبة الآية: ٢٨.

(٢) الشعراء الآية: ٢١٩.

(٣) علي بن محمد الماوردي الشافعي مات في العام ٤٥٠ هـ من أهم كتبه، الحاوي الكبير في الفروع عشر مجلدات، وقد عده حاجي خليفة من الكتب التي لم يؤلف مثلها في الشافعية والله أعلم.

ومن أدلة المقدمة الأولى:

حديث البخاري: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه.

وحديث البيهقي: ما افترقت الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً.

وحديث أبي نعيم وغيره: لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى ومهذباً لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما - في أحاديث كثيرة.

ومن أدلة المقدمة الثانية:

ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر في تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لم يزل على وجه الأرض من يعبد الله عليها.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كتاب كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلت الأرض من بعد نوح - عليه السلام - من سبعة يدفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض - في آثار أخر.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن فيهم مشرك. لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه؛ فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعي، وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بنص القرآن والإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة؛ فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض كل في قرنه.

وأما التفصيل: فأخرج البزار في مسنده وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾[1]، قال: بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علماء يهتدي بهم، وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً، وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض.

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿رب اغفر لي ولوٰلدي ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾[2].

فثبت بهذا إيمان أجداده صلى الله عليه وآله وسلم من آدم إلى نوح. وولد نوح سام مؤمن بنص القرآن والإجماع، أنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن.

وفي التنزيل﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾[3]،بل ورد في أثر أنه كان نبياً. وولده أرفجشد نص على إيمانه في أثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه: أنه أدرك جده نوحاً ودعا له بأن يجعل الله الملك والنبوة في ولده. ومن شارخ إلى تارخ نص على إسلامهم في أثر أخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي.

وأما آزر فالأرجح كما قال الرازي: أنه عم إبراهيم لا أبوه، وقد سبقه إلى ذلك جماعة من السلف؛ فروينا بالأسانيد عن ابن عباس، ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا: ليس آزر أبا إبراهيم، إنما هو إبراهيم بن تارخ. ووقفت على أثر في تفسير ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه.

---

(١) البقرة الآية: ٢١٣.

(٢) نوح الآية: ٢٨.

(٣) الصافات الآية: ٧٧.

فثبت بما قررناه أن الأجداد الشريفة من آدم إلى إبراهيم عليهم السلام منصوص على إيمانهم ومتفق عليهم إلا الخلاف في آزر من حيث كونه أباً أو عماً. فإن كان أباً استثني من الأجداد، وإن كان عماً خرج منها وسلمت السلسلة.

وأما من بعد إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام فقد اتفقت الأحاديث الصحيحة ونصوص العلماء على أن العرب من بعد إبراهيم ـ وهم على دينه ـ لم يكفر منهم أحد قط ولم يعبد صنماً إلى عهد عمرو بن لحي الخزاعي، فإنه أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام وعبد الأصنام وسيب السوائب.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قُصبه[1] في النار وكان أول من سيب السوائب».

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قُصبه في النار، إنه أول من غير دين إبراهيم عليه السلام».

وأخرج أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجرّ إمعاءه في النار».

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: كان دين إبراهيم قائماً، والتوحيد في صدر العرب شائعاً، وأول من غيره واتخذ عبادة الأوثان عمرو بن لحي.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: كان العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام، وشرع للعرب الضلالات، وزاد في التلبية بعد قوله: لا شريك له، قوله: إلا شريكاً هو لك

---

(١) القصب: إسم للأمعاء كلها، وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء.

تملكه وما ملك. فهو أول من قال ذلك؛ وتبعه العرب على الشرك، فشابهوا بذلك قوم نوح يعني في إحداث الكفر بعد أن كان سلفهم على الإيمان، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم عليه السلام.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير!.

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبدالله بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسبوا مضر! فإنه قد كان أسلم. وفي الروض الآنف للسهيلي يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا تسبوا إلياس! فإنه كان مؤمناً.

وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج. وفيه أيضاً: أن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم، ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به؛ وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهداً نجواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال السهيلي: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الأعلام له. قلت: وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة.

فثبت بهذا التقرير أن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم من إبراهيم إلى كعب بن لؤي وولده مرة منصوص على إيمانهم، ولم يختلف فيهم اثنان؛ وبقي بين مرة وبين عبد المطلب أربعة آباء هم كلاب، وقصي وعبد مناف وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا، ولا بهذا.

وبقي ثلاثة أدلة متعلقة بعقب إبراهيم المنظومين في سلسلة نسبه الشريفة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**

إلا الذي فطرني فإنه سيهدين، وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾[1].

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى. **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم وأخرج عن مجاهد مثله.

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: في عقب إبراهيم، فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول: لا إله إلا الله.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

والثاني: قوله تعالى **﴿رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي﴾**[2]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم أناس على الفطرة يعبدون الله.

الثالث: قوله تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾**[3].

أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: فاستجاب الله تعالى لإبراهيم دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته، واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماماً، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

---

(١) الزخرف الآية: ٢٨.

(٢) إبراهيم الآية: ٤٠.

(٣) البقرة الآية: ١٢٦.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسمعيل عليه السلام الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾! قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام؟ قال: لأنه دعاء لأهل البلد خاصة أن لا يعبدوا إذ أسكنهم فقال: اجعل هذا البلد آمناً، ولم يدع لجميع البلدان بذلك وقال: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فيه؛ فقد خص أهله.

فظهر بجميع ما قررناه من الأدلة والنقول مصداق ما قاله فخر الدين. وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي:

تنقل أحمد نوراً عظيماً	تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً	إلى أن جاء خير المرسلينا

ولم يبق بعد المذكورين إلا عبد المطلب، وفيه خلاف بين الناس، والأحسن في شأنه أنه لم تبلغه الدعوة. قال الشهرستاني: ظهر نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور الهم النذر في ذبح ولده. وببركته قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس:

أشعار

لا هم إن المرء يمنع	رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم	ومحالهم أبداً محالك
فانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك

وببركة ذلك النور كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور. وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبته فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: والله! وراء هذه الدار دار

يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته.

فهذا يدل على أنه لم تبلغه الدعوة على وجهها، ولم يجد من يعرفه حقيقة ما جاءت به الرسل؛ فإنه لو وجد من يخبره بأن الأنبياء جاءت بالبعث لم يكن في غفلة منه حتى وقعت هذه الواقعة، فتفكر فيها واستدل بها على أن ثم داراً أخرى.

وفيه قول ساقط: إن الله تعالى أحياه حتى آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. حكاه ابن سيد الناس في السيرة وغيره، وهو مردود، ولا أعرفه عن أحد من أئمة السنة إنما يحكى عن بعض الشيعة، وهو قول لا دليل عليه، ولم يرد فيه حديث قط لا ضعيف ولا غيره، وبهذا فارق قول الإمام فخر الدين، فإن القائل يدعي أن عبد المطلب أحيي وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصار على ملته، والإمام فخر الدين لا يقول هذا بل يقول: إنه كان في الأصل على ملة إبراهيم من غير أن يحصل له دخول في هذه الملة.

تتمة

ويعضد ذلك في أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

أشعار

بارك فيك الله من غلام ... يا بن الذي من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام

بمائة من الإبل السوام ... إن صح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام

تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام

دين أبيك البر أبرهام فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً؛ ثم ماتت. وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

أشعار

تبكي الفتاة البرة الأمينة ذات الجمال العفة الرزينة

زوجة عبدالله والقرينة أم نبي الله ذي السكينة

وصاحب المنبر بالمدينة صارت لدى حفرتها رهينة

فأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام، والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام؛ وهذه الألفاظ منافية للشرك.

ثم إني استقريت أمهات الأنبياء فوجدت أكثرهن منصوصاً على إيمانهن، ومن لم ينص عليها سكت عنها فلم ينقل فيها شيء البتة. والظاهر إن شاء الله إيمانهن: وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث.

أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته[1]، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم[2] وبشارة عيسى[3] ورؤيا أمي التي رأت[4]. وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم

(١) ورد في المرفاة شرح المشكاة بأن المنجدل من الجدل، وهو الإلقاء على الأرض الصلبة. وقوله: في طينته ـ أي خلقته.

(٢) والمراد بها قوله تعالى: ﴿وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آيتك﴾.

(٣) المراد بها قوله تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

(٤) ظاهر الكلام أن رؤية نور أضاء به قصور الشام كانت في المنام، وقد جاءت الأخبار أنها كانت في=

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال حملها به وولادتها له رأت من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات.

وهذه ثالث مؤلف ألفته في هذه المسألة وهو أخصرها، ولي مؤلف رابع في حديث إحيائهما والكلام من جهة صناعة الحديث خاصة.

وقد شرعت في عمل خامس وهو مقامة منثورة على طريقة الإنشاء.

خاتمة

نقلت من مجموع بخط شيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمهما الله تعالى ما نصه: سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون، لأن الله تعالى قال: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً**﴾[1]، قال: لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: أنه في النار - انتهى.

وأورد المحب الطبري[1] في كتاب ذخائر العقبى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: جاءت سبيعة[2] بنت أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: «يا رسول الله! إن الناس يقولون: أنت بنت حطب النار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي! من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».

= اليقظة؛ وأما الذي في المنام فهو أنها رأت أنه أتاها آتٍ فقال لها: هل شعرت أنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها! فينبغي أن يحمل الرؤيا على الرؤية بالعين والله أعلم.

(١) محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤، وكتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

(٢) قال أبو نعيم: صوابه درة، لها ذكر في مسند أبي هريرة، وقال: درة بنت أبي لهب ابنة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرات، كانت تحت الحارث بن نوفل بن الحارث، لها في المسند من رواية زوجها عنها، وقيل: تزوجها دحية الكلبي - يراجع تجريد أسماء الصحابة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن يونس قال: سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أتى بكاتب يخط بين يديه وكان مسلماً وأبوه كافراً، فقال عمر للذي جاء به: لـو كنت جئت به من أبنـاء المهاجـرين! فقال الكاتب: فقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذكر كلمة أسقطتها أنا ـ فغضب عمر، وقال: لا تخط بين يدي بالقلم أبداً!

وأخرج شيخ الإسلام الهروي في ذم الكلام من طريق ابن أبي جميلة قال: قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن سعد: بلغني أن أباك عاملنا بمكان كذا وكذا وكذا وهو كافر! قال: وقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر ما بعد الكلام أسقطته أنا ـ فغضب عمر غضباً شديداً وعزله من الدواوين.

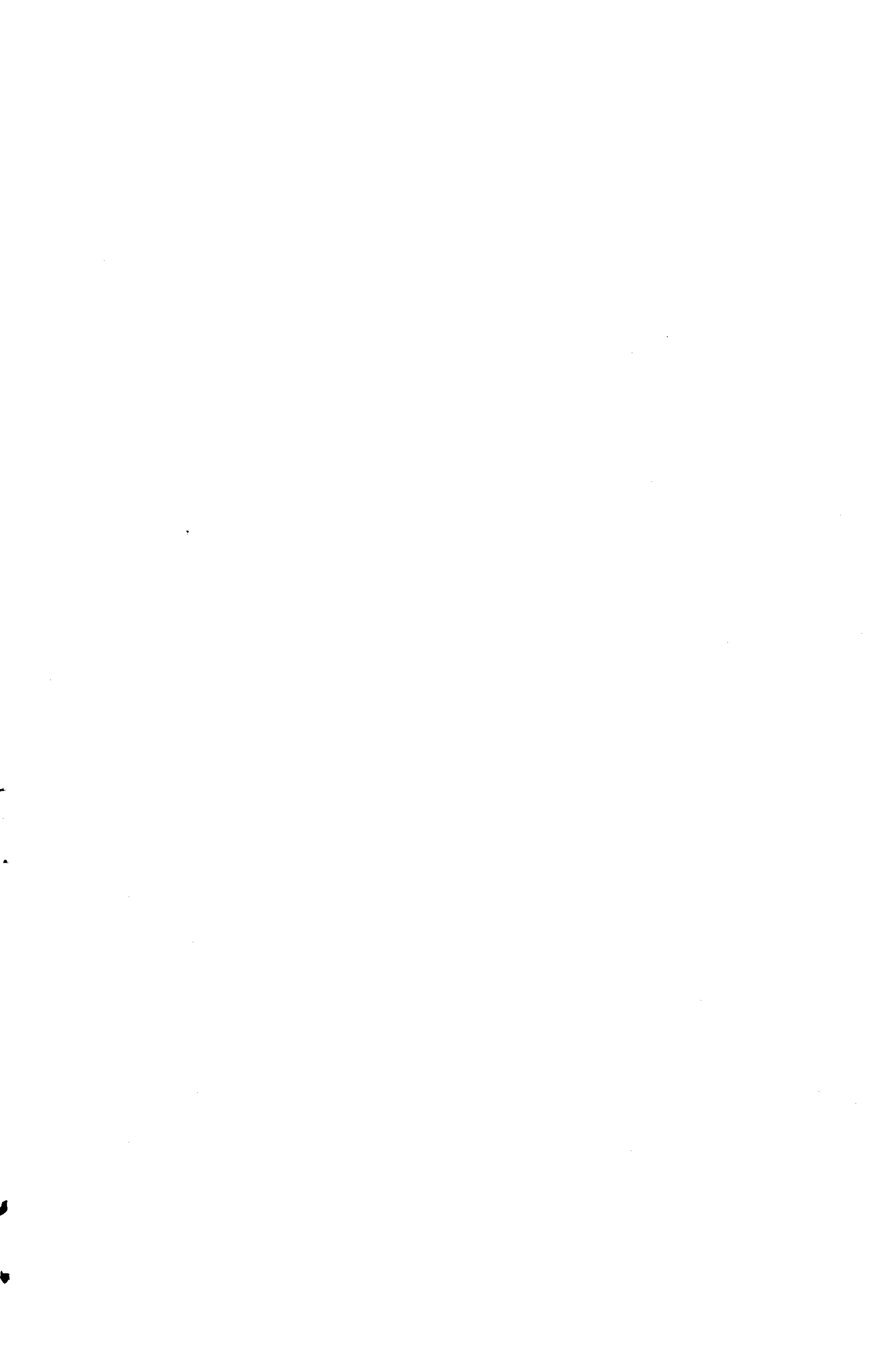
وذكر القاضي تاج الدين السبكي[1] في كتابه الترشيح قال: قال الشافعي رحمه الله تعالى في بعض نصوصه: وقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يد امرأة لها شرف فكلم فيها، فقال: لو سرقت فلانة ـ لامرأة شريفة ـ لقطعت يدها! قال ابن السبكي: فانظر إلى قوله: فلانة ـ ولم يبح باسم فاطمة ـ رضي الله عنها! تأدباً معها أن يذكرها في هذا المعرض، وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها، لأنه يحسن منه ما لا يحسن من غيره ـ انتهى كلام السبكي.

وقد جرى على الأدب الإمام أبو داود صاحب السنن فإنه أخرج في سننه حديثاً في آخره شيء يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى إلى ذكره قال: فذكر تشديداً ـ ولم يصرح بشيء، والحديث متمم في مسند أحمد وسنن النسائي.

وهذا وأمثاله إرشاد من هؤلاء الأئمة وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأدباً، ولهذا سكت في مثل هذا الكتـاب وفي سائـر المؤلفات التي ألفتهـا في هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة، واقتصرت على حكاية الفـرق الثلاث ـ والله المستعان.

---

(١) الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي الشافعي مات سنة ٧٧١ هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

مسالك الحنفا
في
والدي المصطفى
صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

هذا تأليف يسمى مسالك الحنفا في والدي المصطفى في مسألة الحكم في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم أنهما ناجيان وليسا في النار، صرح بذلك جمع من العلماء: ولهم في تقرير ذلك مسالك:

المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة، ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**[1] وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وأنه إذا قتل يضمن بالدية والكفارة، نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه وسائر الأصحاب، بل زاد بعض الأصحاب وقال: إنه يجب في قتله القصاص، ولكن الصحيح خلافه، لأنه ليس بمسلم حقيقي، وشرط القصاص المكافأة، وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة، ولم يقع منه عناد، ولا جاءه رسول فكذبه.

وهذا المسلك أول ما سمعته في هذا المقام الذي نحن فيه من شيخنا شيخ

(١) الإسراء الآية: ١٥.

الإسلام شرف الدين المناوي[1]، فإنه سئل عن والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل هو في النار؟ فزأر السائل زأرة شديدة، فقال له السائل: هل ثبت إسلامه؟ فقال: إنه مات في الفترة ولا تعذيب قبل البعثة. ونقله سبط ابن الجوزي[2] في كتاب مرآة الزمان عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه صلى الله عليه و آله وسلم ثم قال ما نصه: وقال قوم قد قال الله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، والدعوة لو تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما؟

وجزم به الأبي في شرح المسلم وسأذكر عبارته، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة، وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم، وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر في بعض كتبه فقال: والظن بآبائه صلى الله عليه وآله وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى لله عليه وآله وسلم لتقربهم عينه، وقد جعلت قضية الامتحان داخلة في هذا المسلك، مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوي التحقيق.

(ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك)

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[1] وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة، وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهماعن قتادة في قوله تعالى:

---

(١) المناوي: قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد شيخنا شيخ الإسلام، ولد سنة ٧٩٨ هـ ولازم الشيخ ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول، وسمع الحديث عليه وعلى الشرف ابن الكويك، وتصدى للإقراء والإفتاء، وتخرج به الأعيان وولي تدريس الشافعي وقضاء الديار المصرية، وله تصانيف، منها شرح مختصر المزني، توفي ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ. حسن المحاضرة.

(٢) أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ.

(١) الإسراء الآية: ١٥.

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ قال: إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو يأتيه من الله بينة.

الآية الثانية: قوله تعالى: **﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غٰفلون﴾**[1] أورد هذه الآية الزركشي[2] في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع.

الآية الثالثة: قوله تعالى: **﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك ونكون من المؤمنين﴾**[3] أورد هذه الزركشي أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية: **﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آيٰتك ونكون من المؤمنين﴾**[4].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ولو أنا أهلكنهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيٰتك من قبل أن نذل ونخزى﴾[5].

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، وقرأ هذه الآية: **﴿ولو أنا أهلكنٰهم بعذاب من قبله﴾** إلى آخر الآية.

الآية الخامسة: قوله تعالى: **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في**

---

(١) الأنعام الآية: ١٣١.

(٢) هو العلامة الشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي الشافعي رحمه الله، المتوفى سنة ٧٩٤ هـ.

(٣) القصص الآية: ٤٧.

(٤) القصص الآية: ٤٧.

(٥) طه الآية: ١٣٤.

أمها رسولاً يتلوعليهم آيٰتنا﴾[1]. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقتادة في الآية: وإلا لم يهلك الله تعالى أهل مكة حتى بعث إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا.

الآية السادسة: قوله تعالى: **﴿وهذا كتٰب أنزلنٰه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتٰب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغٰفلين﴾**[2].

الآية السابعة: قوله تعالى: **﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظٰلمين﴾**[3]. أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال: ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة لله **﴿ذكرى وما كنا ظٰلمين﴾** يقول: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة.

الآية الثامنة: قوله تعالى: **﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صٰلحاً غير الذي كنا نعمل، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾**[4] قال المفسرون: احتج عليهم ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المراد بالنذير في الآية.

ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار

الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في كتاب الاعتقاد وصححه عن الأسود بن سريع - رضي الله

---

(١) القصص الآية: ٥٩.

(٢) الأنعام الآية: ١٥٦.

(٣) الشعراء الآية: ٢٠٩.

(٤) فاطر الآية: ٣٧.

عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، وأما الأصم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب! لقد جاء الإسلام والصبيان يخذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب! لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني لك رسول؛ فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه. فيرسل إليهم أن أدخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يستجر إليها».

الحديث الثاني: أخرج أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في مسنديهما وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في الاعتقاد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون» ـ فذكر مثل حديث الأسود بن سريع ـ رضي الله عنه ـ.

الحديث الثالث: أخرج البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل؛ قال: فيرفع لهم نار فيقال لها: ردوها ـ أو قال: ادخلوها ـ فيدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل، فيقول تبارك وتعالى: إياي عصيتم وكيف برسلي بالغيب!» في إسناده عطية العوفي فيه ضعف[1]، والترمذي يحسن حديثه، وهذا الحديث له شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته.

الحديث الرابع: أخرج البزار وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بأربعة يوم القيامة

---

(١) ذكر ابن حجر في تقريب التهذيب: عطية بن سعيد بن جنادة العوفي الجدلي أبو الحسن الكوفي صدوق يخطىء كثيراً كان شيعياً مدلساً من الثالثة مات سنة ١١١ هـ.

بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة وبالشيخ الفاني كلهم متكلم بحجته، فيقول الله تبارك وتعالى لعنق من جهنم: أبرزي! فيقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم، أدخلوا هذه! فيقول من كتب عليه الشقاء؛ يا رب! أتدخلناها وما كنا نعرف! ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول الله: قد عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية! فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار».

الحديث الخامس: أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار! فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل! قال: وأيم الله! لو دخلوها لكانت عليهم برداً أو سلاماً، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه»؛ قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[1]. إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

الحديث السادس: أخرج البزار والحاكم في مستدركه عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا! لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرأيتكم إن أمرتكم بأمر تطيعوني؟ فيقولون: نعم! فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلونها، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون: ربنا! أجرنا منها! فيقول لهم: ألم تزعموا إن أمرتكم بأمر تطيعوني! فيأخذ على ذلك مواثيقهم، فيقول: اعمدوا إليها فادخلوا! فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا، فقالوا: ربنا! فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين! فقال النبي صلى

---

(١) الإسراء الآية: ١٥.

الله عليه وآله وسلم: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً». قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

الحديث السابع: أخرج الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً، فيقول الممسوح عقلاً: يا رب! لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد لعقله مني - وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب: إني آمركم بأمر فتطيعوني؟ فيقولون: نعم! فيقول: اذهبوا فادخلوا النار! قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فتخرج عليهم فرائص، فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعاً، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك، فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي تصيرون»، ضميهم! فتأخذهم.

قال الكيا الهراسي[1] في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم: أعلم! أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى من قضيات العقول. فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة، فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول، ومنها ما يتلقى من قضيات العقول. قال: وأما نحن فنقول: لا يجب شيء قبل مجيء الرسول فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر؛ فنقول: لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر. وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون: ما الواجب الذي هو طاعة وليس بقربة؟ وجوابه: أن النظر الذي هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب، لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه.

قال: وذكر شيخنا الإمام في هذا المقام شيئاً حسناً فقال: قبل مجيء الرسول يتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن

(١) علي بن محمد الطبري الشافعي المتوفى سنة ١٥٤ هـ، انظر كشف الظنون - لحاجي خليفة.

يخطر خاطر آخر على نقيضه فيتعارض الخواطر، ويقع العقل في حيرة ودهشة فيجب التوقف إلى أن ينكشف الغمة وليس ذلك إلا لمجيء الرسول. وها هنا قال الأستاذ أبو إسحاق: إن قول: لا أدري نصف العلم. ومعناه أنه انتهى علمي إلى حد وقف عنده مجاوزة العقل، وهذا إنما يقوله من وقف في العلم وعرف مجاري العقل مما لا يجري فيه ووقف عنده ـ انتهى.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول: شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة، لنا: أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ولا تعذيب قبل البعث فلا وجوب، أما الملازمة فبينة، وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[1] بقي التعذيب إلى غاية البعثة فينبغي، وإلا وقع الخف في قول الله وهو محال ـ انتهى.

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل والبيضاوي في منهاجه. وقال القاضي تاج الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب على مسألة شكر المنعم: فيخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدية، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح.

وقال البغوي في التهذيب: أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الإسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة. وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يجب الضمان بقتله، وأصله: أنه عندهم محجوج عليه بعقله، وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه بقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول ـ انتهى.

وقال الرافعي في الشرح: من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام

(١) الإسراء الآية: ١٥.

والدعاء إلى الإسلام، ولو قتل كان مضموناً خلافاً لأبي حنيفة. وبنى الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده، وعندنا: من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة، ولا يتوجه المؤاخذة، قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ - انتهى.

وقال الغزالي في البسيط: من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح، لأنه ليس مسلماً على التحقيق وإنما هو في معنى المسلم. وقال ابن الرفعة في الكفاية: لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد.

وقال النووي[1] في شرح مسلم في مسألة أطفال المشركين: المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾. قال: وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى - انتهى.

فإن قلت: هذا المسلك الذي قدرته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟ قلت: لا، بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً، أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين. ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً؛ وهذا لا نزاع فيه. وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد، وذلك لمجموع أمور: تأخر زمانهما وبُعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عيسى عليه السلام، وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ست مائة سنة، ثم أنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب، مزقت في أقطار الأرض كالشام وغيرها؛ ولم يعهد تقلب لهما في الأسفار سوى المدينة، ولا عمرا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش، فإن والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعش من العمر إلا قليلاً.

(١) الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

قال الإمام الحافظ صلاح الدين[1] العلائي في كتابه **الدرة السنية في مولد خير البرية**: كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثمانية عشر عاماً، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله فمات بها عند أخواله من بني النجار، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حمل على الصحيح - انتهى.

وأمه قريبة من ذلك لا سيما وهي امرأة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال، والغالب على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجال فيه من أمر الديانات والشرائع خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه.

ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعجب من بعثته أهل مكة وقالوا: **﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾** وقالوا: **﴿ولو شاء الله لأنزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾**. فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعة إبراهيم على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذا كان بينهم وبين زمن إبراهيم عليه السلام أزيد من ثلاثة آلاف سنة، فاتضح بذلك صحة دخولهما في هذا المسلك.

ثم رأيت الشيخ عز الدين ابن عبد السلام[2] قال في أماليه ما نصه:

كل نبي إنما أرسل إلى قومه إلا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق إلا أن تدرس شريعة السابق فتصير الكل من أهل الفترة - هذا كلامه. فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه.

---

(١) هو الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي.

(٢) ذكر صاحب كشف الظنون أنه توفي سنة ستين وستمائة هجرية.

ثم ترشح مما قال حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر: إن الظن بهما أن يطيعا عند الامتحان، أمران:

أحدهما: ما أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال شاب من الأنصار: لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه -: يا رسول الله! أرأيت أبواك في النار؟ فقال: «ما سألت ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود». فهذا الحديث يشعر بأنه مرتج لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك في أنه يقال عند قيامه ذلك المقام: سل تُعطَ واشفعْ تُشفع! كما في الأحاديث الصحيحة، فإذا سأل ذلك أعطيه.

الأمر الثاني: ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[1] قال: من رضي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار. ولهذا عمم الحافظ ابن حجر في قوله: الظن بأهل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان.

وحديث ثالث: أخرج أبو سعيد في شرف النبوة[2] والملا في سيرته، عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأعطاني ذلك». أورده الحافظ محب الدين الطبري في كتابه ذخائر العقبى[3].

وحديث رابع أصرح من هذين: أخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية». أورده

---

(١) الضحى الآية: ٥.

(٢) شرف النبوة أحد كتب الحديث لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان محمد الواعظ الخركوشي؛ كشف الظنون.

(٣) كتاب لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى في العام ٦٩٤ هـ.

المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى وقال: إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ـ انتهى.

وإنما احتاج إلى تأويله في أبي طالب دون الثلاثة أبيه وأمه وأخيه يعني من الرضاعة، لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم والثلاثة ماتوا في الفترة.

وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أخرجه أبو نعيم وغيره، وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاعة، فالطرق عدة يشد بعضها بعضاً فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فإن الحاكم صححه.

ومما ينضم إلى ذلك ـ وإن لم يكن صريحاً في المقصود ـ ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب». وما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وعزاه لأحمد في المناقب عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر بني هاشم! والذي بعثني بالحق نبياً! لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم».

وما أورده أيضاً وعزاه لابن جرير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى يبلغ الحكم»[1] ـ وهم أحد قبيلتين من اليمن ـ إني لأشفع فأشفع حتى أن مَن أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة.

لطيفة

نقل الزركشي في الخادم[2]، عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات

---

(١) في النهاية: (وفيه) شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حتى حكم وجاء هما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرين.

(٢) كتاب خادم الرافعي والروضة في الفروع في أربعة عشر مجلداً لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى في العام ٧٤٩ هـ.

التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشر به، قال: وإنما هي كرامة له ﷺ.

تنبيه

ثم رأيت الإمام أبا عبدالله محمد بن خلف الأبي بسط الكلام على هذه المسألة في ـ شرح مسلم ـ عند حديث «إن أبي وأباك في النار» وأورد قول النووي فيه: أن من مات كافراً في النار، ولا تنفعه قرابة الأقربين، ثم قال قلت: انظر هذا الإطلاق وقد قال السهيلي: ليس لنا أن نقول ذلك فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ولا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات»، وقال الله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله**﴾[1]، ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فآمنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق هذا ولا يعجز الله سبحانه شيء.

ثم أورد قول النووي وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة، لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيرهم من الرسل، ثم قال قلت: تأمل ما في كلامه من التنافي! فإن بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل الفترة[2]، فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة، علمنا أنهم غير معذبين؛ فإن قلت: صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المحجن وغيره،

---

(١) الأحزاب الآية: ٥٧.

(٢) هكذا ورد في الأصل والمعنى واضح التشويش.

قلـت: أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة:

الأول: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع.

الثاني: قصر التعذيب على هؤلاء ـ والله أعلم بالسبب.

الثالث: قصر التعذيب في هذه الأحاديث على من بدل وغَيَّـرَ الشرائـع، وشرع من الضلال ما لا يعذر به، فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من دخل في شريعة قائمة حقة للرسل، كتبّع وقومه.

القسم الثاني: من بدل وغير وأشرك ولم يوحد، وَشَرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأوثان وشرع الأحكام فبحر البحيـرة، وسيب السائبـة، ووصل الـوصيلة وحمى الحامي، وزادت طـائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة[1] وحجاباً يضاهون الكعبة والعزى ومناة.

القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اختـرع ديناً، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله، وفي الجاهلية من كان كذلك: فإذا انقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهو غير معذبين للقطع كما تقدم، وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في كل من قس وزيد: «إنه يبعث أمة واحدة» وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه مالم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين ـ انتهى ما أورده الأبي.

---

(١) خدم. . . .

المسلك الثاني

أنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة، منهم: الإمام فخر الدين الرازي فقال في كتابه: أسرار التنزيل ما نصه: قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوده، منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه، منها: قوله تعالى: ﴿**الذي يرٰك حين تقوم، وتقلبك في السٰجدين**﴾[1] قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد.

وبهذا التقدير الآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما ذاك عمه.

أقصى ما في الباب: أن يحمل قوله تعالى: ﴿**وتقلبك في السٰجدين**﴾ على وجوه أخر، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل؛ ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقال تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾[2]: فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً.

هذا كلام الإمام فخر الدين الرازي بحروفه، وناهيك به إمامة وجلالة! فإنه إمام أهل السنة في زمانه، والقائم بالرد على الفرق المبتدعة في وقته، والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره؛ وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها.

---

(١) الشعراء الآية: ٢١٩.

(٢) التوبة الآية: ٢٨.

وعندي في نصرة هذا المسلك، وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور:

أحدها: دليل استنبطه مركب من مقدمتين، الأولى: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آدم إلى أبيه عبدالله فهو خير أهل قرنه وأفضلهم، ولا أحد في قرنه ذلك خير منه ولا أفضل.

الثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح، أو آدم إلى بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منها قطعاً بأن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن فيهم مشرك، لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه، فإن كان الناس الذين على الفطرة هم آباءهم فهو المدعي، وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين: إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالإجماع، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة، فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض في كل قرنه.

ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يزل الله ينقلي من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسمٰعيل واصطفى من ولد إسمٰعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم».

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ: «إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من ولد إبراهيم إسمٰعيل، ثم اصطفى من ولد إسمٰعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضر، ثم اصطفى من مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، ثم اصطفاني من بني عبد المطلب» - أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى.

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، والله! ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما».

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار».

وأخرج الترمذي وحسّنه والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله حين خلقني جعلني من

خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً».

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرهما قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهما بيتاً».

وأخرج أبو علي بن شاذان فيما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وهو في مسند البزار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية: منا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: تنبت النخلة ـ أو الشجرة ـ في الأرض اللياء؛ فذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس، فقام على المنبر فقال: «أيها الناس! من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، قال: انسبوني! قالوا: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، قال: فما بال أقوام ينزلون أصلي! فوالله! إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً».

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث[1] قال: بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قوماً نالوا منه فقالوا: إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في اللياء، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني في خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيوتاً؛ ثم قال: أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً».

---

(١) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، كان أسن من عمه العباس بسنتين (أسد الغابة) وقال النبي ﷺ فيه: «نعم العبد ربيعة لو قصر من شعره وشمر ثوبه! وتوفي سنة ثلاث وعشرين رضي الله عنه.

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال لي جبريل: «قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

قال الحافظ ابن حجر في أماليه: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله والأفضلية عنده لا يكون مع الشرك.

ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن ابن جريج قال: وقال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها. هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الدبري[1] عن عبد الرزاق به.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم يبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي**﴾[2] ـ الآية، قال: ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياؤه يعملون لله بطاعته.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: روى ابن القاسم عن مالك قال: بلغني

---

(١) ذكر صاحب التهذيب أن الدبري هو إسحاق بن إبراهيم يروي عن عبد الرزاق بن همام.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لا يزال لله في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كتاب كرامات الأولياء، بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض، هذا أيضاً له حكم الرفع.

وأخرج الأزرقي[1] في تاريخ مكة عن زهير بن محمد قال: لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الجندي في فضائل مكة عن مجاهد قال: لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، لولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي**﴾[2] قال: فلا يزال من ذرية إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون الله. وإنما وقع التقييد في هذه الآثار الثلاثة بقوله: من بعد نوح، لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى.

أخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

---

(١) ذكر حاجي خليفة أن الأزرقي هو الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم مات سنة ٢٢٣ هـ.
(٢) إبراهيم الآية: ٤٠.

﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾[1]، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين، قال: وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿**كان الناس أمة واحدة فاختلفوا**﴾.

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾، قال: على الإسلام كلهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى، وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً، وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

وأخرج ابن سعد في الطبقات[2] من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

وأخرج ابن سعد من طريق سفيان بن سعيد الثوري، عن أبيه عن عكرمة قال: بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

وفي التنزيل حكاية عن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿**رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً**﴾[3]، وولد نوح سام مؤمن بالإجماع والنص، لأنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن، وفي التنزيل: ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾[4]، بل ورد في أثر: أنه كان نبياً، أخرجه ابن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في الموقفيات[5] وابن عساكر في تاريخه عن الكلبي، وولده أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر، وفيه: أنه أدرك جده نوحاً وأنه دعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده

---

(١) البقرة الآية: ٢١٣.

(٢) طبقات الصحابة والتابعين لأبي عبدالله محمد بن سعد البصري مات عام ٢٣٠ هـ، كشف الظنون.

(٣) نوح الآية: ٢٨.

(٤) الصافات الآية: ٧٧.

(٥) موقفيات كتاب في الحديث للزبير بن بكار الأسدي مات سنة ٢٥٦ هـ.

ومن ولد أرفخشد إلى تارخ ورد التصريح بإيمانهم في أثر.

أخرج ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية[1] فبنى كل رجل منهم بيتاً فسميت سوق الثمانين، فغرق بنو قابيل كلهم، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام، ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوس بن كنعان بن حام[2] بن نوح فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا.

هذا لفظ الأثر، فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود، وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر، فإن كان آزر والد إبراهيم فيستثنى من سلسلة النسب، وإن كان عمه فلا استثناء في هذا القول أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم كما ورد عن جماعة من السلف.

أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**﴾[3]، قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**﴾، قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرخ ـ أو تارخ ـ بن شارخ بن ناخور بن فاطم.

---

(١) السياق يوحي بسقوط العبارة التالية: «وكان معه ثمانون رجلاً».

(٢) الأصح أن كنعان هو ابن سام ابن نوح عليه السلام والله أعلم...

(٣) الأنعام الآية: ٧٤.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي[1] أنه قيل له: اسم أبي إبراهيم آزر، فقال: بل اسمه تارخ، وقد وجه من حيث اللغة بأن العرب كانوا يطلقون لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً.

وفي التنزيل: **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلٰهك وإله آبائك إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق﴾**[2]، فأطلق على إسماعيل لفظ الأب، وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جده.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: الجد أب ويتلو: **﴿قالوا نعبد إلٰهك وإله آبائك﴾**[3].

وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى: **﴿وإله آبائك إبراهيم وإسمٰعيل﴾**، قال: سمي العم أبا.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: الخال والد والعم والد، وتلا هذه الآية. **فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك.**

ويرشحه ما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد[4]، قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى أن كانت العجوز لتجمع الحطب، فلما أرادوا أن يلقوه في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما ألقوه قال الله: **﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**[5]؛

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الثدي ـ أبو محمد الكوفي صدوق رمي بالتشيع، مات عام ١٢٧ هـ.

(٢) البقرة الآية: ١٣٣.

(٣) البقرة الآية: ١٣٣.

(٤) ورد في التقريب أنه: صحابي قتل بعين الوردة عام ٩٥ هـ.

(٥) الأنبياء الآية: ٦٩.

فقال عم إبراهيم: من أجلي دفع عنه، فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته.

فقد صرح في هذا الأثر عم إبراهيم، وفيه فائدة أخرى وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في النار، وقد أخبر الله سبحانه في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما تبين له أنه عدو لله، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر له بعد ذلك.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له.

وأخرج عن محمد بن كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا: كان يرجوه في حياته، فلما مات على شركة تبرأ منه، ثم هاجر إبراهيم عقيب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك في القرآن، ثم بعد مدة من مهاجرة دخل مصر واتفق له فيها مع الجبار ما اتفق بسبب سارة وأخدمه هاجر، ثم رجع إلى الشام، ثم أمره الله أن ينقلها وولدها إسماعيل إلى مكة فنقلهما ودعا فقال: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع**﴾ - إلى قوله: ﴿**ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾[(١)]، فاستغفر لوالديه وذلك بعد هلاك عمه مدة طويلة: فيستنبط من هذا أن المذكور في القرآن بالكفر والتبريء من الاستغفار له هو عمه لا أبوه الحقيقي، فللّه الحمد على ما ألهم.

روى ابن سعد في الطبقات عن الكلبي قال: هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين، فأتى حران فأقام بها زماناً، ثم أتى إلى الأردن فأقام بها زماناً، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع أرضاً بين إيلياء وفلسطين؛ ثم إن بعض أهل البلد آذوه فتحول من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء.

---

(١) إبراهيم الآية: ٣٧.

وروى ابن سعد عن الواقدي[1] قال: ولد لإبراهيم إسماعيل، وهو ابن تسعين سنة، فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقيب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة بضعاً وخمسين سنة.

تتميم

ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام. قال الشهرستاني[2] في الملل والنحل: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً، وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي؛ قلت: وقد صح بذلك الحديث.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصبه في النار، كان أول من سيب السوائب».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار».

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن جندب يجر قصبه في النار، إنه أول من غير دين إبراهيم». ولفظ ابن إسحاق: إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة، وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. وله طرق أخرى.

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام على الإسلام، وكان الشيطان يحدث الناس

(١) القاضي نزيل بغداد ـ اتسم بسعة العلم لكنه متروك، توفي عن ٦٨ سنة في العام ٢٠٧ هـ.
(٢) الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى في العام ٥٤٨ هـ.

بالسيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لـك تملكـه وما ملك. قال: فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك.

قال السهيلي في الروض الآنف[1]، كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا شرع لهم بدعة إلا أخذوها بسرعة لأنه كان يطعم الطعام ويكسو في الموسم.

وقد ذكر ابن إسحاق: أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ فلبى معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو ودانت بها العرب ـ انتهى كلام السهيلي.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله: لبيك لا شريك لك، قوله: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاث مائة سنة وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما

---

(١) الروض الآنف للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله مات في العام ٥٨١ هـ إنتهى من تأليفه في جمادي الأولى من السنة التي مات فيها!!

كان أحدثه لها عمرو الخزاعـي من عبادة الأصنام وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير ـ انتهى.

فثبت أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم عليه السلام إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين، ونأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر.

الأمر الثاني مما ننتصر لهذا المسلك آيات وآثار في ذرية إبراهيم وعقبه:

الآية الأولى: وهي أصرحها قوله تعالى: **﴿وإذ قال إبرٰهيم لأبيه وقومه إنني بـراء مما تعبـدون * إلا الذي فـطرني فإنـه سيهدين * وجعلهـا كلمة بـاقية في عقبه﴾**[1].

أخرج عبد بن حميد في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: لا إلـه إلا الله باقية في عقب إبراهيم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: لا إله إلا الله. وقال عبد بـن حميد، حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها بعده.

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: **﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده. أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم: فلم يزل بعد في ذرية إبراهيم من يقول: لا إله إلا الله؛ قال وقال آخر: فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة.

وأخرج عبد بن حميـد عن الزهـري في الآية قـال: العقب ولده الـذكور والإناث وأولاد الذكور.

---

(١) الزخرف الآية: ٢٦.

وأخرج عن عطاء قال: العقب ولده وعصبته.

الآية الثانية: قولـه تعالى: **﴿وإذ قـال إبرٰهيم رب اجعـل هذا البلد آمنـاً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾**[1].

وأخرج ابن جرير فـي تفسيـره عن مجاهد في هذه الآية قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته في ولده واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعله إماماً وجعل من ذريته من يقيم الصلاة.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه: أن آدم ـ عليه السلام ـ لما هبط إلى الأرض استوحش ـ فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام، وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام: وأجعله أمة واحدة قانتاً بأمري داعياً إلى سبيلي، أجتبيه وأهديه إلى الصراط المستقيم، أستجيب دعوته في ولده وذريتـه من بعده، وأشفعـه فيهم وأجعلهم أهـل ذلـك البيت وولاتـه وحمـاتـه ـ الحديث.

هذا الأثر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً، ولا شك أن ولاية البيت كانت معروفة بأجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم إلى أن انتزعها منهم عمرو الخزاعي، ثم عادت إليهم؛ فعرق أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله: **﴿رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي﴾**[2].

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: **﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾**!

---

(١) إبراهيم الآية: ٣٥.

(٢) إبراهيم الآية: ٤٠.

قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟ قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لايعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال: ﴿**اجعل هذا البلد آمناً**﴾، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: ﴿**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾ فيه، وقد خص أهله وقال: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة**﴾ فانظر إلى هذا الجواب من سفيان بن عيينة وهو أحد الأئمة المجتهدين وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما.

الآية الثالثة: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي**﴾.

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي**﴾، قال: فلن تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

الآية الرابعة: أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد[1] بن علي قال: قالت سارة لما بشرتها الملائكة: ﴿**يويلتي أ ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب**﴾[2]، فقالت الملائكة ترد على سارة: ﴿**أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾[3]، قال: فهو كقوله تعالى: ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾[4]؛ فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وآلهُ من عقب إبراهيم عليه السلام داخل في ذلك.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة، وأصله على ملة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بخير.

---

(١) هو الإمام زيد أحد أئمة أهل البيت صاحب مذهب، وقد رآه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ـ قتل في العام ١٢٢ هـ وله كرامات لطيفة..

(٢) هود الآية: ٧٢.

(٣) هود الآية: ٧٣.

(٤) الزخرف الآية: ٢٨.

وذكر أبو جعفر الطبري وغيره: أن الله أوحى إلى أرمياء أن اذهب إلى بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته على العرب، وأمر الله أرمياء أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا يصيبه النقمة فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل، ففعل أرمياء ذلك واحتمل معداً إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن.

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبدالله بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم».

وقال السهيلي في الروض الآنف في الحديث المروي: لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين. قلت: وقفت عليه مسنداً.

أخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حبان المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن بن داود بن عيسى المروزي أبو يعقوب الشعراني قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال: حدثنا عثمان بن فائد عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن [بن] أبي بكر الصديق رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين».

وأخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تسبوا تميماً وضبة فإنهم كانوا مسلمين».

وأخرج بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا قيساً فإنه كان مسلماً». ثم قال السهيلي: ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مسلماً مؤمناً». وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج.

قال: وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يـا ليتني شاهـد نجواء دعـوتـه　　إذا قريش تريـد الحق خذلانـا

قال: وقد ذكر الماوردي[1] هذا الخبر عن محمد بن كعب في كتاب أعلام النبوة ـ انتهى.

قلت: هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره: وكان بين موت كعب وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة سنة وستون سنة.

والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب الحاوي الكبير له كتاب أعلام النبوة في مجلد كثير الفوائد وقد رأيته وسأنقل منه في هذا الكتاب.

فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم عليه السلام، وولده مرة بن كعب الظـاهر أنه كذلك، لأن أباه أوصاه بالإيمان، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم: كلاب وقصي وعبد مناف وهشـام، ولم أظفر فيهم بنقـل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال، **أحدها**: وهـو الأشبه: أنه لم تبلغـه الدعوة، لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره.

والثاني: أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم، وهو ظاهر عموم قول الإمام فخر الدين وما تقدم عن مجـاهد وسفيـان بن عيينة وغيـرهما في تفسيـر الآيات السابقة.

والثالث: أن الله أحياه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى آمن

(١) في كشف الظنون عرف الماوردي بأنه الإمام أبو الحسن علي بن محمد الشافعي مات سنة ٤٥٠ هـ

به، وأسلم ثم مات، حكاه ابن سيد الناس، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها، لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره ولا قال بهذا القول أحد من أئمة السنة، إنما حكوه عن بعض الشيعة ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث، لأن خلاف الشيعة لا يعتد به.

قال السهيلي في الروض الآنف: وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل وابن أبي أمية وقال: يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب.

قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك. قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب، وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ـ فالله أعلم، غير أن في مسند البزار وكتاب النسائي من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها وقد عزت قوماً من الأنصار: لعلك بلغت معهم الكدي؟ فقالت: لا، فقال: لو كنت بلغت معهم الكدي ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك.

قال: وقد أخرجه أبو داود ولم يذكر فيه: حتى يراها جد أبيك. قال: وفي قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك، تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيى أباه وأمه وآمنا به ـ فالله أعلم، قال: ويحتمل أنه أراد تخويفها بذلك، لأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم حق وبلوغها معهم الكدي لا يوجب خلوداً في النار، هذا كله كلام السهيلي بحروفه.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: ظهر نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده. وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم

عن دنيات الأمور، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة - إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر في ذلك فقال: والله! إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته؛ وببركة ذلك النور قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظ، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس:

لا هـم إن المـرء يـمـنـع	رحـلـه فـامنـع حـلالـك
لا يـغـلـبـن صـلـيـبـهـم	ومحـالهم عدوا[1] محـالك
فـانصـر على آل الصليب	وعـابـديـه اليـوم آلـك

انتهى كلام الشهرستاني.

ومتناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الدية عشراً من الإبل، وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل أقرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وينضم إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال:

أنـا الـنـبـي لا كـذب	أنـا ابـن عبـد المـطلب

وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار.

روى البيهقي في الشعب من حديث أبي بن كعب ومعاذ بن جبل: أن رجلين انتسبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، أنا فلان بن فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان - إلى تسعة، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان الإسلام، فأوحى الله إلى موسى: هذان المنتسبان أما

(١) في نسخة: أبدا.

أنت أيها المنتسب إلى تسعة آباء في النار! فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين! فأنت ثالثهما في الجنة».

وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريحانة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وشرفاً فهو عاشرهم في النار».

وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده! لما يدحرج[1] الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهـون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها».

والأحاديث في ذلك المعنى كثيرة، وأوضح من ذلك في التقرير أن البيهقي أورد في شعب الإيمان حديث مسلم: إن في أمتي أربعاً من أمر الجاهلية ليسوا بتاركين: الفخر في الأحساب ـ الحديث.

وقال عقبه: وإن عورض هذا الحديث بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اصطفاء بني هاشم فقد قال الحليمي: لم يرد بذلك الفخر، إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول: كان أبي فقيهاً، لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه؛ قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ـ انتهى، فقوله: أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم أو الاشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر فيه، تقوية لمقالة الإمام فخر الدين وإجرائها على عمومها، كما لا يخفى إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد.

---

(١) في النهاية: لما يدهده الجعل خير من الذين ماتوا في الجاهلية.

ولا شك أن الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسير جداً لأن حديث البخاري وهو الذي فيه منع أبو جهل أبا طالب من الإيمان باستدلال ملة عبد المطلب مصادم قوي، وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب، والتأويل البعيد يأباه أهل الأصول؛ ولهذا لما رأى البيهقي تصادم الأدلة لم يقدر على الترجيح فوقف ـ فالله أعلم.

وهذا يصلح أن يعد قولاً رابعاً وهو الوقف، وأكثر ما خطر لي في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما.

وأما حديث النسائي فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه وإن لم يستوف، وإنما سهل الترجيح في جانب عبدالله مع أن فيه معارضاً قوياً وهو حديث مسلم، لأن ما قاله السهيلي تأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح، وقامت الأدلة على رجحان جانب التأويل فسهل المصير إليه ـ والله أعلم.

ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين إلا أنه لم يصرح كتصريحه فقال في كتابه أعلام النبوة لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والإرشاد لخلقه استخلصهم من أكرم العناصر واجتباهم بمحكم الأوامر فلم يكن لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح ليكون القلوب أصغى والنفوس لهم أوطأ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع؛ وإن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة.

وقد قال ابن عباس في تأويل قول الله تعالى: ﴿**وتقلبك في السجدين**﴾[1]، أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت، لأنهما صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتفرده نهاية

---

(١) الشعراء الآية: ٢١٩.

فيزول عنه إن شاركه فيه ويماثل منه، فلذلك مات عنه أبواه في صغره، فأماأبوه فمات وهو حمل، وأماأمه فماتت وهو ابن ست سنين، وإذاخبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس في آبائه مسترذل ولا مغمور مسبل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة ـ انتهى كلام الماوردي بحروفه.

وقال أبو جعفر النحاس[1] في معاني القرآن في قوله تعالى: ﴿**وتقلبك في السجدتين**﴾: روي عن ابن عباس أنه قال: تقلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً: وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي: **أشعار**:

تنقــل أحمـد نــوراً عـظيمــاً ... تـلألأ في جباه الســاجـدينـا
تقلب فـيهـم قــرنــاً فقــرنــاً ... إلى أن جـاء خيـر المــرسلينا

وقال أيضاً:

حفظ الإلــه كـرامــة لمحمـد ... آبـاءه الأمجـاد صـونـاً لاسمـه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره ... مــن آدم وإلـى أبـيــه وأمــه

وقال الشريف البوصيري[2] صاحب البردة رحمه الله:

كيف تــرقى رقيــك الأنـبيــاء ... يـا سمـاء مـا طـاولتهـا سمـاء
لم يســاووك في عــلاك وقــد ... حال سماء منـك دونهم وسماء
إنــمــا مثـلوا صفــاتــك لـلنـ ... ـاس كمـا مثـل النجـوم المـاء
أنت مصبـاح كـل فضــل فمـا ... تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنـهــا لآدم الأسـمــاء
ولم تزل في ضمائر الغيب[3] يختا ... ر لــك الأمــهــات والآبــاء

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوي مات عام ٣٢٨ على الأرجح.
(٢) هو الإمام الشاعر الشهير الذي خص النبي المصطفى بحسان القصائد شرف الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد الدولاصي مات في العام ٦٩٤ هـ. أشهر قصائده (أم القرى).
(٣) في رواية الكون.

مـامضت فترة من الـرسـل إلا ... بشـرت قـومهـا بـك الأنبيـاء
تتبـاهى بـك العصـور وتسمـو ... بـك عليـاء بعـدهـا عليـاء
وبــدا للوجـود منـك كـريم ... مــن كـريـم آبـاؤه كـرمـاء
نسب تحسـب العـلى بحـلاه ... قلدتهـا نجـومهـا الـجـوزاء
ومنهـا فهنيئاً بـه لآمنـة الفضـ ... ـل الــذي شـرفت بــه حـواء
من الحواء أنها حملت أحمـد ... أو أنــهـا بــه نــفـسـاء
يـوم نالت بـوضعـه ابنـة وهب ... من فخـار مـا لم تنله النسـاء
وأتت قـومهـا بـأفضـل ممـا ... حملت قبــل مـريم العــذراء

فائدة

قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبي حدثنا موسى بن أيوب النصيبي، حدثنا حمزة عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: بين النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم وبين آدم ـ عليه السلام ـ تسعة وأربعون أباً.

الأمر الثالث: أثر ورد في أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم[1] عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بــارك فـيــك الله مـن غــلام ... يا بـن الـذي من حومة الحمام
نجـا بعـون الملك المنعـام ... قـودي غداة الضـرب بالسهـام
بـمـائــة مــن إبــل سـوام ... إن صح ما أبصـرت في المنام
فـأنـت مبعـوث إلى الأنـام ... من عنــد ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحـل وفي الحـرم ... تبعث بـالتحقـيق والإسـلام

(١) هكذا وردت في الأصل ولعلها وهم ـ والله أعلم. . .

دين أبيك البر إبراهام فالله ينهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً، ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمنيه ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبدالله والقرينه أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر في المدينه صارت لدى حفرتها رهينه

وأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام، والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام، وببعث ولدها إلى الأنام، من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام، وهذه الألفاظ منافية للشرك. وقولها: تبعث بالتحقيق، كذا هو في النسخة، وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف.

ثم أني استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات، فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وموسى وحواء أم شيث عليهم السلام مذكورات في القرآن بل قيل بنبوتهن، ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسمعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل عليهم السلام، ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم عليهم السلام، ورجحه ابن حبان في تفسيره.

وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه لم يكن بين نوح وآدم عليهما السلام ولد كافر، ولهذا قال: **﴿رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾**[1].

وقال إبراهيم: **﴿ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾**[2] ولم

---

(١) نوح الآية: ٢٨.
(٢) إبراهيم الآية: ٤١.

يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه، فدل على أنها كانت مؤمنة.

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة، نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم، وإسمعيل، وإسحاق، ويعقوب ومحمد عليهم الصلاة والسلام؛ وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهم مؤمنات، وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولادهم فإن النبوة كانت تكون في سبط منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم.

وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسمعيل وإسحاق ويعقوب، وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن، فكذلك أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور، ورد في الحديث.

أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينة، وسأخبركم عن ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت». وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام، ولا شك أن الذي رأته أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء، كما سقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات.

وقد ذكر بعضهم: أنه لم يرضعه مرضعة إلا أسلمت، قال: ومرضعاته أربع: أمه وحليمة السعدية، وثويبة، وأم أيمن ـ انتهى.

فإن قلت: فما تصنع بالأحاديث الدالة على كفرها وأنها في النار؟ وهي

حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليت شعري ما فعل أبواي! فنـزلت: ﴿ولا تسئل عن اصحٰبِ الجحيم﴾[1].

وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبرئيل في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً. وحديث أنه نزل فيها:

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[2]. وحديث أنه قال لابني مليكة: أمكما في النار، فشق عليهما فدعاهما فقال: إن أمي مع أمكما.

قلت: الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف، ولم يصح في أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يـؤذن له، ولم يصح أيضاً في أمه إلا حديث مسلم خاصة؛ وسيأتي الجواب عنهما.

وأما الأحاديث التي ذكرت فحديث: ليت شعري ما فعل أبواي! فنزلت الآية، لم يخرج في شيء من كتب الأحاديث المعتمدة، وإما ذكره في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه.

ولو جئتنا تحتج بالأحـاديث الواهيـة لعارضنـاك بحديث واه: أخـرجه ابن الجوزي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: هبط جبرئيل عليّ فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك. ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي إلا أنا لا نرى ذلك ولا نحتج به.

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جملة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الأبيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى: ﴿يٰبني إسرائيـل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفـوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾ ـ إلى قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبرٰهيم ربه﴾[3]، ولهذا

---

(١) البقرة الآية: ١١٩.

(٢) التوبة الآية: ١١٣.

(٣) البقرة الآية: ٤٠ ـ ٤١.

ختمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى: **﴿يبني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾**[1] ـ الآيتين؛ فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب.

وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر، أخرج عبد بن حميد والفريـابي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل إشارة صحيحة، ومما يؤكد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، وترشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار.

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى: **﴿أصحٰب الجحيم﴾**، ما عظم من النار.

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: **﴿لها سبعة أبواب﴾**[2]، قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم ثم الهاوية، قال: والجحيم فيها أبو جهل. إسناده صحيح أيضاً، فاللائق لهذه المنزلة من عظم كفره وأشد وزره وعاند عند الدعوة وبدّل وحرّف وجحد بعد علم، لا من هو بمظنة التخفيف، وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النـار عذاباً لقرابته منه صلى الله عليه وآله وسلم وبره به مع إداركه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه الذين هما أشد منه قرباً وآكد حباً، وأبسط عذراً وأقصر عمراً! فمعاذ الله أن يظن أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم! هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم.

وأما حديث أن جبرئيل ضرب في صدره وقال: لا تستغفر لمن مات مشركاً،

---

(١) البقرة الآية: ٤٠.

(٢) الحجر الآية: ٤٤.

فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف، وأما حديث نزول الآية في ذلك فضعيف أيضاً، والثابت في الصحيح أنها نزلت في أبي طالب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك».

وأما حديث: أمي مع أمكما، فأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح: وشأن المستدرك في تساهله في التصحيح معروف، وقد تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرده بالصحيح.

ثم إن الذهبي في مختصر المستدرك لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم: صحيح، قال عقبه قلت: لا والله! فعثمان بن عمير ضعفه الدارقطني؛ فبين الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يميناً شرعياً. وإذا لم يكن في المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال.

الأمر الرابع: فيما ننتصر به لهذه المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم حنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك، فما المانع أن يكون أبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلكوا سبيلهم في كل ذلك!

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في التلقيح:[1] تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق، زيد بن عمرو بن نفيل، عبدالله بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن نوفل، رباب بنت البراء، أسعد بن كريب الحميري، قس بن ساعدة الأيادي، أبو قيس بن صرمة ـ انتهى.

وقد وردت الأحاديث بتحقيق زيد بن عمرو بن نفيل وورقة وقس، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش! ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم! إني لو

---

(١) أورده حاجي خليفة في كشف الظنون بالاسم كاملاً (تلقيح فهوم الأثرة في التاريخ والسيرة) لمؤلفه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى في العام ٥٩٧ هـ.

أعلم أحب الوجود إليك عبدتك به ولكني لا أعلم.

قلت: ويؤيد هذا ما تقدم في المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها.

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة.

أخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة: أن عمرو بن حبيب أدرك الإسلام.

وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعري: وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه، فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة، وقال آخرون: بل إراد أنه لم يزل بحالة مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار. وقال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك، وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم يحفظ عنه في حق غيره؛ فالصواب أن يقال: لم يثبت عنه حالة كفر بالله فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة - انتهى كلام السبكي.

قلت: وكذلك نقول في حق أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنهما لم يثبت عنهما حالة كفر بالله فلعل حالهما كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بكر الصديق وأضرابهما، مع أن الصديق وزيد بن عمرو إنما حصل لهما التخفيف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكان يودانه كثيراً فأبواه أولى بعود بركته عليهما وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية.

فإن قلت: بقيت عقدة واحدة وهي ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال:

يا رسول الله! أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار.
وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له. فاحلل هذه العقدة.

قلت: على الرأس والعين الجواب، إن هذه اللفظة وهي قوله: إن أبي وأباك في النار، لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهي الطريق التي رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر: إن أبي وأباك في النار، ولكن قاله له: إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمر البتة وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمراً أثبت من حماد، فإن حماداً تُكلم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها؛ ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً، ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت.

قال الحاكم في المدخل: ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت.

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري، عن عامر بن سعد[1] عن أبيه: أن إعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أين أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

وهذا إسناد على شرط الشيخين، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره.

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات: أنه كان ثقة كثير الحديث، وقال الواقدي توفي في العام (٤٠٠ هـ).

وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره قال: فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم[1] عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله! إنَّ أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال: في النار. قال: فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله! فأين أبوك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار»، فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله. ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة، وقد أعله الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك وقال: إن الثابت من طريق آخر ينفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ.

ونحن أجبنا عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة، ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضاً لما تقدم من الأدلة.

والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقر في الأصول.

---

(١) سالم أحد الفقهاء السبعة عبدالله بن عمر العدوي المدني قال فيه ابن إسحاق: أصح الأسانيد كلها: الزهري عن سالم عن أبيه توفي في العام ٦٠٠ هـ على الأرجح.

وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعله كانت علتها تبعات غير الكفر فمنع أيضاً من الاستغفار لها بسببها، والجواب الأول أنقد وهذا تأويل في الجملة.

ثم رأيت طريقاً للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحاً وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى الله عليه وآله وسلم فعدي عن ذلك تأملاً وتأدباً، فأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال: فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الناس خطيباً ـ فذكر الحديث إلى أن قال فقلت: يا رسول الله! هل في أحد ممن مضى منا في الجاهلية من خير؟ فقال رجل من عرض قريش: إن أباك المنتفق في النار، فكأنه وقع بحر بين جلد وجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم نظرت فإذا الأخرى أجمل فقلت: وأهلك يا رسول الله؟ قال: ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل: أرسلني إليك محمد فأبشرك بما بشرك.

هذه رواية لا إشكال فيها، وهي أوضح الروايات وأبينها تقريراً، وما المانع أن يكون قول السائل: فأين أبوك؟ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أنس: إن أبي إن ثبت المراد به عمه أبو طالب لا أبوه عبدالله كما قال بذلك الإمام فخر الدين في أب إبراهيم أنه عمه، وقد تقدم نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وابن جريج والسدي، ويرشحه ها هنا أمران:

الأمر الأول: إن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا كانوا يقولون له: قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا. وقال لهم أبو طالب مرة ـ لما قالوا له: أعطنا ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه ـ: أعطيكم ابني تقتلونه وآخذ ابنكم أكفله لكم!

ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل له

بحيراء فقال له: ما هذا منك؟ قال: هو ابني، فقال: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. فكانت تسمية أبي طالب أبا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم شائعة عندهم لكونه عمه، وكونه رباه وكفله من صغره، وكان يحوطه ويحفظه وينصره، فكان مظنة السؤال عنه.

الأمر الثاني: إنه وقع في حديث شبه هذا ذكر أبي طالب في دلائل القصد، أخرج الطبراني عن أم سلمة: أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله! إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إلٰه إلا الله فهو جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار، فأخرجه الله لمكانه مني وإحسانه إليّ فجعله في ضحضاح من النار.

تنبيه

قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها وأجابوا عن الأحاديث الواردة فيهما بأنها منسوخة كما أجابوا عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار، وقالوا: الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[1]، ولأحاديث الأبوين قوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**[2].

ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقرنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم.

وهذا جواب مختصر مفيد يغني عن كل جواب إلا أنه يتأتى على المسلك

---

(١) فاطر الآية: ١٨.

(٢) الإسراء الآية: ١٥.

الأول دون الثاني كما هو واضح، فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني.

تتمة

قد ثبت في الحديث: أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب. وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه. وهذا يدل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسا في النار، لأنهما لو كانا فيها لكانا أهون عذاباً من أبي طالب لأنهما أقرب منه مكاناً وأبسط عذراً، لأنهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب، وقد أخبر الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وآله وسلم: أنه أهون أهل النار عذاباً، فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

منصب ميدان جدلي

المجادلون في هذا الزمان كثير خصوصاً في هذه المسألة وأكثرهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال فالكلام معهم ضائع غير أني أنظر الذي يجادل وأكلمه بطريق يقرب من ذهنه فإنه أكثر ما عنده أن يقول: الذي ثبت في صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول، فإن كان الذي يجادل بذلك، من أهل مذهبنا شافعي المذهب أقول له: قد ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الصلاة ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾.

وأنت لا تصحح الصلاة بدون البسملة. وثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون»؛ وأنت ـ إذا قال: سمع الله لمن حمده ـ تقول: سمع الله لمن حمده مثله، وإذا صلى جالساً بعذر وأنت قادر تصلي خلفه قائماً لا جالساً.

وثبت في الصحيحين في حديث التيمم: إنما يكفيك أن تقول بيديك

هكذا، ثم ضرب بيده ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه، وأنت لا تكتفي في التيمم بضربة واحدة ولا بالمسح إلى الكوعين، فكيف خالفت الأحاديث التي ثبتت في الصحيحين أو أحدهما؟ فلا بد إن كانت عنده رائحة من العلم أن يقول: قامت أدلة أخرى معارضة لهذه فقدمت عليها، فأقول له: وهذا مثله لا يحتج عليه إلا بهذه الطريقة فإنها ملزمة له ولأمثاله.

فإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: المتبائعان بالخيار ما لم يتفرقا، وأنت لا تثبت خيار المجلس. وثبت في صحيح مسلم: أنه صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه، وأنت توجب في الوضوء مسح كل الرأس، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيح؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه، فأقول له: وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنفي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، وأنت لا تشترط في النجاسة الكلبية سبعاً.

وثبت في الصحيحين: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، وأنت تصحح الصلاة بدونها. وثبت في الصحيحين: ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة في الاعتدال. وصح في الحديث: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً، وأنت لا تعتبر القلتين.

وصح في الصحيحين: أنه صلى الله عليه وآله وسلم باع المدبر، وأنت لا تقول ببيع المدبر، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة؟ فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة لها فقدمت عليها، فأقول له: وهذا مثله.

وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول له: قد ثبت في الصحيحين: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم»، وثبت فيهما: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين»، وأنت تقوم بصيام يوم الشك، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيحين؟

فيقول: قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه، فأقول له: وهذا مثله، هذا أقرب بالقرب به لأذهـان الناس اليوم.

وإن كان المجادل ممن يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له: قد قالت الأقدمون: المحدث بلا فقه كعطار غير طبيب، فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار يعرف ما يصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده.

وإني بحمد الله قد اجتمع عندي الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك؛ فأنا أعرف كيف أتكلم، وكيف أقول، وكيف أستدل، وكيف أرجح. أما أنت يا أخي! ـ وفقني الله وإياك ـ فلا يصلح لك ذلك لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول، ولا شيئاً من الآلات والكلام في الحديث، والاستدلال به ليس بالهين ولا يحل الاقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم، فاقتصر على ما آتاك الله وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول: ورد أو لم يرد، وصححه الحفاظ أو حسنوه أو ضعفوه، لا يحل لك في الإفتاء سوى هذا القدر وخل ما عدا ذلك لأهله.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وثم أمر آخر أخاطب به كل ذي مذهب من مقلدي المذاهب الأربعة، وذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن طلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وصدراً من إمارة عمر رضي الله عنهما. فأقول لكل طالب علم: هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث: إن من قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، تطلق واحدة فقط؟ فإن قال: نعم، أعرضت عنه، وإن قال: لا، أقول له: فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم؟ فإن قال: لما عارضه؛ أقول له: فاجعل هذا مثله. والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له.

المسلك الثالث

إن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به، وهذا المسلك مال إليه طائفة كبيرة من

حفاظ المحدثين وغيرهم، منهم: ابن شاهين[1] والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وغيرهم، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ، والخطيب البغدادي في السابق واللاحق والدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك بسند ضعيف عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً ثم عاد إليّ وهو فرح متبسم، فقلت له، فقال: ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله.

هذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل: إنه موضوع، لكن الصواب ضعفه لا وضعه، وقد ألفت في بيان ذلك جزءاً مفرداً. وأورد السهيلي في الروض الآنف بسند قال: إن فيه مجهولين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما.

وقال السهيلي بعد إيراده: الله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته.

وقال القرطبي: لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار، وإن حديث إحيائهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي الله عنها: أن ذلك كان في حجة الوداع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال العلامة ناصر الدين بن المنير المالكي في كتاب المقتفى في شرف المصطفى: قد وقع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم ـ إلى أن قال: وجاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) عرّف به حاجي خليفة في كشف الظنون فذكر أنه أبو حفص عمر بن شاهين البغدادي الواعظ مات عام ٥٨٣ هـ.

لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحياهما فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين.

وقال القرطبي: فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما به الممتنع عقلاً ولا شرعاً.

وقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل والأخبار بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى؛ قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته.

وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في سيرته بعد ذكر قصة الإحياء والأحاديث الواردة في التعذيب: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه لديه من الكرامات حين القدوم عليه، فمن الجائز أن يكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى.

وقد أشار بعض العلماء إلى ذلك فقال بعد إيراده خبر حليمة وما أسداه صلى الله عليه وآله وسلم إليها حين قدومها عليه:

هذا جزاء الأم عن إرضاعه	لكن جزاء الله عنه عظيم
وكذاك أرجو أن يكون لأمه	عن ذاك آمنة بدر نعيم
ويكون أحياها الإلهُ وآمنت	بمحمد فحديثها معلوم
فلربما سعدت به أيضاً كما	سعدت به بعد الشقاء حليم

وقال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي[1] في كتابه المسمى مورد الصادي في مولد الهادي بعد إيراد الحديث منتشداً لنفسه:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

خاتمة

وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك فأبقوا حديثي مسلم ونحوهما على ظاهرها من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك. قال السهيلي في الروض الآنف بعد إيراده حديث مسلم: وليس لنا بحق أن نقول ذلك في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات، وقال تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله**﴾[2] ـ الآية».

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون[3] لقوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار.

ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس وهو الوقف. قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه الفجر المنير: الله أعلم بحال أبويه. وقال الباجي في شرح الموطأ: قال بعض العلماء: إنه لا يجوز أن يؤذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح، وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره؛ قال: ولذلك قال النبي

---

(١) مات في العام ٨٤٢ هـ.

(٢) الأحزاب الآية: ٥٧.

(٣) وهذا ما تستريح إليه نفوسنا والله سبحانه وتعالى أعلم...

صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل: إنما فاطمة بضعة مني وإني لا أحرم ما أحل الله تعالى، ولكن والله! لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبداً! فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح.

واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله**﴾ - الآيتين، فشرط على المؤمنين أن يؤذوا ﴿**بغير ما اكتسبوا**﴾ وأطلق الأذى في خاصة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير شرط - انتهى.

المسألة

وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتاً أختم بها هذا التأليف فقلت:

إن الـــذي بعث النبي محمـدا ... أنجى بـه الثقلين ممـا يحجف[1]

ولأمــه وأبيـــه حكـم شــائـع ... أبـداه أهل العلم فيمـا صنفـوا

فجماعة أجروها مجـرى الذي ... لم يأته خبـر الدعـاة المسعف

والحكم فيمن لم تجئـه دعـوة ... أن لا عذاب عليه حكم مؤلف

فبــذاك قـال الشــافعية كلهم ... والأشعــريـة مــا بهم متـوقف

وبســورة الإسـراء فيــه حجة ... وبنحو ذا في الذكـر آي تعرف

ولبعض أهـل الفقـه في تعليله ... معنى أرق من النسيم وألـطف

إذ هم على الفطر التي ولدوا ولم ... يــظهـــر عنــاد منهم وتــخلف

ونحا الإمام الفخر رازي الورى ... منحــاً بـــه للســامعين تشنف

قال الأولى ولدوا النبي المصطفى ... كـل على التـوحيـد إذ يتحنف

مـن آدم لأبيــه عـبــدالله مــا ... فيهم أخـو شـرك ولا مستنكف

فالمشركـون كما بسـورة توبـة ... نجس وكلهم بـطهـر يــوصف

وبســـورة الشعـراء فيــه تقلب ... في الساجدين فكلهم متحنف

هذا كلام الشيخ فخر الدين في ... أسـراره هـطلت عليـه الـذرف

---

(١) سياق المعنى خوف أن يهلك والله أعلم.

فجزاه رب العرش خير جزائه وحباه جنات النعيم تزخرف

فلقد تدين في زمان الجاهليـ ـة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو بن نفيل هكذا الصـ ـديق ما شرك عليه يعكف

قد فسر السبكي بذاك مقالة للأشعري وما سواه مزيف
إن لم يكن عين الرضا منه على الصـ ـديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما دارت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه أبويه حتى آمنا لا خوفوا
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً في ذاك لكن الحديث مضعف
هذا مسالك لو تفرد بعضها لكفى فكيف لها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته أدباً ولكن أين من هو مصنف
صلى الإله على النبي محمد ما جدد الدين الحنيف محنف

حديث يتعلق بهما

قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو جعفر الرازي أنبأ يحيى بن جعفر أنا زيد بن الحباب أنا ياسين بن معاذ ثنا[1] عبدالله بن يزيد عن طلق بن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرىء فيها بفاتحة الكتاب فنادى: يا محمد! لأجبتهما: لبيك». قال البيهقي ياسين بن معاذ ضعيف.

فائدة

قال الأزرقي في تاريخ مكة: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت إلى النبي صلى الله عليه

(١) في سند الحديث وردت الرموز التالية: أنا= بمعنى أنبأنا، وثنا= بمعنى حدثنا. .

وآله وسلم في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء[1]، قالت هند ابنة عتبة لأبي سفيان بن حرب: لم بحثتم قبر آمنة أم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنه بالأبواء فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش، فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب! إذن يبحث بنو بكر موتانا.

فائدة

من شعر عبدالله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أورده الصلاح الصفدي في تذكرته:

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
وأن أبي ذو المجد والسؤدد الذي ... يشار به ما بين بسر إلى حفض
وجدي وآباء لـه ابلوا العلى قديماً ... لطلب العرف والحسب المحض

* * * *

تذكرة المؤلف الهمام على قدر السعة في الاختتام

هو الشيخ الإمام العالم العلامة، العمدة الفهامة، وحيد دهره، فريد عصره، جامع أشتات الفضائل، حاوي عقود جواهر الأواخر والأوائل، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام والحبر الهمام كمال الدين أبي بكر السيوطي

---

(١) ذكر صاحب معجم البلدان بأن الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل، قال السكري: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، وكان السبب في دفنها هناك أن عبدالله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها؛ ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء. والله أعلم.

الشافعي تغمدهما الله برحمته وأسكنهما بحبوحة جنته.

قال المؤلف في ترجمته في كتابه حسن المحاضرة: كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمان مائة، وحملت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي فبرك علي، ونشأت يتيماً فحفظت القرآن ولي دون ثمان سنين، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين.

وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين، وقد ألفت في هذه السنة فكان أول شيء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة وأوقفت عليه شيخاً شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، فكتب عليه تقريظاً، ولازمته في الفقه إلى أن مات رحمه الله تعالى.

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي فواظبته أربع سنين، وكتب لي تقريظاً على شرح ألفية ابن مالك، وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفي، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه، ورجع إلى قولي مجرداً في حديث، ولم انفك عن الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى.

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك وكتب لي إجازة عظيمة، وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاث مائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه. وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر رحمة الله عليهما.

ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة.

وقد كملت عندي الآن آلات الجهاد الاجتهاد، بحمد الله تعالى. أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ونقوضها وأجوبتها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولي ولا قوتي - انتهى ملخصاً حسب مقتضى المقام.

ثم ذكر المؤلف فهرس مؤلفاته على ثلاث صفحات تركت نقله لضيق المقام، وسأنقله إن شاء الله على ختم رسالة أخرى فإنه يورث العلم الإجمالي على ما في المؤلفات، فإن الأسماء تدل على المسميات.

وقال العالم اليلمعي المولوي عبد الحي اللكهنوي الهندي رحمه الله في كتابه التعليقات السنية: هو مجدد المائة التاسعة خاتم الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين الأسيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ. صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان وانتفع بها الإنس والجان وقد زادت على خمس مائة، وشهرة ذكره تغني عن وصفه رحمه الله رحمة واسعة كاملة شاملة دائمة.

وقال خير الدين الزركلي في الجزء الرابع من قاموس تراجم الأعلام: الجلال السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ/١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيماً (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً كأنه لا يعرف أحداً منهم. فألف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردّها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي - انتهى مختصراً.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

نشر العلمين المنيفين
في
احياء الابوين الشريفين

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ هذا تأليف يسمى **نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين**، قال الله تعالى حكاية عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿ويٰقوم ما لي أدعوكم إلى النجوٰة وتدعونني إلى النار﴾**[1]، قد ألفت عدة مؤلفات في نجاة والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبينت فيها مسالك الناس في ذلك وما لهم من مقال وحجج واستدلال مع علمي بالأحاديث الواردة بما يخالف ذلك وقول كثير من العلماء بمقتضاها، وقصدي بنصرة تلك الأقوال أمور:

أحدها: كف الناس عن التكلم بذلك القول الصعب، لأن الأئمة قد قصوا على أنه ليس لنا أن نقوله لأنه يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال الإمام السهيلي في الروض الأنف بعد إيراده حديث مسلم وغيره: وليس لنا أن نقول ذلك في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تؤذوا الأحياء بالأموات»، والله تعالى يقول: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾**[2].

وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد ائمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾**[3] ـ الآية، قال: ولا أذى أعظم

---

(١) غافر الآية: ٤١.

(٢) الأحزاب الآية: ٥٧.

(٣) الأحزاب الآية: ٥٧.

من أن يقال عن أبيه إنه في النار، وذكر القاضي عياض في الشفاء أن كاتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال بحضرته: كان أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافراً، فعزله وقال: لا تكتب لي أبداً! والأثر في الحلية لأبي نعيم، وفي ذم الكلام للهروي(١) وفيه: إن عمر لما سمعه ذلك فغضب غضباً شديداً وعزله من الدواوين.

الثاني: شرح صدور المؤمنين بذلك، لأن كل من سمع أن من العلماء من قال بنجاة والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخولهما الجنة وأنه استخرج لذلك دليلاً وأخرجه على قاعدة مقررة فإنه بلا شك ينشرح صدره ويفرح قلبه ويسر خاطره ويعجبه ذلك، وإذا كانت المسائل الخلافية يجوز للإنسان فيها أن ينتقل عن قول مذهبه ويقلد مذهب غيره، لأن فيه له فسحة وفرجاً كتقليد من هو متمذهب لمذهب الشافعي لمذهب الحنابلة في جعل الخلع فسخاً لا طلاقاً، ومن هو متمذهب لأبي حنيفة لمذهب الشافعية في عدم الصفة، ونظائر ذلك؛ فالاقتداء في هذه المسألة بأقوال القائلين بالنجاة أولى بلا شك، وللأولوية وجوه:

منها أن الانتقال في تلك المسائل إليها إنما هو لغرض نفسه لإزاحة الحرج عنه وجلب التيسير له، والانتقال في هذه لمجرد السرور بما يقر عين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيه غرض للنفس البتة.

ومنها أن في ذلك إظهار السرور بما يسر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والمساءة بما يشق عليه.

ومنها أن فيه الإشارة بشرف وفضيلة لأصوله، ومعجزة وخصوصية له.

ومنها أن فيه شغلاً للناس بهذا القول عن اشتغالهم ذلك القول الذي حث العلماء على السكوت عنه.

ومنها أنه ليس فيه ضرر البتة ولا فوات حق ولا ترتب شيء في الذمة بخلاف

---

(١) عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي المعروف بشيخ الإسلام وكنيته أبو إسماعيل مات عام ٤٨١ هـ.

تلك المسائل فإن فيها ترتب منع وتحريم عند المذهب المنتقل عنه؛ ولهذا كان الورع في مسائل الخلاف الأخذ بالأحوط.

الثالث: التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب مرضاته والتوسل إلى شفاعته بالسعي في تقرير هذا الأمر، وإعمال الجهد في استخراج النقول والأدلة وضم بعضها الى بعض، فإن في ذلك أجراً عظيماً.

ولا شك أنها مسألة اجتهادية، الساعي فيها مأجور على كل حال أصاب الحق في نفس الأمر أم أخطأ، ثم إن أصاب كان له أجران وإن أخطأ كان له أجر واحد.

وقد بلغني عن رجل من أهل العلم بالحديث أنه عارضني في ذلك وألف كتاباً وقرر فيه أنهما في النار، فأجاب عن حجج القائلين بنجاتهما ووهاها؛ فالحمد لله المنعم المتفضل، ولا شك أن الأجوبة التي وهى بها تلك الحجج يعرف سقمها من كتبنا المؤلفة في المسألة فلا حاجة إلى الاشتغال بها، وبقي أمر واحد يختص بصناعة الحديث وذلك أنه قطع وجزم بأن الحديث الذي ورد في إحيائهما موضوع، ونحن أشرنا هناك إلى أن الصواب أنه ضعيف لا موضوع، فإن الحفاظ في ذلك مختلفون لم يتفقوا على الحكم بوضعه، بل منهم من حكم بوضعه ومنهم من حكم بضعفه فقط وهو الصواب؛ فألفت هذا الجزء في بيان ذلك ـ والله الموفق.

فنقول: قال الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتابه الناسخ والمنسوخ، حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار، ثنا محمد بن يحيى الحضرمي بمكة، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً فقلت: يا رسول الله! صلى الله عليه وآله وسلم نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقمت به ماء شاء الله، ثم رجعت مسروراً قال

سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها.

هذا الحديث أخرجه ابن شاهين هكذا في الناسخ والمنسوخ وجعله ناسخاً للأحاديث الواردة أنه صلى الله عليه وآله وسلم استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يأذن له.

وللحديث الوارد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا ابني مليكة! أمكما في النار! ثم قال: أمي مع أمكما في النار»!

وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: محمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى، ومحمد بن يحيى مجهولان. قلت: أما محمد بن يحيى فقد ذكره الذهبي في الميزان والمغني معاً فقال: محمد بن يحيى أبو غزية المدني الزهري، قال الدارقطني: مجهول، وقال الأزدي: ضعيف ـ هذه عبارته، فقد عرف بالضعف لا بالوضع، ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف.

وقال شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر في لسان الميزان بعد ذكره كلام ابن الجوزي: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف، له ترجمة جيدة في تاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس فقال: محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبدالله، ولقبه أبو غزية، مدني قدم مصر، وله كنيتان، روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسي وزكريا بن يحيى الثغري، وسهل بن سوادة الغافقي ومحمد بن عبدالله بن حكيم ومحمد بن فيروز، ومات في يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين: وقال الدارقطني في غرائب مالك: أبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث ـ انتهى.

وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضاً فقد ذكره الذهبي في الميزان وقال: روى عن حرملة التجيبي، ولينه أبو سعيد بن يونس ـ انتهى. ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه. وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكره ابن الجوزي فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة في التفسير؛ قال الذهبي في

الميزان: صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه، أثنى عليه أبو عمرو الداني، وحدث بمناكير - انتهى. قلت: ومع ذلك فلم ينفرد النقاش ولا أحمد بن يحيى بهذا الحديث، بل له طريقان آخران عن أبي غزية نوردهما:

قال الحافظ محب الدين الطبري في السيرة: أخبرنا أبو الحسن المقبري أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن يحيى الزهري، حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله، ثم رجع مسروراً قال: سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق: أخبرنا أبو العلاء الواسطي، حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي: حدثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية حدثنا عبد الوهاب بن موسى، حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة يعني عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء! استمسكي! فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إليّ وهو فرح متبسم فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إليّ فأنت متبسم فمم يا رسول الله؟ قال: ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها. أخرجه من هذا الطريق الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في غرائب مالك وقال: منكر.

قلت: والمنكر من أقسام الضعيف لا الموضوع، وهو أعلى رتبة من المتروك

الذي هو أيضاً من قسم الضعيف لا الموضوع كما هو مقرر في علم الحديث. والكعبي فيه جهالة، وأبو طالب عمر بن الربيع الخشاب ضعفه الدارقطني، وقال سلمة بن قاسم: تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وكان كثير الحديث، توفي سنة أربعين وثلاث مائة بمصر؛ فعرف أن مدار الحديث على أبي غزية وهو ضعيف، وأما شيخه عبد الوهاب بن موسى الزهري فيكنى بأبي العباس، ذكره الخطيب في الرواة عن مالك وأورد له أثراً من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري قال: حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، حدثنا مالك بن أنس، حدثني عبدالله بن دينار، عن سعد بن الحارث مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار ـ رضي الله عنه ـ قال لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه: إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. وهذا الأثر معروف عن مالك أخرجه ابن سعد في الطبقات عن معن بن عيسى، عن مالك بسنده ومتنه سواء، فزال جهالة عين عبد الوهاب التي ظنها الذهبي برواية ثان عنه بروايته المعروفة، وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبي الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عنه، فرواه مرة هكذا ومرة هكذا.

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: إن عبد الوهاب بن موسى ذكره الخطيب في الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهرياً، وأورد له أثراً موقوفاً وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحاً، وأورده الدارقطني في الغرائب من هذا الوجه وقال: هذا صحيح عن مالك، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ـ انتهى.

وقد أعل الذهبي الحديث أعني حديث الإحياء بأمرين: جهالة عبد الوهاب، ومخالفته لما صح من أنه صلى الله عليه وآله وسلم استأذن ربه في الاستغفار لها فلم يأذن له؛ فأما جهالة عبد الوهاب فقد زالت بما استدرك عليه الحافظ ابن حجر، ففي اللسان من أنه معروف وثقة، لم يذكر بجرح؛ وأما مخالفته للحديث الصحيح فقد أجاب عنه الأئمة كما سنذكره.

قال الحافظ ابن حجر في اللسان: قد سبق ابن الجوزي الى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في كتاب الأباطيل وقال في نكته على ابن الصلاح: قد أخطأ من حكم بالوضع لمجرد مخالفة السنة وأكثر عن ذلك الجوزقاني في كتاب الأباطيل، وهذا إنما يتأتى حيث لا يمكن الجمع بوجه من الوجوه، أما مع إمكان الجمع فلا، كما زعم بعضهم أن الحديث الذي رواه الترمذي، وحسنه من حديث أبي هريرة: لا يؤمن عبد قوماً فيخص نفسه بدعوة دونهم، فإن فعل فقد خانهم. موضوع لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد صح عنه أنه كان يقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي! وغير ذلك لأنا نقول: يمكن حمله على ما لا يشرع للمصلي من الأدعية، لأن الإمام والمأموم يشتركان فيه بخلاف ما لم يؤثر.

وكما زعم ابن حبان في صحيحه أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لست كأحدكم، إني أطعم وأسقى» دال على أن الأخبار التي فيها أنه كان يضع الحجر على بطنه من الجوع باطلة، وقد رد ذلك عليه الحافظ ضياء الدين فشفى وكفى ـ هذا كله كلام الحافظ ابن حجر في النكت.

قال الشيخ بدر الدين الزركشي في تعليقه على ابن الصلاح: جعل بعضهم من دلائل الوضع أن يخالف صحيح السنة، وهذه هي طريقة ابن خزيمة وابن حبان، وهي طريقة ضعيفة لاسيما حيث أمكن الجمع، قال ابن خزيمة في صحيحه: حديث: لا يؤمّن عبد قوماً فيخص نفسه بدعوة، فإن فعل فقد خانهم. هذا حديث موضوع، فقد ثبت قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي»! والحديث لا ينتهي إلى ذلك، فقد حسنه الترمذي وغيره وليس بمعارض لحديث الاستفتاح لإمكان حمله على ما لم يشرع للإمام والمأموم.

وقال ابن حبان في صحيحه في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لست كأحدهم إني أطعم وأسقى»: هذا الخبر يدل على أن الأحاديث التي جاء فيها أنه كان يضع الحجر على بطنه كلها أباطيل، وإنما الحُجزة هو طرف الإزار لا الحجر،

إذ الله جل وعلا كان يطعم رسوله ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً مع عدم الوصال حتى يشد الحجر على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع!

وقال في كتابه الضعفاء في ترجمة أبي سفيان أنه روى حديث عبدالله بن أبي أصيبت ثنيته يوم أحد فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ ثنية من ذهب. وروى النهي أن يصلي إلى نائم أو محدث.

قال ابن حبان: هذان موضوعان، وكيف يأمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ الثنية من ذهب، وقد قال: إن الذهب والحرير محرمان على ذكور أمتي! وكيف ينهى عن الصلاة إلى النائم وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وعائشة رضي الله عنها معترضة بينه وبين القبلة ـ انتهى.

ولا يخفى ما في ذلك، وقد قال الحافظ الذهبي بعد كلام ابن حبان: هذان حكمك عليهما بالوضع بمجرد ما أبديت حكم فيه نظر لاسيما خبر الثنية ـ انتهى كلام الزركشي. وقال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في السيرة: قد روي أن عبدالله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسلما، وأن الله أحياهما له فآمنا به، وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب؛ قال: وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! اين أمي؟ قال: أمك في النار! قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟ قال: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه لما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه. فمن الجائز أن يكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى.

وقال الإمام أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف: روي حديث غريب لعله يصح، وجدته بخط جدي أبي عمر أحمد بن الحسن القاضي بسند فيه مجهولون،

ذكر أنه نقل من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بـن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزناد، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما له فآمنـا به ثم أمـاتهما. ثم قـال السهيلي: والله قادر على كل شيء، وليس يعجز رحمته وقدرته عن شيء؛ ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله، وينعم عليه بما شاء من كرامته.

وقال السهيلي أيضاً في اثناء الروض في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة رضي الله عنها: «لو كنت بلغت معهم الكدي[1] ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك»، ما نصه: قـوله: جـد أبيك، ولم يقـل: جدك ـ يعني أبـاه ـ تقويـة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره: أن الله أحيا أمه وأباه فآمنا به ـ انتهى. وهذا الحـديث الـذي ذكـره السهيلي في إحيـاء أبـويـه لم يـذكـره ابن الجـوزي في الموضوعات ولا تعرض له.

وقال العلامة ناصر الدين بن المنذر في شرف المصطفى: وقد وقـع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إحياء الموتى نظير مـا وقع لعيسى ابن مـريم عليهما الصلاة والسلام، وجاء في حديث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي أبويه، فأحياهما له فآمنا به وصدقا وماتا مؤمنين.

وقال القرطبي في التذكرة بعد ما أورد الحديث الذي أخرجه الخطيب وابن شاهين في إحياء أمه والحديث الذي أورده السهيلي في إحياء أبويه: ولا تعارض بين هذين الحديثين وأحاديث عدم الإذن في الاستغفار، لأن احياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضي الله عنها في حجة الوداع، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

---

(١) ذكر صاحب النهاية أن فاطمة رضي الله عنها خرجت في تعزية بعض جيرانها، فلما انصرفت قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعلك بلغت معهم الكدي» ـ أراد المقابر. وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة.

قال: وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية أن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾[1]، وقال: ﴿فيمت وهو كافر﴾[2]، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع فكيف بعد الإعادة!

وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال: ليت شعري ما فعل أبواي! فنزلت ﴿ولا تسئل عن اصحٰب الجحيم﴾[3]، قال القرطبي: وفيما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه؛ وليس احياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني اسرائيل وإخباره بقاتله[4]، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته! مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك خصوصاً.

وقوله: فمن مات كافراً ـ إلى آخر كلامه، مردود بما في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى علي ـ رضي الله عنه ـ ذكره الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه؛ وكذلك يكون إحياء أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قبل الله إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحب الأقوال وهو ظاهر القرآن.

---

(١) النساء الآية: ١٨.

(٢) البقرة الآية: ٢١٧.

(٣) البقرة الآية: ٢١٩.

(٤) وكذلك إحياء الذين خرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾، وكإحياء الذي مر على قرية بعد إماتته مائة عام، والقصتان مذكورتان في سورة البقرة.

وأما الجواب عن الآية وهو قوله تعالى: ﴿**ولا تسئل عن أصحٰب الجحيم**﴾، فيكون ذلك قبل إيمانهما ـ انتهى كلام القرطبي. قلت: وهو في غاية التحقيق، واستدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء، إلا لم يكن لرجوعها فائدة، إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب.

وقد ظفرت باستدلال أظهر وأوضح منه، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان، ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك، أخرجه ابن عساكر في تاريخه؛ وأخرج ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: أصحاب الكهف أعوان المهدي. فقد اعتد بفعل أصحاب الكهف بعد احيائهم بعد الموت[1] ولا بدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمراً، ثم قبضهما قبل استيفائه، ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها، فيعتد به؛ ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة.

فإن أورد على هذا قوله تعالى: ﴿**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[2]، فالجواب أن ذلك فيمن أراد الله قبضه قبضاً مستمراً ويخص منه من أراد إحياءه بعد ذلك، كالذي نحن فيه، وكأصحاب الكهف وكالجماعة الذين أحياهم الله على يدي عيسى عليه الصلاة والسلام.

ثم إن هذا بناء على قول الجمهور أن العمر لا يزيد ولا ينقص، وبه افتى والدي رحمه الله تعالى؛ وأما على القول بزيادته ونقصه وهو الذي أختاره ولي فيه

---

(١) الظاهر من القرآن حياتهم لا موتهم كما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**ونقلبهم ذات اليمن وذات الشمال**﴾ والتقليب يقتضي حياتهم، وأما المؤلف فلم يثبت موتهم أيضاً.

(٢) الأعراف الآية: ٣٤.

تأليف مستقل فالإيراد مرتفع عن أصله. وقال الصفدي أو غيره بعد ذكر حليمة وما أكرمها صلى الله عليه وآله وسلم به حين قدومها عليه:

شعر

هـذا جـزاء الأم عن إرضـاعـه   لكن جـزاء الله عنـه عـظيم
وكـذاك أرجـو أن يكـون لأمـه   عـن ذاك آمنـة بـدار نـعيـم
ويكـون احيـاهـا الإلـه وآمنت   بمحـمـد فحـديثهـا مـعلوم
فلربمـا سعدت بـه أيضـاً كمـا   سعـدت به بعـد الشقـاء حليم

قال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه مورد الصادي في مولد الهادي بعد إيراده الحديث منشداً لنفسه:

شعر

حبـا الله النبي مـزيـد فضـل   على فضـل وكـان بـه رؤوفـا
فـأحـيـا أمـه وكـذا أبـاه   لإيمـان بـه فضـلاً لـطيفـا
فسلم فـالقـديم بـذا قـديـر   وإن كـان الحديث بـه ضعيفـا

فمشى على أن الحديث ضعيف لا موضوع، وهو معدود في رتبة الحفاظ.

وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على هذه الفتيا بخط الحافظ ابن حجر أجاب فيها بهذا وقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل على التوالي يزداد شرفاً، إلا أني لم أقف على هذه الفتيا إلى الآن.

خاتمة

تسامُح ابن الجوزي في كتابه الموضوعات معروف نص عليه ائمة الحديث:

قال ابن الصلاح في علومه مشيراً اليه: ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلدين فأودع فيها كثيراً مما لا دليل على وضعه وإنما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة.

وقال الإمام النووي في التقريب: وقد أكثر جامع المـوضوعـات في نحو

مجلدين ـ أعني أبا الفرج بـن الجوزي فذكر كثيراً مما لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف. وقال الحافظ زين الدين العراقي في الألفية:

وأكثـر الجامـع فيـه إذا خـرج   لمطلق الضعيف أعني أبا الفرج

وقال قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في المنهل الروي[1] وصنف الشيخ أبو الفرج بـن الجوزي في كتابه الموضوعات فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على ضعفه، وذكر نحو ذلك شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في كتابه محاسن الاصطلاح[2].

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي: الحكم على الحديث بكونه موضوعاً من المتأخرين عسير جداً، لأن ذلك لا يتأتى إلا بعد جمع الطرق وكثرة التفتيش، وأنه ليس لهذا المتن سوى هذا الطريق الواحد، ثم يكون في رواته من هو متهم بالكذب ـ إلى ما ينضم إلى ذلك من قرائن كثيرة يقتضي للحافظ المتبحر الحكم بذلك؛ ولهذا انتقد العلماء على أبي الفرج بـن الجوزي في كتابه الموضوعات وتوسُّعه في الحكم بذلك على كثير من الأحاديث ليست بهذه المثابة، ويجيء بعده من لا يد له في علم الحديث فيقلده فيما حكم به من الوضع؛ وفي هذا من الضرر العظيم ما لا يخفى.

وهذا بخلاف الأئمة المتقدمين الذين منحهم الله التبحر في علم الحديث والتوسع في حفظه كشعبة والقطان وابن مهدي ونحوهم وأصحابهم مثل أحمد وابن المديني وابن معين، وابن راهويه وطائفة ثم أصحابهم مثل البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي ـ وهكذا إلى زمن الدارقطني والبيهقي، ولم يجيء بعدهم مساوٍ لهم ولا مقارب، فمتى وجد في كلام أحد من المتقدمين الحكم بوضع شيء

---

(١) للشيخ المحدث الإمام الشافعي بدر الدين محمد بن إبراهيم سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي. مات في العام ٧٣٣ هـ.

(٢) محاسن الاصطلاح في تحسين ابن صلاح لعمر بن رسلان سراج الدين البلقيني الشافعي مات في العام ٨٠٥ هـ.

كان متعمداً لما أعطاهم الله من الفضل الغزير، وإن اختلف النقل عنهم عدل إلى الترجيح ـ انتهى

قال الزركشي بعد إيراده: وقد حكم جمع من المتقدمين على الأحاديث بأنه لا أصل لها ثم وجد الأمر بخلاف ذلك ـ وفوق كل ذي علم عليم. وقال الزركشي عند قول ابن الصلاح: ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات ـ يريد به أبا الفرج بن الجوزي، واعتراضه عليه صحيح، فإن فيها ما ضعفه محتمل، ويمكن التمسك به في الترغيب والترهيب، ومنها ما هو حديث صحيح أو صححه بعض الأئمة كحديث صلاة التسبيح.

قال المحب الطبري: أخطأ بذكره في الموضوعات ولم يكن له ذلك وقد أخرجه الحفاظ في كتبهم. وكحديث قراءة آية الكرسي عقب الصلاة حكم عليه بالوضع وقد رواه النسائي بإسناده على شرط الصحيح.

قال الحافظ المزي: أساء ابن الجوزي بذكره في الموضوعات، وله مثل هذا كثير، وبين قولنا: لم يصح، وقولنا: موضوع، بون كثير؛ فإن الوضع إثبات الكذب والاختلاق وقولنا: لا يصح، لا يلزم منه إثبات العدم، وإنما هو إخبار عن عدم الثبوت، وفرق بين الأمرين فقد يثبت من طريق آخر ـ انتهى كلام الزركشي.

وقال في موضع آخر: قد أكثر منهم الحكم على الحديث بالوضع إسناداً إلى رواية من عرف بالوضع، وهذه الطريقة استعملها ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وهي غير صحيحة، لأنه لا يلزم من كونه معروفاً بالوضع أن يكون جميع ما يرويه موضوعاً؛ فالصواب في هذا أنه يحكم بضعفه لا أنه موضوع لا محالة، قال: وقد قال القاضي أبو الفرج النهرواني في كتاب الجليس الصالح[1]: زعم جماعة من أهل صناعة الحديث وكثير ممن لا نظر له في العلم فظن أن ما في رواته ضعف فهو باطل في نفسه ومقطوع على إنكاره من أصله.

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج معافى بن زكريا النهرواني مات في العام ٣٩٠ هـ.

وهذا جهل ممن ذهب إليه، بل إن كان الراوي معروفاً بالكذب في رواياته، وروى خبراً انفرد به مما يمكن أن يكون حقاً وأن يكون باطلاً وجب التوقف في الحكم بصحته ولم يجز القطع بتكذيب رواته والحكم بتكذيب ما رواه. قال الزركشي عقبه: وفي كتاب أدب الحديث لعبد الغني بن سعيد: من سمع حديثاً عني فكذبه فقد كذب ثلاثة: الله، ورسوله، والناقل له ـ انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح: قال العلائي: دخلت على ابن الجوزي الآفة من التوسع في الحكم بالوضع، لأن مستنده في غالب ذلك ضعف رواته.

قال الحافظ ابن حجر: وقد يعتمد على غيره من الأئمة في الحكم على بعض الأحاديث بتفرد بعض الرواة الساقطين بها، ويكون كلامهم محمولاً على قيد أن تفردهم إنما هو من ذلك الوجه، ويكون المتن قد روي من وجه آخر لم يطلع عليه هو أو لم يستحضره حالة التصنيف، فدخل عليه الدخيل من هذه الجملة وغيرها فدخل في كتابه الحديث المنكر والضعيف الذي يحتمل في الترغيب والترهيب، وقليل من الأحاديث الحسان كحديث صلاة التسبيح وكحديث قراءة آية الكرسي دبر الصلاة فإنه صحيح رواه النسائي، وصححه ابن حبان.

وليس في كتاب ابن الجوزي من هذا الضرب سوى أحاديث قليلة جداً، وأما من مطلق الضعيف ففيه كثير من الأحاديث. قال: وقد أفردت لذلك تصنيفاً ـ انتهى كلام الحافظ ابن حجر، وقلّ أن جاء بعد ابن الجوزي حافظ إلا وتعقب عليه في بعض أحاديثه.

وللحافظ ابن حجر عدة مؤلفات في التعقب على عدة أحاديث من كتاب ابن الجوزي ككتابه القول المسدد في الذب عن مسند أحمد تعقب فيه أربعاً وعشرين حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي في المسند، ودرأ عنها أحسن الدرء أنها ليست بموضوعة.

وقال في صدر كلامه: نجيب عنها أولاً بطريق الإجمال فإن هذه الأحاديث ليس فيها شيء من أحاديث الأحكام في الحلال والحرام، فالتساهل في إيرادها شائع؛ قال: وقد ثبت عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أنهم قالوا: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا ـ إنتهى. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعظيم والمنة في ان ابوي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في الجنة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ افتيت[1] بأن المختار أن أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مُـوَحّدَة، وحكمهـا حكم من تحنف في الجاهلية، وكـان على دين إبراهيم الخليـل عليه السـلام، وترك عبـادة الأصنام كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه؛ وبأن الحديث الوارد في أن الله أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ، بل هو من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصاً في مثل هذا الموطن؛ فتضمن هذا الإفتـاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما.

فأقول: قال ابن شاهين في كتـابه النـاسخ والمنسـوخ: حدثنـا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار، ثنا أحمد بن يحيى الحضرمي بمكة، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون[3] كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه عز وجل، ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله! نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً

(١) أفتيت: أعطيت فتوى.

(٢) أبو حفص عمر بن شاهين البغدادي الواعظ مات سنة ٣٨٥ هـ .

(٣) الحجون: جبل بمكة.

فأقمت به ما شاء الله، ثم رجعت مسروراً؟ قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فامنت بي ثم ردها.

أورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الحافظ ابو الفضل بن ناصر: هذا الحديث موضوع، ومحمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان.

قلت: أما محمد بن يحيى فليس بمجهول، فقد ذكره الذهبي في الميزان والمغني معاً فقال: محمد بن يحيى أبو غزية المدني الزهري قال الدارقطني: متروك، وقال الأزدي: ضعيف. هذه عبارته، فقد عرف بالضعف لا بالوضع؛ ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه في درجة الموضوع، بل في درجة الضعيف.

وأما أحمد بن يحيى الحضرمي فليس بمجهول أيضاً، فقد ذكره الذهبي في الميزان وقال: روى عن حرملة التجيبي؛ لينه أبو سعيد بن يونس ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه.

وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات، وأحد الأئمة بالتفسير؛ قال الذهبي في الميزان: صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه، أثنى عليه عمرو الداني[1]، وحدث بمناكير. ومع ذلك فلم يفردوا به فإن للحديث طريقين آخرين عن أبي غزية:

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله المكي الطبري[2] في كتابه سيرة النبي: أنا أبو الحسن أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة

(١) أندلسي قارىء للقرآن الكريم.

(٢) مات في العام ٦٩٤ هـ.

عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نـزل الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله، ثم رجع مسروراً، قال: سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي، ثم ردها.

وأما الذهبي فلم يعلل الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين، بل قال في الميزان: عبد الوهاب بن موسى، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد بحديث: إن الله أحيا لي أمي فآمنت بي ـ الحديث، لا يدري من ذا الحيوان الكذاب؛ فإن هذا الحديث كذب يخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه في الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له ـ انتهى.

حاصله أنه أعلّ الحديث بأمرين: أحدهما جهالة عبد الوهاب بن موسى، والثاني مخالفته للحديث الصحيح المذكور.

والجواب عن الأمر الأول أن عبد الوهاب معروف من رواة مالك وقد روي هذا الحديث أيضاً عنه.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق أخبرنا أبو العلاء الواسطي، ثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد، حدثنا علي بن أيوب الكعبي، ثنا محمد بن يحيى الزهري أبو غزية، ثنا عبد الوهاب بن موسى، ثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع فمرّ بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنه طفر فنزل فقال: يا حميراء! استمسكي! فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلاً، ثم إنه عاد إليّ وهو فرح متبسم، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! نـزلت وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك، ثم إنك عدت إليّ، وأنت فرح متبسم فبم ذا يا رسول الله؟ قال: ذهبت بقبر أمي فسألت الله أن يحييها، فأحياها فآمنت بي وردها الله تعالى». أخرجه من هذا الطريق الدارقطني في غرائب مالك، وقال: باطل. وأخرجه ابن عساكر في

غرائب مالك أيضاً وقال: منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات أيضاً ولم يتكلم على رجاله.

وقد قال الذهبي في الميزان: علي بن أيوب أبو القاسم الكعبي روى عن ابن يحيى الزهري لا يكاد يعرف. قلت: قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال له: أبو العباس الزهري، ذكره الخطيب في الرواة عن مالك فأورد له أثراً عن مالك فأخرج من طريق سعيد بن الحكم بن أبي مريم المصري، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري، ثنا مالك، ثني عبد الله بن دينار، عن سعد مولى عمر بن الخطاب: أن كعب الأحبار - رضي الله عنهم - قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا لنجدك في كتاب الله تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. هذا الأثر معروف عن مالك، أخرجه ابن سعد في الطبقات عن معن بن عيسى، عن مالك بسنده ومتنه سواء، فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة؛ وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبي الزناد عن هشام، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام؛ فرواه مرة هكذا ومرة هكذا.

وفي هذا الطريق زيادة فائدة هي أن ذلك وقع في حجة الوداع، وبه يحصل الجواب عن الأمر الثاني، وهو المخالفة لحديث الاستئذان في الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت عام الفتح كما في حديث بريدة - رضي الله عنه - وذلك قبل هذه القصة بعامين، ولهذا أورده ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ فأورد حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله منسوخاً وأورد بعده حديث عائشة - رضي الله عنها - في الإحياء وجعله ناسخاً؛ وذلك حسن جلي.

وتابعه القرطبي على ذلك فقال في التذكرة بعد أن أورد حديث عائشة - رضي الله عنها - في إحياء أمه وحديث إحياء أبويه: ولا تعارض لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة في حجة الوداع. وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال ابن شاهين أيضاً: حدثنا يحيى بن صاعد، ثنا إبراهيم بن سعد وزهير بن محمد ـ وله اللفظ ـ قالا: ثنا عبد الرحمن بن المبارك، ثنا مصعب بن حرب عن علي بن الحكم، عن عثمان بن عمير، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء ابنا مليكة فقالا: يا رسول الله! إن أمنا كانت تكرم الضعيف وقد وأدت في الجاهلية فأين أمنا؟ فقال: أمكما في النار! فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إن أمي مع أمكما»! فقال منافق من الناس: أو ما يغني هذا عن أمه إلا ما يغني ابنا مليكة عن أمهما! فقال شاب من الأنصار: لو أن أبويك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم المقام المحمود».

وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح، وفي هذا الحديث فوائد: منها أن قوله: إن أمي مع أمكما، كان قبل أن يسأل ربه فيها فلا ينافيه حديث إحيائهما وإيمانهما حين سأل ربه في ذلك. ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه، فدل ذلك على إمكانه. ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضي ذلك.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن إسحاق بن عبدالله بن الحارث قال: قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله! ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجو من ربي. فإذا كان هذا رجاؤه لأبي طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلأبويه أولى.

وقال السهيلي في كتابه الروض الأنف: روي حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدي أبي عمر أحمد بن أبي الحسن القاضي بسند فيه مجهولون؛ ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبي الزناد، عن هشام، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما. والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه صلى الله عليه وآله

وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ـ انتهى .

وقال القرطَبي : ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع : قال الله تعالى : ﴿**ولا الذين يموتون وهم كفار**﴾[1]، وقال: ﴿**فيمت وهو كافر**﴾[2]. فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفع : فكيف بعد الإعادة.

وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال: ليت شعري ما فعل أبواي! فنزل ﴿**ولا تسئل عن أصحب الجحيم**﴾[3].

وقال القرطبي : وفي ماذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى مماته صلى الله عليه وآله وسلم. فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه؛ وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى.

وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد احيائهما زيادة في كرامته وفضله مع ما ورد من الخبر في ذلك، ويكون ذلك مخصوصاً بمن مات كافراً؛ وقوله: فمن مات كافراً ـ إلى آخر كلامه. مردود بما روي في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى عليٌّ رضي الله عنه. ذكره الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب، كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن.

---

(١) النساء الآية: ١٨.

(٢) البقرة الآية: ٢١٧.

(٣) البقرة الآية: ١١٩.

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل ايمانهما في العذاب ـ انتهى كلام القرطبي.

قلت: استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداء، وإلا لم يكن برجوعها فائدة إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب. وقد ظفرت باستدلال أوضح منه، وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفاً لهم بذلك، وورد عن ابن عباس مرفوعاً: أصحاب الكهف أعوان المهدي، أخرجه ابن مردويه في تفسيره، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم عن الموت، ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمراً، ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به، ويكون تأخير تلك البعثة بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة.

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة أهل الحديث، فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي في كتابه الإيضاح تعليل ابن حزم لحديث الإسراء الذي أخرجه البخاري وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت في أحاديث الإسراء الصحيحة، ثم تعقبه بأن قال: إن ابن حزم وإن كان إماماً في علوم شتى إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث؛ وذلك أن الحفاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذي هو المرقاة اليه، وهذا الرجل علله من حيث اللفظ ـ انتهى.

وأما حديث: ليت شعري ما فعل أبواي! فمعضل، ضعيف، لا تقوم به حجة.

وقال الحافظ فتح الدّين ابن سيد الناس في سيرته بعد أن ذكر رواية ابن اسحاق في أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه: وقد روي أن عبدالله بن

عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسلما أيضاً، وأن الله أحياهما له فآمنا به، وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب؛ قال: وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: «قلت: يا رسول الله! أين أمي؟ قال: أمك في النار! قلت: فأين من مضى أهلك؟ قال: أما ترضى أن يكون أمك مع أمي!

قال: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدومُ عليه، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض ـ انتهى.

قلت: هذا كله كلامي على الحديث من غير أن أقف على كلام أحد تكلم عليه، ثم راجعت لسان الميزان تأليف إمام الحفاظ أبي الفضل بن حجر فوجدته ساق كلام الميزان في ترجمة عبد الوهاب بلفظه، ثم قال ما نصه: قلت: تكلم الذهبي في هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث، وقد قال الدارقطني في غرائب مالك ما نصه: ويروى عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها حديثان منكران باطلان، فذكر هذا الحديث من طريق علي بن أحمد الكعبي، عن أبي غزية، ثم قال: وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبي غزية والمتهم به هو، أو من حدث عنه؛ وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وأخرج ابن الجوزي في الموضوعات عن عمر بن الربيع الزاهد، ثنا علي بن أيوب الكعبي، حدثني محمد بن يحيى أبو غزية الزهري، عن عبد الوهاب بن موسى ـ فذكر الحديث مطولاً.

ثم ساق من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال: ثنا

أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب. ثم قال ابن الجوزي: النقاش ليس بثقة، وأحمد بن يحيى، ومحمد بن يحيى مجهولان.

قال الحافظ ابن حجر: فأما قوله: علي بن أيوب الكعبي، فوافقه ابن عساكر عليه لما أخرج هذا الحديث بطول، كما سيأتي في ترجمة عمر بن الربيع: وسمى الدارقطني أباه أحمد. وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول، بل هو معروف، له ترجمة جيدة في تاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس، ورماه الدارقطني بالوضع، وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهري؛ وسيأتي ذكره في موضعه. وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من مسند النقاش ما يتميز به، وفي طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيي، أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصري وعلي الكعبي مصري كما قاله الدارقطني.

وقد ذكر الخطيب عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك، وكناه أبا العباس، وأورد له من طريق سعيد بن أبي مريم عنه عن مالك عن عبدالله بن دينار أثراً موقوفاً على عمر رضي الله عنه في قصة له مع كعب الأحبار وقال: إنه تفرد به، ولم يذكر فيه جرحاً، وأورده الدارقطني في الغرائب من هذه الترجمة وقال: هذا صحيح عن مالك.

ونقل ابن الجوزي عن شيخه محمد بن ناصر أن هذا الحديث موضوع، لأن قبر أمه بالأبواء[١] كما ثبت في الصحيح، وأبو غزية هذا زعم أنه بالحجون[٢]. وسبق ابن الجوزي إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة الجوزقاني في كتاب الأباطيل وسيأتي ترجمة عمر بن الربيع مع زيادة في الكلام على حديث أبي غزية عن عبد الوهاب بن موسى. هذا كله كلام لسان الميزان في ترجمة عبد الوهاب.

وقوله في أحمد بن يحيى: أنه لم يظهر من مسند النقاش ما يتميز به، يقال

---

(١) الأبواء: جبل بين الحرمين.

(٢) الحجون: بفتح حاء: جبل مشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة.

عليه: قد ظهر من السند الذي ساقه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمي.

وقال في لسان الميزان في ترجمة أبي غزية: هو أبو غزية الصغير زهري كان بمصر، روى عنه جماعة منهم، وقد ذكره أبو سعيد بن يونس في الغرباء ونسبه فقال: محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز، بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، أبو عبدالله، ولقبه أبو غزية، مدني قدم مصر، له كنيتان. وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسي وزكريا بن يحيى الثغري[1] وسهل بن سوادة الغافقي، ومحمد بن فيروز، ومحمد بن عبدالله بن حكيم[2]. قال: ومات في يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وقال الدارقطني في غرائب مالك: ثنا أبو بكر النقاش المصري ثنا محمد بن عبدالله بن حكيم بمصر، ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري، ثنا عبد الوهاب بن موسى، ثني مالك عن ابن شهاب، ثني سعيد بن المسيب، ثني عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ **لما ولي علي ـ رضي الله عنه**. فذكر قصة فيها: فقال علي: إن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ سبقني إلى أربع ـ الحديث. قال الدارقطني: لا يثبت عن الزهري ولا عن مالك، وأبو غزية هذا هو الصغير منكر الحديث.

ثم أورد من طريق علي بن أحمد فقال ـ وكان ثقة: ثنا أبو غزية محمد بن يحيى ثني أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رفعه: اليمين مندمة أو مأثمة. وقال: لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهري. والحمل فيه على أبي غزية ـ انتهى.

وأما أبو غزية الكبير محمد بن موسى الأنصاري المدني القاضي، يروي عن مالك وفليح بن سليمان، وعنه إبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وعمر بن

---

(١) لعله البغوي.

(٢) قال البخاري: عنده مناكير، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث، ويروي عن الثقات الموضوعات. واتهمه الدارقطني بالوضع، توفي في العام ٢٠٧ هـ.

محمد بن فليح وطائفة؛ ضعفه البخاري وابن حبان وأبو حاتم والعقيلي وابن عدي، ووثقه الحاكم. مات سنة سبع ومائتين.

وقال في ترجمة علي بن أحمد الكعبي: مصري متهم، روى عن أبي غزية عن عبد الوهاب بن موسى، عن مالك، عن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها حديثين:

أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت به فردها إلى حفرتها.

والثاني - بهذا الإسناد - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل الحجارة للبيت عرياناً فجاءه جبريل وميكائيل - عليهما السلام فوارياه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من الله عليه[1].

قال الدارقطني: والإسناد والمتنان باطلان، ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء وهذاكذب على مالك، والحمل فيه على أبي غزية والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه؛ وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس.

وقال في ترجمة علي بن أيوب الكعبي بعد أن ساق قول الميزان: لا يكاد يعرف، قلت: قد عرفه الدارقطني وسماه علي بن أحمد وقال في ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبي طالب الخشاب بعد أن ساق قول الذهبي: ذكره الفرات في تاريخه وأنه كذاب، ما نصه: وضعفه الدارقطني في غرائب مالك[2].

وقال مسلمة بن قاسم[3]: تكلم فيه قوم ووثقه آخرون، وكان كثير الحديث، توفي سنة أربعين وثلاث مائة بمصر[4].

---

(١) في لسان الميزان ٤/١٩٣: فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن شفقة من الله عليه.

(٢) ذكره القراب في تاريخه وأنه كذب انتهى. وضعفه الدارقطني في غرائب مالك في مواضع.

(٣) هوصاحب كتاب الصلة جعلها ذيلاً على تاريخ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد صاحب صحيح البخاري.

(٤) ذكر صاحب لسان الميزان أنه مات في العام ٣٤٥ هـ.

وأورد لـه ابن عساكـر في غرائب مـالك من طـريق الحسين بن علي بـن محمد بن إسحاق الحلبي، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشـاب، ثنا علي بن أيـوب الكعبي من ولد كعب بن مـالـك ـ رضي الله عنـه ـ ثني محمـد بن يحيى الزهري أبو غزيه ثني عبد الوهاب بن موسى، ثني مالك، عن أبي الزنـاد، عن هشام بن عروة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ـ فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخـطيب سواء.

قال ابن عساكر: هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري المدني عن مالك، والكعبي مجهول، والحلبي صاحب غرائب ولا يعرب لأبي الزناد روايـة عن هشام، وهشـام لم يدرك عـائشة فلعله سقط من الكتـابة: عن أبيه ـ انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ولم ينبه على عمر بن الربيع، ولا علي بن محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبي وغيره، وقد تقدم ذلك في عبد الوهاب بن موسى، وفيه إثبات قوله: عن أبيه الذي ظن أنه سقط فهو كما ظن ـ انتهى. هذا مجموع كلام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله.

وقد تلخص لي منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع قطعاً.

وبيان ذلك أنه ليس في رواته من أجمع على جرحه فإن مدار الحديث على أبي غزية عن عبد الوهاب وثقه الدارقطني في موضعين فقال في موضع: ثقة، وفي موضع: ليس به بأس، وأقره الحافظ ابن حجر، ولم ينقل عن أحد فيه جرح؛ ومن فـوقهم من مـالـك فصـاعـداً لا يسـأل عنهم لجـلالتهم، والسـاقط بين هشـام وعائشة ـ رضي الله عنهـا ـ عروة وقـد ثبت في طريق آخـر. وأبو غـزية قـال فيه الدارقطني: منكر الحديث، وقـال ابن الجوزي: مجهـول، وترجمـه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه عن حد الجهالة. والكعبي أكثر ما قيـل فيه: مجهـول وقد

عرف. وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث.

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على الصنعة، فكيف وله متابع أجود منه! وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمي عن أبي غزية، فإن هذا الطريق أجود من حيث أن طريق الكعبي فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبي وعمر بن الربيع والكعبي، والحضرمي لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى، وقد عرف لما نسب باللين وهي من الفاظ التعديل الذي يحكم لحديث صاحبه بالحسن إذا توبع، ولولا تفرد به لحكمت له بالحسن. فالحديث إذاً من إفراد أبي غزية ومداره عليه، وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه منكر حجة لما قلته من أنه ضعيف لا موضوع لأن المنكر من الضعيف، وبينه وبين الموضوع فرق كما هو معروف في فن الحديث.

وأقوي ما اعتمد عليه في هذا الحديث قول ابن عساكر فإن أكثر ما قيل في رواية أبي غزية: أنه منكر الحديث، فيكون الحديث الذي تفرد به منكراً. وضابط المنكر أنه الذي ينفرد به الراوي الضعيف مخالفاً لرواية الثقات، وهذا الحديث كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه، فإن اتفقت المخالفة كان ضعيفاً فقط وهي مرتبة فوق المنكر أصلح حالاً منه، ودون المنكر مرتبة أدون[1] حالاً منه وهي مرتبة المتروك، والمتروك أيضاً من قسم الضعيف الذي ليس بموضوع.

فصل

حديث الزيارة الذي حكم الذهبي بصحته لم يخرجه أحد من الأئمة الستة، بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه، وأحمد من حديث بريدة - رضي الله عنه، والطبراني من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما، وأشار الحافظ ابن حجر في شرح البخاري إلى أن من حكم بصحته فليس لكونه صححه لذاته، بل لوروده من هذا الطريق، وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة - ولله الحمد.

---

(١) أدون: أقل رتبة.

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هانىء عن مسروق، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم ارتفع نحيبه باكياً فبكينا لبكائه ثم أقبل الينا فتلقاه عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! ما الذي أبكاك؟ فقد أبكانا وأفزعنا، فجاء فجلس الينا فقال: «أفزعكم بكائي؟ قلنا: نعم، قال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل عليّ **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين﴾**[1] - الآيتين؛ فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح، وتعقبه الذهبي في مختصر المستدرك فقال: أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين - انتهى. فهذه علة تقدح في صحته، والعجب من الذهبي كيف يصحح هذا الحديث في الميزان اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه في مختصر المستدرك!

وفي الحديث علة ثانية وهي مخالفته لما في صحيح البخاري وغيره أن هذه الآية نزلت في موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له لم يكن.

وفيها ورد أحاديث أخر في الترمذي وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة، فإن كان الذهبي رد حديث الإحياء لمخالفة هذا الحديث فهذا الحديث يرد المخالف المقطوع بصحته في صحيح البخاري وغيره.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فأخرجه الطبراني، ولفظه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك وأعيم هبط من ثنية عسفان فنزل

---

(١) التوبة الآية: ١١٣.

على قبر أمه ـ وذكر نحو حديث ابن مسعود في نزول الآية؛ وله علتان: مخالفة الحديث الصحيح كما سبق، وإسناده ضعيف.

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد، وابن شاهين بلفظ: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبراً فجلس اليه ـ وذكر نحوه. وفي لفظ آخر. . . .[1] وابن شاهين من طريق آخر: لما قدم مكة أتى رسم قبر.

وعن جرير من طريق آخر: لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخن عليه الشمس، رجاء أن يؤذن فيستغفر لها فنزلت. وفي هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم. وله علة أخرى قال ابن سعد في الطبقات بعد تخريجه: هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء ـ انتهى.

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة. وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره.

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه في ألف مقنع فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم. وهذا القدر لا علة له، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث، ولا نهي عن الاستغفار؛ وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي يحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه. وهذا ما فتح الله لي بتحريره في هذا المحل ـ ولله الحمد.

فصل

حاصل ما تقرر في حديث الإحياء أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة الدارقطني والجوزقاني، وابن ناصر، وابن الجوزي، وابن دحية، والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غير موضوع ابن شاهين والخطيب وابن عساكر والسهيلي

---

(١) بياض في الأصل ولعله اسم أحد الرواة.

والقرطبي، والمحب الطبري، وابن سيد الناس؛ ووجه أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة، فلو كان عنده موضوعاً لم يصح أن يحتج به على النسخ. وقد نظرنا بحسب الأصول فوجدنا العلل التي علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة، فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية ـ ولله الحمد.

وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع، الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب في كتابه المسمي مورد الصادي في مولد الهادي[1] ونشد عقبه:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا اباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

فصل

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة:

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري، عن أم سلمة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها. ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رَأسها، فَنَظَرَتْ إلى وجهه ثم قالت:

بارك الله فيك من غلام ... يا بن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام

(١) أورده حاجي خليفة فقال: في كراسة لشمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي مات في العام ٨٤٢.

تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً؛ ثم ماتت. فكنا نسمع نَوْح الجن عليها فحفظنا من ذلك:

أشعار

تبكي الفتاة البرة الأمنية ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبدالله والقرينة أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر في المدينة صارت لدى حفرتها رهينة

هذا القول من أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريح في أنها موحدة، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام، ونهيه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد: الإعتراف بالله وإلٰهيته، وأنه لا شريك له، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها، وهذا القدر كاف في التنزيه من الكفر لثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعث، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة.

وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح! وقوله: لئن قدر الله علي ليعذبني. إن هذه الكلمة لا تنافي الحكم بإيمانه، لأنه لم يشك في القدرة ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد، ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ما كانوا عليه أهل الشرك، وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانهم في الحديث ومشهود لهم بالجنة فلا يدع أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، كيف وأكثر من تحنف إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل

الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا، وأم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها!

وشاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة مما يحمل على التحنف ضرورة، ورأت النور الذي خرج منها وأضاءت منها قصور الشام حتى رأتها كما ترى. . .[1] وقالت للحليمة حين جاءت به وشق صدره وهي مذعورة: أخشيت عليه الشيطان؟ كلا، والله! ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن - في كلمات أخر من هذا النمط؛ وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه، وشهادتهم له بالنبوة ورجعت إلى مكة فماتت في الطريق. فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت في حياتها.

فصل

فإن قلت: كيف تدرك أنها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة، وهذا الحديث في أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر: «أمي مع أمكما»، يؤذنان بخلاف ذلك، وها أنت أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان في التاريخ وذلك متأخر فكان ناسخاً، فما ذا تقول في هذا؟ فإن الموت على التوحيد ينفي التعذيب البتة.

قلت: أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال: إن قوله: أمي مع أمكما، صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في تُبع: «لا أدري تبعاً مؤمناً كان أم لا»! اخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحي إليه في شأنه: «لا تسبوا تبعاً! فإنه كان قد أسلم»، أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ أيضاً من حديث سهل بن سعد وابن عباس رضي الله عنهم. فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) في الأصل بياض قدر كلمتين.

أولاً لم يُوحَ اليه في شأنها، أو لم يبلغه القول الذي قالته عند موتها، أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين، فأطلق القول بأنها مع أمهما جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحي إليه أمرها بعد ذلك.

ويؤيد ذلك أن في آخر الحديث: ما سألتهما ربي، فهذا يدل على أنه لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة في أمرهما، ثم وقع بعد ذلك.

وأما حديث عدم الأذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين، وعلل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور، فمن استغفر له وصلى عقب دعائه وصل منزل الكريم في الجنة، والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في الحديث: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى». فتكون أُم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونها متحنفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له من الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك.

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته، ولذلك تأخر إحياؤها إلى حج الوداع حتى تمت الشريعة ونزل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[1]، فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه. وهذا معنى نفيس بليغ.

فصل

قد تأملت بالاستقراء فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات، فلا بد أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك؛ وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال.

---

(١) المائدة الآية: ٣.

أما التفصيل: فأم عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القرآن وذهب طائفة إلى أنها نبية لذكرها في سورة الأنبياء مقترنة بهم، وأم اسحاق ـ عليه السلام ـ سارة مذكورة في القرآن وقيل أيضاً بنبوتها لخطاب الملائكة معها، وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضاً في القرآن، وقيل أيضاً بنبوتها لقوله تعالى: ﴿**واوحينا إلى موسى**﴾[1]، وأم شيث ـ عليه السلام ـ حواء أم البشر عليها السلام، وقيل بنبوتها؛ ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم اسماعيل، وأم يعقوب، وأمهات أولاده، وأم داود وسليمان، وزكريا، ويحيى، وشمويل، وشمعون، وذي الكفل صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله: ﴿**رب اغفر لي ولوالدي**﴾[2]، ذكر الكرماني في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليهما السلام، ثم حكى قولاً غريباً أنهما كانا كافرين.

قلت: الصواب الأول، والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام؛ ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم عليه السلام، رجحه ابن حبان في البحر في تفسير سورة إبراهيم، واسمها ثوماء من ولد ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام؛ حكاهما ابن سعد في الطبقات.

وأما الإجمال فأخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، هود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم السلام؛ وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام

---

(١) القصص الآية: ٧.

(٢) نوح الآية: ٢٨.

فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني اسرائيل كلهن مؤمنات، ولم يبعث بعد عيسى أحد في الأمم.

أما العشرة فقد ثبت إيمان أم إسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام، وذكر إيمان أم نوح وإبراهيم - عليهما السلام؛ وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب - عليهم السلام - يحتاج إلى نقل أو دليل، والظاهر - إن شاء الله تعالى - إيمانهن. فقد ثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث، وكذلك أمهات المؤمنين يرين.

فصل

قد عرف مما ذكرناه دليلان على أن أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست في النار وكونها متحنفة وإحياؤها حتى آمنت، فيضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة، والأحاديث في أهل الفترة معروفة مشهورة، وقال الله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**[1].

وقد أورد صاحب مرآة الزمان[2] كلام جده ابن الجوزي على الحديث السابق ثم قال عقبه: وقال قوم: قد قال الله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما!

فصل

ودليل رابع وهو ما ثبت في الصحيحين أن أبا لهب رئي في نوم فقال: لم ألق بعدكم خيراً غير أني سقيت في هذه لعتيقتي ثويبة. وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب اعتقها وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا سقي أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) الإسراء الآية: ١٥.

(٢) تكملة اسم الكتاب: في تاريخ الأعيان ذكره صاحب كشف الظنون وهو في أربعين مجلد للشيخ أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي المعروف بحفيد ابن الجوزي مات عام ٦٥٤ هـ.

وشدة ما لقي منه لكونه اعتق من أرضعته، فما ظنك بمن حملته في بطنها تسعة أشهر، وأرضعته أياماً وربته سنين وهي أمه!

فصل

ودليل خامس، قال ابن الجوزي: أخبرت عن أبي الحسن يحيى بن اسمعيل العلوي أنا عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن الحسيني، ثنا زيد بن حاجب، ثنا محمد بن عمار العطار، ثنا علي بن محمد بن موسى الغطفاني، ثنا محمد بن هارون العلوي، ثنا محمد بن علي بن العباس، ثنا أبي ثنا علي الرضى بن موسى بن جعفر، ثنا أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي بن الحسين، عن أبيه عن علي ـ رضي الله عنهم ـ مرفوعاً: هبط جبرئيل عليه السلام علي فقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: حَرَّمت النار على صُلب أنزلك، وبطن حملك، وحِجر كفلك. أما الصُّلب فعبد الله، وأما البطن فآمنة، وأما الحجر فعمه ـ يعني أبا طالب، وفاطمة بنت أسد. قال ابن الجوزي: في إسناده كما ترى، وأبو الحسن العلوي رافضي غال؛ قلت: فاطمة بنت أسد آمنت وصحبت وهاجرت رضي الله عنها.

فصل

العجب ممن يقطع بكون أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار اعتماداً على قوله: أمي مع أمكما، وقوله: إن أبي وأباك في النار، ونحوهما من الأحاديث ويلغي ما عارضهما بالكلية.

وللمسألة نظير صحيح للناس فيها خلاف وهي مسألة أطفال المشركين فقد ورد في أحاديث كثيرة الجزم بأنهم في النار، وفي أحاديث قليلة أنهم في الجنة، وصحح الجمهور هذا منهم النووي وقال: إنه المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾، وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى، هذا كلام النووي؛ وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة بأحاديث كونهم في الجنة.

ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت خديجة ـ رضي الله عنها ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال: «هم من آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين»، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ فقال: إنهم على الفطرة ـ أو قال: في الجنة. فهذا يدل على النسخ.

وكذا القول في الأحاديث التي وردت في أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار كلها منسوخة إما بإحيائهما وإيمانهما، وإما بالوحي في أن أهل الفترة لا يعذبون، ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم في مشيئة الله تعالى لا يحكم عليهم بشيء.

وهذا هو المنقول عن الشافعي والأئمة لحديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة، ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله النار.

وكذا يقال في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وألطف بهما: أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان به مسرعين فيكونان من أهل الجنة.

ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم يمتحنون في الآخرة، فمن اطاع أدخله الله الجنة، ومن عصى أدخله النار، وصححه البيهقي. وهذا بعينه ورد به الأحاديث الصحيحة في أهل الفترة:

وأخرج البزار وأبو يعلى، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بأربعة يوم القيامة: بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني، كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تعالى: اتقوا من النار! ويقول لهم: إني كنت ابلغت إلى عبادي رسلاً من انفسهم وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه! فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب! أتدخلناها وما كنا نعرف؟ ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعاً، فيقول الله: قد

عصيتموني فأنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية! فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار».

وأخرج أحمد وابن راهويه في مسنديهما والبيهقي في كتاب الاعتقاد[1] وصححه عن الأسود بن سريع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في فترة ـ إلى أن قال: وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب! ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه؛ فيرسل إليهم أن ادخلوا النار! فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يسحب اليها».

وأخرج البزار عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسول، ويقول المعتوه: أي رب! لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: لم أدرك العمل، فترفع لهم نار فيقال لهم: ردوها! فيردها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل».

وأخرج البزار عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم فيقولون: ربنا! لم ترسل إلينا رسولاً، ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت الينا رسولاً لكنا أطوع عبادك، فيقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر أتطيعونني ـ وذكر نحو ما تقدم.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مثله، وفي الباب أحاديث أخر. وهذه الأحاديث هي العمدة في المسألة وكل ما شابهها، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم في أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه في النار، بل هو في مشيئة الله موقوف على الامتحان؛ وقد صرح في

---

(١) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد واضعه مات في العام ٤٥٨ هـ.

حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ بجريان هذا الحكم في أهل الجاهلية عبدة الأوثان، فمن لم يثبت عنه عبادة فهو من باب أولى، وأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده، كما سيأتي الإشارة اليه.

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السالف عنه وقوله: إن الإيمان بعد الموت لا ينفع، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست بدار تكليف، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهم بالإحياء في الدنيا من باب أولى، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما في الدنيا فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقر به عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فصل

ظهر لي نكتة لطيفة جداً في قوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**، **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**، حيث قرن بين هاتين الجملتين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم في الجنة بعد إخباره بأنهم في النار كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها، والثانية متعلقة بأهل الفترة: وهم والأطفال مشتركون في عدم التعذيب لأمرين: **أحدهما**: عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها في الأطفال وانتفائها بالكلية وعدم ورودها في أهل الفترة، والثاني عدم التكليف لعدم شرطه وهو البلوغ في الأطفال.

وورد الشرع في أهل الفترة إذ لا حكم قبل البعثة، فلهذا قرنت الجملتان وذلك من بدائع أسرار القرآن، ولهذا اعتمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية في الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون في الآخرة ولا يبادرون بالعذاب بعد إخباره بما يقتضي أنهم في النار ابتداء، فكان الإخبار أولاً في

الفريقين على حد سواء والنـازل فيهما جملتان مقترنتان، والإخبـار ثانيـاً متحد عنهما أيضاً وهو أنهم لا يعذبون.

وقـد صححه النـووي والمحققون في الأطفـال، وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون، وجزم به أهل السنة قاطبة في أهل الفترة؛ فوجب انتفاء التعذيب عن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما جزموا به بالامتحان في أهل الفترة، وجرى في الأطفال خلاف وصح كونهم في الجنة لأجل مزية البلوغ والعقل في أولئك. ويدل لكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتماداً على هذه الآية ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم يرسل إليهم رسولاً فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم **﴿وما كنا معـذبين حتى نبعث رسولاً﴾**، إسناده على شرط الشيخين، ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

فصل في نقل مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة: شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً للمعتزلة، قال الكيـا الهراسي وغيره: المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر واجتناب النواهي من الكفر وغيره.

وقال ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب: وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتـزلة كـابن شريـح والصيرفي والقفـال الكبير، وابن أبي هـريرة والقاضي أبي حامد، وقد اعتذر القاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب والأستاذ أبو إسحاق في أصوله والشيخ أبو حامد الجويني في شرح الرسالة عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ في الكلام، وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهي شكر المنعم واجب عقلاً، فذهبوا اليها غافلين من

تشعبها عن أصل المعتزلة مع علمنا بأنهم ما اقتحموا مسالكهم وما تبعوا لمقاصدهم.

قال ابن السبكي: وهو كلام حق بالنسبة إلى ما عدا القفال الكبير، أما القفال فكان إماماً في الكلام مقدماً إلا أنه كان أول أمره معتزلياً فقال هذه المقالة، ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك.

قال ابن السبكي: وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجياً، ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم ـ انتهى كلامه. وهو صريح في نجاته وأنه لا يدخل النار، وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلماً، وهذا غير مسألتنا إن ثبت في شيء من الحديث إطلاق اسم على المحل المتنازع فيه وإنما. . .[1] كما سأشير إليه.

فصل

أورد الزركشي في شرح الجوامع لقاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً ثلاثة أدلة من القرآن: قوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** وقوله تعالى: **﴿ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غفلون﴾**[2]، أي لم يأتهم الرسل والشرائع، وقوله تعالى: **﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيتك ونكون من المؤمنين﴾**[3].

قلت: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول، ثم قرأ هذه الآية **﴿ربنا لولا**

---

(١) في الأصل بياض.

(٢) الأنعام الآية: ١٣١.

(٣) القصص الآية: ٤٧.

أرسلت إلينا رسولاً فنتبع ايٰتك ونكون من المؤمنين﴾. إسناده حسن.

ومن الآيات الواردة في هذا قوله تعالى: **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم ايٰتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظٰلمون﴾**(١)، وقوله تعالى: **﴿ولو أنا اهلكنٰهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع ايٰتك من قبل أن نذل ونخزى﴾**(٢)، أخرج ابن أبي حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفي قال: الهالك في الفترة يقول: رب! لم يأتني كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية: **﴿ولو أنا اهلكنٰهم بعذاب من قبله لقالوا﴾**(٢) - إلى آخر هذه الآية، وقوله تعالى: **﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صٰلحاً غير الذي كنا نعمل، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾**(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: احتج عليهم بالعمر والرسل، وقوله تعالى: **﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**(٤). وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في هذه الآية: **﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**، قال: فيقولون: ما أرسلت إلينا رسولاً.

فإن قلت: كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ما قبل البعثة، وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذلك موجودة؟

قلت: دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها، ولا مكلفين بإتيانها، ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في الفترة صريحة، ولو كان المراد بما قبل البعثة أن لا يكون بعث رسول في الدنيا أصلاً لاستحال وجود ذلك، إذ ما من فترة إلا قبلها نبي إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر، والقرآن

---

(١) القصص الآية: ٥٩.

(٢) طه الآية: ١٣٤.

(٣) آل عمران الآية: ٣٧.

(٤) النساء الآية: ١٦٥.

أيضاً ناطق بذلك قال الله تعالى: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين**﴾[1]

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**أن تقولوا إنما أنزل الكتبُ على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغفلين**﴾، قال اليهود والنصارى: خاف أن يقوله قريش؛ وبهذا القول يندفع ما وقع في شرح مسلم في حديث: إن أبي وأباك في النار، من قوله: إن أهل الجاهلية لا يجري عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء، كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان: إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم ـ وذكر بقية الحديث في الامتحان، فهذا نص في المسألة وبقية الحديث شاهدة على الهالك في الفترة ما بين النبيين، واشتهرت لما بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم!

وقد قال الرافعي في الروضة: من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، فلو قتل كان مضموناً قطعاً، وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن! أما الكفارة فيجب بلا تفصيل. ثم له ثلاثة أحوال: **أحدها**: أن لا تكون بلغته دعوة نبي أصلاً، فلا قصاص على الصحيح، وأوجبه القفال، وهل يجب دية مجوسي أو مسلم وجهان أصحهما الأول؛ **والثاني**: أن يكون مستمسكاً بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه، فلا قصاص على الأصح، وقيل: يجب دية مسلم أو يجب دية أهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثاني؛ **والثالث**: أن يكون مستمسكاً بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه، فلا قصاص قطعاً، ويجب دية مجوسي في الأصح ـ انتهى.

وهل يمكن أن يوجد في أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبياً أصلاً

---

(١) الأنعام الآية: ١٦٥.

من لدن آدم ـ عليه السلام، وبعثة أنبياء الله تعالى ووقائعهم مشهورة ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاماً والطوفان الذي غرق أهل الأرض جميعاً؛ فلو اخترنا مطلق وجود الأنبياء عليهم السلام لاستحال وجود من لم تبلغه الدعوة، ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة في أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها، ويحكم عليهم جميعاً بأنهم في النار من غير امتحان، وفي أهل الفترة ورد الأحاديث الثابتة الصحيحة.

فإن قلت: لم يتضح في هذا كل الاتضاح فزد لي بياناً بوجهه! قلت: وجهه مجموع أمور: طول المدة من لدن بعثة إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، فإنه لم يبعث في العرب نبي بعد اسماعيل وحدث التغير في دينهما، وتمادي الزمان عليه وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها، وتدارك القرون قرناً بعد قرن مستمسكين بذلك المغير؛ حتى نشأ قوم فلم يجدوا إلا ذلك، ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه، ولا وجدوا من يخبرهم به؛ فهم يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة. ولهذا استنكروا ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعجبوا منه، ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يعرف، وقالوا: **﴿إنَّ هذا لشيء عجاب، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾**[1]، وقالوا: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**[2]، ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ما هي عليه لعرفوا أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نمط دعوتهم، فلهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق، ولم يكن كفرهم إنكاراً لصانع ولألوهيته، ولا ادعوا في الأصنام أنها تخلق وتدبر كما ادعى نمرود وقومه، بل كانوا يقرون لله بالألهية وأنه الخالق المدبر كما قال الله تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**[3]، وكانوا يزعمون الأصنام أنها تشفع لهم عند الله

---

(١) ص الآية: ٥ و ٧.

(٢) الزخرف الآية: ٢٣.

(٣) الزخرف الآية: ٨٧.

كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[1]، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، كما قال الله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾[2].

فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع، وأن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام وعدم بلوغه لهم على وجهه.

ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يأهل الكتٰب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾[3]، فإذا كان الله أنذر أهل الكتاب بأن بعث رسولاً إليهم به بعد الفترة بين لهم ما بدله الأحبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم: ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾، وهم كانوا أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة، غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم، ولم يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل، فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدرون ما الكتاب!

تنبيه

الذي عندي أنه لا ينبغي أن يفهم من قول النووي في شرح مسلم في حديث أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار، فيه إن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء؛ أنه أراد بذلك الحكم على أبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بل ينبغي أن يفهمه أنه أراد الحكم على أبي السائل، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف.

---

(١) الزمر الآية ٣.

(٢) يوسف الآية: ١٠٦.

(٣) المائدة: الآية: ١٩.

فصل

ظهر لي في حديث: إن أبي وأباك في النار، علتان:

إحداهما: من حيث الإسناد، وذلك أن الحديث أخرجه مسلم وأبو داود من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار؛ وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري، وفي أفراد مسلم أحاديث تكلم فيها، ولا شك أن يكون هذا منها.

أما أولاً: فثابت وإن كان إماماً ثقة فقد ذكره ابن عدي في كامله في الضعفاء وقال: إنه وقع في أحاديثه نكرة، وذلك من الرواة عنه، فإنه روى عنه الضعفاء، وأورده الذهبي في الميزان.

وأما ثانياً: فحماد بن سلمة وإن كان إماماً عابداً عالماً فقد تكلم جماعة في روايته، وسكت البخاري عنه فلم يخرج له شيئاً في صحيحه.

وقال الحاكم في المدخل، ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا حديثاً عن ثابت، وقد خرج له مسلم في الشواهد عن طائفة. وقال الذهبي: حماد ثقة، له أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون: إنها دُسَّتْ في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العرجاء كان ربيبه وكان يدس في كتبه.

ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل**﴾[1] قال: اخرج طرف خنصره وضرب على ابهامه فساخ الجبل. هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه، والمناكير في رواية حماد كثيرة.

وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذي نحن في تعليله، ومن أنكر

(١) الأعراف الآية: ١٤٣

رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: رأيت ربي جعداً أمرد عليه خضر. وهذا أيضاً أورده في الموضوعات، فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكراً، وقد وصف أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكرة.

العلة الثانية: من حيث المتن، وهي مبنية على مقدمة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنة واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وإيهام، كالحديث الذي أخرجه البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سناً فقال: «أن يستفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة».

قال: قال العلماء: كان الأعراب يسألونه كثيراً عن الساعة، فخشي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: لا أعلمها، فتنتهم، وشكهم، فأجابهم بجواب فيه تورية؛ ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا، وقيام ساعة كل واحد موته.

إذا عُرف ذلك فالذي عندي في هذا الحديث: إن أبي وأباك في النار، ليس رواية باللفظ بل رواها الراوي بالمعنى فوهم ذلك، وإنما تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام مورًى ففهم منه السامع فقاله.

وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر: أن أبي وأباك في النار، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره البتة، وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمراً لم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان، فكان لفظه أثبت؛ ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس - رضي الله عنه، فقد أخرج البزار في مسنده والطبراني في المعجم الكبير بسند رجال الصحيح، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! اين

أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار!
وهذا حديث صحيح وفيه فوائد:

منها بيان أن السائل كان أعرابياً، وهو مظنة خشية الفتنة والردة.

ومنها بيان جواب فيه إيهام وتورية، إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف في النار، إنما قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار! وهذا جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك، إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن، وهذا شأن التورية والإيهامات؛ فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده، لما جبلت عليه النفس من كراهة الاستيثار عليها.

ولما كانت عادة الأعراب من غلظ القلوب والجفاء أورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الاتقان؛ ولهذا قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه ـ يعني اختلاف الرواة في إسناده وألفاظه.

وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ فبينها النقاد، منها حديث مسلم في نفي قراءة البسملة وقد أعله الشافعي بذلك وقال: إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه نافياً في أشياء أخر مبينة في كتب الحديث.

فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة، ولا يكون ذلك قدحاً في صحة الحديث من أصله بل في هذا اللفظ فقط، وكذلك حديث: أمي مع أمكما. على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها في النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاماً تطييباً لقلوبهما.

فإن قلت: قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم في النار حتى يمتحنوا، فكيف حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أب السائل بأنه في النار؟

قلت: ظهر لي عن ذلك أربعة أجوبة: الأول ان هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة في أهل الفترة فيكون منسوخاً بها، كما أخبر أولاً عن أطفال المشركين بأنهم في النار، ثم نسخ ذلك. **الثاني**: إنا لم نقطع بعدم النار في أهل الفترة بل قلنا: يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار. فيمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم اطلع في حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان فيدخل النار، وأوحي اليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار.

الثالث: أنه يمكن في هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغه دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يعذر.

الرابع: أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة.

فإن قلت: فأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث، قلت: الجواب عنهما من ثلاثة أوجه: الأول: أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوهما الى الدين، وهذا لم ينقل فنحكم عليهما خصوصاً أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياماً قلائل لا تسع ذلك؛ أما عبدالله فإنه مر بها في سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهراً مريضاً ومات، وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعاً بأحد ولا سؤالاً عن دين؛ وأما آمنة فقدمت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضاً شهراً، ومعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت فماتت بالطريق. الثاني أن نقول: أي مانع أن يكون دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران! وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد نشر أمر أهل الكتاب والكهان وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقا بذلك وبشرا به، وبشرت به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك، وقالت الأبيات السابقة عند موتها! وهل ينسب إليهما الشرك وقد اخبرا عن ولدهما أنه يبعث رسولاً عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام وصدقا بذلك! وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق!

الثالث أنا ندعي أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعبدا صنماً قط، وسنقرر ذلك قريباً بأدلة.

تذنيب

من اللطائف في أمرهما أنهما ماتا شابين فلم يبلغا سناً تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى: ﴿**أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر**﴾[1]، قيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون سنة، وفي الحديث: لقد أعذر الله إلى امرىء أخره من العمر ستين سنة، وفي الأثر: قد تمت حجة الله على ابن الأربعين؛ وكان عمر والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي خمساً وعشرين سنة كما قال الواقدي: إنه أثبت الأقاويل في سنه، وكان عمر أمه حين توفيت قريباً منه.

فصل

في الدليل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم، ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان.

أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾[2]، قال: فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾، وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿**رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي**﴾[3]. قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم

---

(١) فاطر الآية: ٣٧.

(٢) إبراهيم الآية: ٣٥.

(٣) إبراهيم الآية: ٤٠.

ناس على الفطرة يعبدون الله. قلت: ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿وتقلبك في السجدين﴾[1]، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات والبزار والطبراني وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في السجدين﴾، قال: من نبي إلى نبي، ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً، ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء عليهم السلام، ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا في ذرية إبراهيم لو صح أنه ليس في أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وإدريس عليهم السلام في قول.

فصل

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه» أخرجه البخاري في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً. واصطفى من قريش بني هاشم». أخرجه مسلم من حديث واثلة، فالخيرية والاصطفاء يشعر بالإسلام. وطريقة أخرى في الاستدلال أخرج الإمام أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض، ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده.

وأخرج أحمد في الزهد عن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب.

---

(١) الشعراء الآية: ٢١٩.

وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض. هذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق في أنه ما زال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله، يدل على أن أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على الحنيفية من زمن إبراهيم عليه السلام.

وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم غيرهم، أولا يكون أحد كذلك، والثاني: باطل خلاف الوارد في هذه الآثار الصحيحة، والأول: باطل أيضاً لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيراً منهم إذ لا يكون كافراً خيراً من مسلم، وهذا باطل بمخالفة حديث البخاري المصدر به هذا الفصل، وهو أنه بعث من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً إلى القرن الذي كان فيه.

فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه، ولا يكون كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم، فتعين أن يكون مسلماً، والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخاري.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي ولم يصبني شيء من عهد الجاهلية، خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمي؛ فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يلتق أبواي على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني

عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم عبد المطلب؛ والله! ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ إلا كنت في خيرهما». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد أوردتها في أول كتاب المعجزات.

وأخرج ابن أبي عمرو العدني[1] في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ الفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقدرني في صلب إبراهيم؛ ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط».

وأخرج البيهقي في الدلائل والطبراني في الأوسط، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال لي جبريل ـ عليه السلام ـ قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ولم أجد بني أب أفضل من هاشم». قال الحافظ ابن حجر في أماليه بعد أن أورد هذا الحديث: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

فصل

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة: وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما زال عين الرضى معه، فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام، فقال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان مؤمناً قبل البعثة، وقال آخرون: بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب عليه فيها لعلم الله تعالى بأنه يصير من خلاصة الأبرار.

---

(١) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون بأن ابن أبي عمرو أبي عبدالله محمد بن يحيى العدني مات عام ٢٤٣ هـ.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، وهل العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق رضي الله عنه لم يحفظ منه في حق غيره؟ فالصواب أن يقال إن الصديق رضي الله عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه؛ ولهذا خصص الصديق رضي الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم ـ انتهى.

قلت: وهذا الذي قاله السبكي في الصديق رضي الله عنه نقوله نحن في أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده مع أن الصديق رضي الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل لهما التحنف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة، وكانا يودانه كثيراً.

فصل

فيمن نص على إسلامه من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحاً.

أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم، فلا تذكروهم إلا بخير!

قال السهيلي في الروض الآنف: يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا الياس ـ عليه السلام! فإنه كان مؤمناً، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج».

وأخرج الزبير بن بكار مرفوعاً: لا تسبوا مضر ولا ربيعة! فإنهما كانا مؤمنين.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا خالد بن خداش، حدثنا عبدالله بن وهب، أخبرني سعد بن أبي أيوب، عن عبدالله بن خالد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا مضر! فإنه كان قد أسلم». وقال السهيلي في الروض الآنف إن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة، وكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه

وآله وسلم، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهداً نجواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأحكام له ـ انتهى.

قلت: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره: وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة وستون سنة. وقد سقت الخبر بلفظه في أول كتاب المعجزات.

فصل

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل وقد صعد جبل أبي قبيس:

أشعار

لا هُمَّ إن المرء يمنع ... رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبداً محالك

وأورده جماعة بلفظ:

فانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك

هذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه.

وفي طبقات ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن ـ وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بركة! لا تغفلي عن ابني! فإني وجدته مع غلمان قريباً من الصدودة، وإن أهل الكتاب يقولون: ابني نبي هذه الملة.

فصل ـ في بعض من تحنف في الجاهلية

اخرج البزار والحاكم في المستدرك وصححه عن عائشة رضي الله عنها

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا ورقة بن نوفل! فإني قد رأيت له جنة أو جنتين».

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل: يا رسول الله! إنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول: ديني دين إبراهيم وإلٰهي إله إبراهيم ويسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر ذاك أمة واحدة بيني وبين يدي عيسى ابن مريم» ـ عليهما السلام، وسألناه عن ورقة بن نوفل كذلك فقيل: يا رسول الله! كان يستقبل القبلة ويقول: إلٰهي إله زيد وديني دينه، فقال: «رأيته يمشي في بطن الجنة عليه حلة من سندس».

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال في خطبته: سيجيئكم حق من هذا الوجه ـ وأشار بيده نحو مكة ـ قالوا له: ما هذا الحق؟ قال: رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد، فإن دعاكم فأجيبوه! ولو علمت أني أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمي قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية وعلمت أنها الباطل، يعبدون الحجارة. وأخرج أبو نعيم عن عبدالله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب.

حديث: لا تسبوا تبعاً! فإنه كان قد أسلم.

وأخرج الخرائطي وابن عساكر في تاريخه عن جامع أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأوصى بذلك ولده مالكاً عند موته. وقد سقت الخبر بتمامه في المعجزات.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ من

جهينة أن عمرو بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية وصلى لله وعاش حتى أدرك الإسلام. وسقت الخبر أيضاً بتمامه في المعجزات.

وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن غالب بن أبجر[1] رضي الله عنه قال: ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «رحم الله قساً! قيل: يا رسول الله! ترحم على قس؟ قال: نعم، إنه كان على دين أبينا اسماعيل بن إبراهيم» ـ عليهما السلام.

فصل

قال الشهرستاني في الملل والنحل: كانت العرب على قسمين: معطلة ومحصلة.

فالمعطلة أصناف: منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقال بالطبع المحيي والدهر المفني، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾[2].

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء والإبداع، وأنكر البعث والإعادة وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**قال من يحيي العظم وهي رميم**﴾[3].

ومنهم من أقر بالخالق والإبداع ونوع من الإعادة، وأنكر الرسل وعبد الأصنام، وزعم أنها شفعاء له عند الله في الآخرة؛ وهم أكثر من العرب إلا شرذمة منهم.

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم:

علم الأنساب والتواريخ والأديان، ويعدونه نوعاً شريفاً خصوصاً معرفة أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم إلى

---

(١) غالب بن أبجر، ويقال: غالب بن ديخ، له أحاديث عند البصريين.

(٢) الجاثية الآية: ٢٤.

(٣) يس الآية: ٧٨.

إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أسارير عَبد المطلب. وببركة ذلك النور الهم النذر في ذبح ولده. وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور. وببركته قال لأبرهة:

إن لهذا البيت رباً، ومنه يحفظه، قال وقد صعد أبا قبيس:

لا هُـمَّ إن المـرء يـمنـع رحـله فـامنـه رحـالـك
لا يغلبـن صليـبهـم ومحـالـهم أبـداً مـحـالـك[1]

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة ـ إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيـل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال: والله! إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته. ومما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يصرف بالقداح على عبدالله ابنه ويقول: يا رب! أنت الملك المحمود، وأنت ربي الملك المعبود، من عندك الطارف والتالد[2].

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمروا أبا طالب[3] أن يحضر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير، فاستسقى به وأنشد في ذلك أبو طالب بقوله:

شعر

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال[4] اليتامى عصمة للأرامل

---

(١) وفي الخصائص الكبرى: اللهم إن لكل إله حلال فامنع حلالك ـ لا يغلبن محالهم محالك ـ اللهم إن فعلت فأمر ما بدا لك.

(٢) الطارق من المال: ما حصله المرء بنفسه حديثاً، والتليد ،مانزل إليه من والده وجده وإن علا وراثه.

(٣) القصة صحيحة كما وردت هنا من أن قريش يوم أصابها الجدب طلبت من أبي طالب أن يستسقي بابن أخيه، ولكن سياق القصة كما وردت هنا توحي بأن عبد المطلب هو الذي استسقى.

(٤) ثمال القوم: غياثهم.

والنوع الثاني علم الرؤيا، والنوع الثالث علم الأنـواء، وهو علم الكهـانة والقيافة.

ومن العـرب من يؤمن بالله واليـوم الآخر وينتـظر النبوة وكـانت لهم سنن وشرائع. فممن كان يعتقد الدين الحنيفي زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الأيادي، وعامر بن الظرب العدواني. وممن كان قد حرم الخمـر في الجاهليـة قيس بن عـاصم التميمي، وصفوان بن أميـة الكنـاني، وعقيب بن معـد يكـرب الكندي.

وممن كـان يؤمن بالخـالق وبخلق آدم عليه السـلام طالحـة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة. ومنهم زهير بن أبي سلمى وكان يمر بالعضاة[1] وقد أورقت بعد يبس ويقول: لـولا أن تسبني العرب لآمنت، أن الذي أحيـاك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم، ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته المشهورة:

شعر

يؤخر فيوضع في كتاب فيـدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده: ادفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها! فإن لم تفعلوا حشرت على رجلي. وكانوا في الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الأمهات والبنـات والأخوات والخـالات والعمات، وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويـرمون الجمار، ويحرمون الأشهر الحرم، ويغتسلون ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود، ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق؛ وكان دين إبراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب، وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بـن لحي ـ وهذا كله كلام الشهرستاني.

---

(١) الشجر العظيم ويكـون له شوك.

قال ابن الجوزي في التلقيح تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه، زيد بن عمرو بن نفيل، عبدالله بن جحش، عثمان بن الحويرث، ورقة بن عمرو بن نوفل، رباب بن البراء، أبو بكر اسعد الحميري، قس بن ساعدة الأيادي، أبو قيس بن صرمة.

فصل

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازي احتج بما احتججت من أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد فقال في كتابه اسرار التنزيل ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه: منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ويستدل عليه بوجوه: منها قوله تعالى: **﴿الذي يرىٰك حين تقوم، وتقلبك في السٰجدين﴾**، فقيل: معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين. وأقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: **﴿وتقلبك في السٰجدين﴾**، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقال الله تعالى: **﴿إنما المشركون نجس﴾**[1]، فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ـ هذا كلام الإمام بحروفه. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) التوبة الآية: ٢٨.

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

السبل الجلية
في
الآباء العلية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. هذا سادس مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللذين يقال في حقهما: إنهما ناجيان ومحكوم لهما في الآخرة بالنجاة ودخول الجنة كما ذهب إليه جمع من الأئمة، ثم اختلفوا في توجيه ذلك على سبل:

السبيل الأول

إنهما لم تبلغهما الدعوة لأنهما كانا في زمن الجاهلية التي عم فيها الجهل طبق الأرض، وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصاً وقد ماتا في حداثة السن، فإن والده صلى الله عليه وآله وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي[1] أنه عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة، ووالدته ماتت في حدود العشرين تقريباً، ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في مثل ذلك الزمان، وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة؛ هذا مذهبنا لا خلاف بين أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول، وقد نص على ذلك إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنه في الأم والمختصر وتبعه سائر الأصحاب فلم يشذ أحد منهم بخلاف، واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها قوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[2].

(١) هو أبو سعيد خليل بن كيكلدي الدمشقي الشافعي مات في أصح الأقوال عام ٧٦١ هـ.

(٢) الإسراء الآية: ١٥.

وهذه مسألة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند أئمتنا الأشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم وأنه واجب بالسمع لا بالعقل، وهذه القاعدة ـ أعني قاعدة شكر المنعم ـ مرجعها إلى قاعدة كلامية وهي قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وإنكارهما متفق عليه من الأشاعرة كما هو معروف في كتب الكلام والأصول، وقد أطنب الأئمة في تقرير هاتين القاعدتين والاستدلال عليهما، والجواب عن حجج المختلفين إطناباً عظيماً خصوصاً إمام الحرمين في البرهان والغزالي في المستصفى والمنحول والكيا الهراسي في تعليقه، والإمام فخر الدين الرازي في المحصول وابن السمعاني في القواطع والقاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة؛ وترجع مسألة من لم تبلغه الدعوة إلى قاعدة ثانية أُصولية وهي أن الغافل لا يكلف، وهذا هو المبحوث في الأصول، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿**ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غفلون**﴾[1].

ثم اختلفت عبارات الأصحاب في من لم تبلغه الدعوة، فأحسنها من قال: إنه ناج، وإياها اختار السبكي، ومنهم من قال: على الفترة، ومنهم من قال: مسلم، وقال الغزالي: التحقيق أن يقال: في معنى المسلم. قد مشى على هذا السبيل في والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة، حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وغيره ومشى عليه الأبي في شرح مسلم، وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي يعول عليه ويجيب به إذا سئل عنهما.

السبيل الثاني

أنهما من أهل الفترة وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار؛ وأحاديث الامتحان كثيرة والمصحح منها ثلاثة:

---

(١) الأنعام الآية: ١٣١.

الأول: حديث عن الأسود بن سريع وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ معاً مرفوعاً أخرجه أحمد في مسنده، وصححه البيهقي في كتاب الاعتقاد.

والثاني: حديث أبي هريرة موقوفاً وله حكم الرفع، لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر في تفاسيرهم، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

والثالث: حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي على تصحيحه في مختصره.

وحديث رابع: أخرجه البزار وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وابن أبي حاتم أيضاً عنه موقوفاً، وله حكم الرفع، وفي سنده عطية العوفي، وفيه ضعف إلا أن الترمذي يُحَسِّن حديثه خصوصاً إذا كان له شاهد، وهذا له عدة شواهد كما ترى.

وحديث خامس: أخرجه البزار وأبو يعلى من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً، وسنده ضعيف.

وحديث سادس: أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وسنده ضعيف.

والعمدة على الثلاثة الأول الصحيحة. وهذا السبيل نقل حافظ العصر أبو الفضل بن حجر عن بعضهم أنه مشى عليه فيما نحن فيه ثم قال: والظن بآبائه صلى الله عليه وآله وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير قضية الامتحان أيضاً في والدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أهل الفترة وقال: إن منهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، إلا أنه لم يقل: إن الظن في الوالدين الشريفين أن يجيبا، ولا شك أن

الظن بهما أن يوفقهما الله حينئذ للإجابة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي».

وأخرج الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود. فهذا تلويح بأنه يرتجي أن يشفع لهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان.

وينضم إلى ذلك ما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة[١] وغيره عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك» ـ أورده المحب الطبري في كتابه ذخائر العقبى. وما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[٢]، قال: من رضى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاده ذلك قوة كما تقرر في علوم الحديث، وأمثلها حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فإن الحاكم قد صححه. وهذا السبيل قد يعد مغائراً للسبيل الأول كما مشيت عليه في هذا الكتاب، وفي الكتاب المطول، لأن مقتضى السبيل الأول الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان، وقد يعد مرادفاً له كما مشيت عليه في مسالك الحنفاء وفي الدرج المنيفة وفي المقامة السندسية وهو أقرب إلى التحقيق، ويكون معنى قولهم: إنه ناج ـ أي بشرط لا مطلقاً، وقولهم: لا يعذب ـ أي ابتداء كما يعذب من عاند، بل يجري فيه الامتحان، ويكون امتحانه في الآخرة منزلاً منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا،

(١) من كتب الحديث لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان كما ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون.
(٢) الضحى الآية: ٥.

ويكون عصيانه في الآخرة بمنزلة مخالفته للرسل، ويؤيد ذلك أن أبا هريرة - رضي الله عنه - راوي حديث أهل الفترة استدل في آخره بالآية التي استدل بها الأئمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة، ولفظه فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر الثلاثة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس، عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار! فيقولون: كيف ولم تأتنا رسل! قال: وأيم الله! لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه؛ ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**، ففهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قوله تعالى: **﴿حتى نبعث رسولا﴾**، من هو أعم من رسول الدنيا، والرسول المبعوث إليهم يوم القيامة أن ادخلوا النار! ولا مستنكر مثل هذا الفهم العظيم من مثل أبي هريرة رضي الله عنه؛ وعلى هذين السبيلين فالجواب عن الأحاديث الواردة في الأبوين بما يخالف ذلك أنها وردت قبل ورود الآيات والأحاديث المشار إليها فيما تقدم، كما أجيب عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار قبل ورود قوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[1]، وسائر الأحاديث المخالفة لتلك.

وقال بعض أئمة المالكية في الجواب عن تلك الأحاديث الواردة في الأبوين: إنها أخبار أحاد فلا تعارض القاطع وهو قوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**، ونحوها من الآيات في معناها.

قلت مع ضميمة أن أكثرها ضعيف الإسناد والصحيح منها قابل للتأويل.

السبيل الثالث

إن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا به، وهذا السبيل مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث، واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف، وقد

---

(١) الإسراء الآية: ١٥.

أورده ابن الجوزي في الموضوعات وليس بموضوع؛ وقد نص ابن الصلاح في علوم الحديث وسائر من تبعه على أن ابن الجوزي تسامح في كتابه الموضوعات فأورد فيه أحاديث وحكم بوضعها وليست بموضوعة بل هي ضعيفة فقط، وربما تكون حسنة أو صحيحة.

قال الحافظ زين الدين العراقي في الألفية.

وأكثر الجامع فيه إذ خرج　　لمطلق الضعف عني أبا الفرج

وقد ألف شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً سماه القول المسدد في الذب عن مسند أحمد[1]. أورد فيه جملة من الأحاديث التي أوردها ابن الجوزي في الموضوعات، وهي في مسند أحمد ودرأ عنها أحسن الدرأ، ووهم ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع، وبين أن منها ما هو ضعيف فقط من غير أن يصل إلى حد الوضع، ومنها ما هو صحيح، وأبلغ من ذلك أن منها حديثاً مخرجاً في صحيح مسلم حتى قال شيخ الإسلام: هذه غفلة شديدة من ابن الجوزي حيث حكم على هذا الحديث بالوضع وهو في أحد الصحيحين ـ انتهى.

وسبقه إلى شيء من هذا التعقب شيخه حافظ عصره زين الدين العراقي، ورأيت في فهرست مصنفات شيخ الإسلام أنه شرع في تأليف تعقبات على موضوعات ابن الجوزي ولم أقف على هذا التأليف، وقد تتبعت أنا منه جملة من الأحاديث ليست بموضوعة فمنها ما هو في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة، وبينت حال كل حديث منها ضعفاً وحسناً وصحة في تأليف حافل سمي النكت البديعات على الموضوعات.

وهذا الحديث الذي نحن في ذكره، وهو حديث الإحياء خالف ابن الجوزي فيه كثير من الأئمة والحفاظ فذكروا أنه من قسم الضعيف الذي تجوز روايته في الفضائل والمناقب لا من قسم الموضوع، منهم الحافظ أبو بكر الخطيب

---

(١) إهتم بطباعة هذا الكتاب مع تكملته للمولوي محمد صبغة الله المدراسي مطبعة دائرة المعارف النظامية.

البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر والحافظ أبو حفص بن شاهين، والحافظ أبو القاسم السهيلي، والإمام القرطبي، والحافظ محب الدين الطبري، والعلامة ناصر الدين بن المنير، والحافظ فتح الدين ابن سيد الناس، ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح في نظم له، والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له فقال:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا اباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا

فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا إلا أني لم أقف على ذلك وإنما وقفت على كلامه الذي قدمته في السبيل الثاني.

وقال السهيلي في أوائل الروض الآنف بعد إيراد حديث انه صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي ابويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما، ما نصه: والله قادر على كل شيء، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء، ونبيه عليه السلام أهل أن يختصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته، وقال في موضع آخر من الكتاب في حديث، أنه قال لفاطمة ـ رضي الله عنها: «لو كنت بلغت معهم الكدي[1] ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك» ما نصه: في قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك ـ يعني أباه، تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه وآمنا به ـ انتهى مع أن الحديث الذي أورده السهيلي لم يذكره ابن الجوزي في الموضوعات وإنما أورد ابن الجوزي حديثاً آخر من طريق آخر في إحياء أمه فقط. وفيه قصة بلفظ غير لفظ الحديث الذي أورده السهيلي فعلم أنه حديث آخر

(١) أورد صاحب النهاية القصة على الشكل التالي: أن فاطمة رضي الله عنها خرجت في تعزية بعض جيرانها فلما انصرفت قال لها رسول الله ﷺ: لعلك بلغت معهم الكدي ـ أراد المقابر، وذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة، وهي جمعة كدية ـ ويروى بالراء، والكدية: قطعة غليظة صلبة.

مستقل، وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالف ذلك ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها.

وقال القرطبي: فضائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه: قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما به بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال: وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته!

السبيل الرابع

انهما كانا على الحنيفية دين إبراهيم كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه في الجاهلية، وقد عقد ابن الجوزي في التلقيح[1] باباً لتسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية، فأورد فيه جماعة منهم زيد المذكور وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وأبو بكر الصديق وغيرهم؛ وقد مال إلى هذا السبيل الإمام فخر الدين الرازي وزاد أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم كلهم إلى آدم ـ عليه السلام ـ كانوا على التوحيد، قال في كتابه أسرار التنزيل ما نصه: قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه:

منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: ﴿**الذي يرىٰك حين تقوم، وتقلبك في السٰجدين**﴾[2]، قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، قال: وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما كان من الكافرين؛ اقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿**وتقلبك في السٰجدين**﴾، على وجوه أخرى، وإذا وردت الروايات بالكل

---

(١) التلقيح: كتاب لابن الجوزي في السيرة والتاريخ.

(٢) الشعراء الآية: ٢١٨، ٢١٩.

ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان.

ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقال تعالى: ﴿إنما المشركون نجس﴾[1]؛ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ـ هذا كلام الإمام بحروفه. وقد وجدت له أدلة قوية ما بين عام وخاص:

فالعام مركب من مقدمتين: إحداهما أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل جد من أجداده صلى الله عليه وآله وسلم خير أهل قرنه كحديث البخاري: «بعثت من خير قرون بني آدم ـ عليه السلام ـ قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

والثانية أنه قد ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض، أخرج عبد الرزاق في المصنف، وابن المنذر في التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض من عليها.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما خلت الأرض من بعد نوح ـ عليه السلام ـ من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض. وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين انتج ما قاله الإمام، لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعي، وإن كانوا غيرهم لزم أحد الأمرين: إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح، وإما أن يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع، وفي التنزيل ﴿ولعبد مؤمن خير من

---

(١) التوبة الآية: ٢٨.

مشرك﴾[1] فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كل في زمانه.

وأما الخاص فأخرج ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ما بين نوح إلى آدم - عليهما السلام - من الآباء كانوا على الإسلام. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والبزار في مسنده والحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله - رضي الله عنه - **﴿كان الناس أمة واحدة فاختلفوا﴾**[2]

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام **﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾**[3]، وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع بل ورد في أثر أنه نبي، وولده أرفخشد صرع بإيمانه في أثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه: ادرك جده نوحاً - عليه السلام - ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده.

وروى ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي: أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح - عليه السلام - إلى أن ملكهم نمرود فدعاهم إلى عبادة الأوثان، وفي عهد نمرود كان إبراهيم عليه السلام وآزر.

وأما ذرية إبراهيم عليه السلام فقد قال تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه انني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾**[4].

أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد في قوله

---

(١) البقرة الآية: ٢٢١.

(٢) البقرة الآية: ٢١٣.

(٣) نوح الآية: ٢٨.

(٤) الزخرف الآيات: ٢٦، ٢٧، و٢٨.

تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ قالا: لا إله إلا الله باقية في عقب ابراهيم ـ عليه السلام.

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، قال: شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها من بعده، وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد امٰنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[1].

أخرج ابن جرير عن مجاهد في الآية: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة انه سئل: هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام؟ قال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾، قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟ قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال: ﴿اجعل هذا البلد آمناً﴾، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾، فيه، وقد خص أهله وقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوٰة﴾[2].

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي﴾[3]، قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله.

وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد ابراهيم وهم على دينه لم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر

---

(١) إبراهيم الآية: ٣٥.

(٢) إبراهيم الآية: ٣٧.

(٣) إبراهيم الآية: ٤٠.

الخزاعي، وهو الذي يقال له: عمرو بن لحي، وهو أول من عبد الأصنام وغير دين ابْراهيم عليه السلام.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان دين ابراهيم قائماً والتوحيد شائعاً في صدر العرب وأول من غيره ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحي.

وقال السهيلي في الروض الآنف: كان عمرو بن لحي حين غلبت الخزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة وقد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة.

قال: وقد ذكر ابن اسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: الا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما يملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو فدانت بها العرب؛ وكان عمرو بن لحي قريباً من زمن كنانة جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم إلا بخير!

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبدالله بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسبوا مضر! فإنه كان قد أسلم.

وقال السهيلي في الروض الآنف في الحديث المروي «لا تسبوا مضر ولا ربيعة! فإنهما كانا مؤمنين» ذكره الزبير بن بكار قال: ويذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا الياس ـ عليه السلام! فإنه كان مؤمناً». وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج؛ قال: وكعب بن لؤي

أول من جمع يوم العروبة، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

شعر

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال: وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له؛ قلت: وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم من آدم ـ عليه السلام ـ إلى كعب بن لؤي وولده مرة مصرح بإيمانهم الا آزر فإنه مختلف فيه، فإن كان والد إبراهيم فإنه يستثنى، وإن كان عمه كما هو أحد القولين فيه فهو خارج عن الأجداد وسلمت سلسلة النسب؛ وبقي ما بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل، وعبد المطلب فيه خلاف.

قال السهيلي في الروض الآنف في حديث الصحيح (حين قال أبو جهل وابن أبي أمية لأبي طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال هو: على ملة عبد المطلب): ظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك، قال: ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه: مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد ـ فالله أعلم، هذا كلام السهيلي. والأشبه فيه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري.

وقد ذكر الحليمي في شعب الإيمان[1] حديث مسلم إن في أمتي أربعاً ليسوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب ـ الحديث؛ وقال عقبة: فإن عورض هذا بحديث

(١) كتاب شعب الإيمان لأبي عبدالله حسين بن حسن الحليمي الشافعي المتوفى في العام ٣٠٤ هـ. أسماه المنهاج وهو كتاب جليل في ثلاث مجلدات فيه أحكام ومسائل فقهية يتعلق بأصول إيمان وآيات الساعة وأحوال القيامة، كشف الظنون بتصرف.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اصطفاء بني كنانة وقريش وبني هاشم، فالجواب أنه لم يرد بذلك الفخر، إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم، كرجل يقول: كان أبي فقيهاً لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه؛ قال: وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء ـ انتهى كلام الحليمي.

ونقله البيهقي عنه في شعب الإيمان وأقره، وقد أشار إلى هذا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي فقال:

تنقل أحمد نوراً عظيماً ... تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرناً ... إلى أن جاء خير المرسلينا

ومما يستأنس به في حق والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد ـ ﷺ ـ غلام بلغته خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

الأشعار

بارك فيك الله من غلام ... يا بن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر ابراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيراً وولدت طهراً؛ ثم ماتت ـ الحديث.

خاتمة

ثم إني لم أدعِ أن المسألة إجماعية بل هي مسألـة ذات خلاف غيـر أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه أنسب بهذا المقام، وقد نقلت من مجموع بخط الشيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا ما نصه: سئل القاضي أبو بكر بـن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾**[1] ـ الآية، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار.

وقال السهيلي في الروض الآنف بعد ذكره الحديث الذي في مسلم ما نصه: وليس لنا نحن أن نقول هذا في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات! والله تعالى يقول: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾** ـ الآية، قال: وقد روى معمر بن راشد الحديث الذي في مسلم بغيـر هذا اللفظ وروى حديث غريب لعله يصح ـ ثم ذكر الحديث في إحيائهما.

وذكر القاضي عياض في الشفاء أن عمر بن عبد العزيز ذكر كاتبه في هذا المقام لفظة كذا فعزله وقال: لا تكتب لي أبداً! والأثر في الحلية لأبي نعيم وفي ذم الكلام للهروي[2] وفيه: أن عمر لما سمعه قال ذلك غضب غضباً شديداً وعزله عن الدواوين ـ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

هذا آخر كتاب السبل الجلية في الآباء العلية تأليف الإمام مفتي المسلمين خاتم المحدثين الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى.

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

---

(١) الأحزاب الآية: ٥٧.

(٢) عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي المعروف بشيخ الإسلام مات سنة ٤٨١ هـ. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

تنزيه الأنبياء
عن
تشبيه الأغبياء

أما بعد حمداً لله غافر الزلات ومقيل العثرات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل عليه في كتابه العزيز ﴿**أفمن زُين له سوء عمله فراه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فلا تذهب نفسك عليهم حسرٰت**﴾[1] وعلى آله وصحبه النجوم النيرات.

فهذا جزء سميته **تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء**، والسبب في تأليفه أنه وقع أن رجلاً خاصم رجلاً فوقع بينهما سب كثير، فقذف أحدهما عرض الآخر، فنسبه الآخر إلى راعي المعزى، فقال له: إذ ذاك تنسبني إلى راعي المعزى، فقال له والد القائل: الأنبياء رعوا المعزى، وما من نبي إلا رعى المعزى؛ وذلك بسوق الغزل بجوار الجامع الطولوني بسوق الغزل بحضرة جمع كثير من العوام، فترافعوا إلى الحكام، فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي فقال له: لو دفع إليّ ضربتُه بالسياط فسئلتُ ماذا يلزم الذي ذكر الأنبياء مستدلاً بهم في هذا المقام؟

فأجبتُ بأن هذا المستدل يعزر التعزير البليغ، لأن مقام الأنبياء أجَل من أن

(١) فاطر الآية: ٨.

(٢) ذكر الإمام السيوطي في كتابه حسن المحاضرة بأن جامع أحمد بن طولون هذا الجامع موضع يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، وقيل: إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات، ونبي هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون، وكان ابتداء بنائه في سنة ٣٦٠ هـ، واستمر بنائه ثلاث سنوات كاملة وبلغت نفقة بنائه مائة وعشرين ألف دينار.

يضرب مثلاً لآحاد الناس، ولم أكن عرفت من هو القائل ذلك، فبلغني بعد ذلك أنه الشيخ شمس الدين الحمصاني إمام الجامع الطولوني، وشيخ القراء وهو رجل صالح في اعتقادي، فقلت: مثل هذا الرجل تقال عثرته وتغفر زلته ولا يعزر لهفوة صدرت منه، وكتبت ثانياً بذلك، فبلغني أن رجلاً استنكر مني هذا الكلام وقال: إن هذا القائل لا ينسب إليه في ذلك عثرة ولا ملام، وإن ذلك من المباح المطلق الذي لا ذنب فيه ولا أثام؛ واستفتى على ذلك من لم تبلغه واقعة الحال، فخرجوه على ما ذكره القاضي عياض في مذاكرة العلم لأجل ذكر لفظ الحكم للاستدلال في الجواب والسؤال، فخشيت أن تشرئب العوام بهذا الكلام، فيكثروا من استعماله في المجادلات والخصام، ويتصرفوا فيه بأنواع من عباراتهم الفاسدة فيؤديهم إلى أن يتمرقوا من دين الإسلام؛ فوضعت هذه الكراسة نصحاً للدين وإرشاداً للمسلمين والسلام. ولنبدأ بالفصل الذي ذكره القاضي عياض في الشفاء في تقرير ذلك فإنه جمع فيه فأوعى، وحرز واستوفى؛ قال:

فصل ـ الوجه الخامس: أن لا يقصد نقصاً، ولا يذكر عيباً ولا سباً، ولكن ينزع بذكر بعض أوصافه، أو يستشهد ببعض أحواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدين على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره، أو على التشبه به، أو عند هضيمة نالته، أو غضاضة لحقته، ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق، بل على قصد الترفيع لنفسه، أو غيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أو قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل: إن قيل فيّ السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كذبت فقد كذب الأنبياء، وإن أذنبت فقد أذنبوا، أو أنا أسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله، أو قد صبرت كما صبر أولو العزم، أو كصبر أيوب، أو قد صبر نبي الله على أعدائه وحلم عليهم أكثر مما صبرت، وكقول المتنبي:

شعر

أنا في أمة تداركها الله   غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري:

كنت موسى وأنت بنت شعيب ... غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد وأدخل في باب الإزراء والحقير بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفضل حال غيره عليه، وكذا قوله:

شعر

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد من أبيه بديل

هو مثله في الفضل إلا أنه ... لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفضل شديد تشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتعجرف محتمل بوجهين: أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح، والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد؛ ونحو منه قول الآخر:

وإذا ما رفعت راياته ... صفقت بين جناحي جبرئيل

وقول الآخر من أهل العصر:

فر من الخلد واستجار بنا ... فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون:

كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ... وحسان حسان وأنت محمد

- إلى أمثال هذا؛ وإنما كثرنا الشواهد مع استثقالنا لحكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء، وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر، وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحاً ابن هانيء الأندلسي وأبو سليمان المعري، بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه، وغرضنا الآن الكلام في

هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن شيئاً، ولا أضافت الى الملائكة والأنبياء نقصاً ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء ونقصاً، فما وقر النبوة وعظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة أو معرة قصد الانتفاء منها، أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده. فحق هذا ـ أن دريء عنه القتل ـ الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه، أو ندمه على ما سبق منه؛ ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به، وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله:

فإن يك باق سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خضيب

وقال له: يا بن اللخناء! أنت المستهزيء بعصا موسى! وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته ـ إلى أن قال: فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا، وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه، ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلاً بالفقر فقال: تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم، فقال مالك: قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب، قال: ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا: قد أخطأت الأنبياء قبلنا؛ وقال عمر بن عبد العزيز لرجل: انظر لنا كاتباً يكون أبوه عربياً! فقال كاتب له: قد كان أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافراً، فقال: جعلت هذا مثلاً! فعزره وقال: لا تكتب لي أبداً!

وقد كره سحنون[1] أن يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيراً له وتعظيماً كما أمرنا الله تعالى، وقال القابسي ـ عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير وقال لرجل عبوس كأنه وجه

---

(١) سحنون: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي المالكي صاحب كتاب المدونة توفي في العام ٢٠٤ هـ.

مالك: في الأدب بالسيوط والسجن نكال للسفهاء وإن قصد ذاك قتل، وقال أيضاً في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئاً فقال له الرجل: اسكت! فإنك أميّ، فقال الشاب: أليس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمياً، فشنع عليه مقاله وكفره الناس، وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه، فقال أبو الحسن: أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطىء في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمياً آية له، وكون هذا أمياً آية نقيصة وجهالة، ومن جهالته احتجاجه أصحابه بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه إذا استغفر وتاب واعترف والتجأ إلى الله فيترك، لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل؛ وأما طريقة الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه.

ونزلت أيضاً مسألة استفتى بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور في رجل تنقصه رجل آخر بشيء فقال له: إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب؛ وكان بعض الفقهاء بالأندلس أفتى بقتله، هذا كله كلام القاضي عياض في الشفاء. وتفطن بقوله في أول الفصل: على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره، كيف سوى في الحكم بين ضارب المثل والمحتج. والمحتج هو المستدل، ومراده المستدل في الخصومات والتبرىء من المعرات؛ وكذلك قوله: ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله، فإن الاستشهاد بمعنى الاستدلال؛ وكذلك قوله في آخر الفصل: لكنه مخطىء في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقوله: من جهالته احتجاجه أصحابه بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه المواضع كلها صريحة في تخطئة المستدل في مثل هذا ووجوب تأديبه، وإنما نبهت على هذا لأنه أنكر على ذكر لفظ المستدل في إفتاء، وليس بمنكر فإن المستدل مقام التدريس والإفتاء والتصنيف وتقرير العلم بحضرة أهله وهكذا لا إنكار عليهم كما سيأتي، وتارة تكون في الخصام والتبرىء من معرة أو نقص نسب إليهما هو أو غيره، وهذا محل الإنكار والتأديب لا سيما إذا كان بحضرة

العوام وفي الأسواق، وفي التفاوض بالسب والقذف ونحو ذلك؛ ولكل مقام مقال ولكل محل حكم يناسبه.

وكذلك الأثر الذي أشار إليه القاضي عن كاتب عمر بن عبد العزيز، فإنه ما قصد بما ذكره إلا الاحتجاج على أنه لا ينقصه كفر أبيه والاستدلال عليه، ولذلك أنكره عليه عمر وصرفه عن عمله. أخبرني شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام علم الدين ابن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني الشافعي رحمهما الله إجازة عن أبيه شيخ الإسلام أن الشيخ تقي الدين السبكي أخبره عن الحافظ شرف الدين الدمياطي، أنبأنا الحافظ يوسف بن خليل، أنبأنا أبو المكارم اللبان أنبأنا أبو علي الحداد، أنبأنا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، حدثنا محمد بن عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، أنبأنا أحمد بن إبراهيم الدوري، حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال: سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبدالعزيز اتى بكاتب يخط بين يديه وكان أبوه كافراً، فقال عمر للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين! فقال الكاتب: ما ضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر أبيه، فقال عمر: قد جعلته مثلاً! لا تخط بين يدي بقلم أبداً!

هكذا أخرجه في الحلية، فالكاتب قصد بهذا الكلام الاحتجاج والاستدلال على نفي النقص عنه، وقال عمر في الرد عليه أنه جعله مثلاً؛ فعلم أن المستدل لا منافاة بينه وبين ضارب المثل، والجامع بينهما أن ضرب المثل يراد للاستشهاد كما أن الاستدلال كذلك، فبهذا القدر المشترك يصح إطلاق المستدل على ضارب المثل وعكسه، ومن له إلمام بالأحاديث والآثار وكلام المتقدمين لا يستنكر ذلك فإنهم كثيراً ما يطلقون ضرب المثل على الحجة؛ وبهذا سوى بينهما القاضي عياض حيث قال: على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره.

ومما أطلق فيه الأولون ضرب المثل على الحجة ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن أبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لرجل: يا بن أخي! إذا حدثتك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً فلا تضرب له الأمثال ـ وكان عارضه

بقياس من الرأي كما في بعض طرق الحديث، عن الهروي في ذم الكلام - أي فلا تقابله بحجة من رأيك! فأطلق أبو هريرة على الحجة والاستدلال ضرب المثل.

واللغة أيضاً تشهد بذلك، قال في الصحاح: ضرب مثلاً: وصف وبين، وقال ابن الأثير في النهاية: ضرب الأمثال: اعتبار الشيء بغيرة وتمثيله به؛ وإنما حكمت في الافتاء على لفظ المستدل وعللته بضرب المثل لأعرف أن المستدل الذي حكمت عليه هو المحتج بضرب ذلك مثلاً للغير، لا المستدل في الدرس والتصنيف، ومذاكرة العلم بين أهله، فإن ذلك لا يسمى في عرف العلماء ضرب مثل؛ وقصدت أيضاً الاقتداء بالخليفة عمر بن عبد العزيز في لفظه.

وقد وجدت للقصة طريقاً آخر، قال الهروي في ذم الكلام: أنبأنا أبو يعقوب، أنبأنا أبو بكر بن أبي الفضل، أنبأنا أحمد بن محمد بن يونس، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا يونس القسطلاني، ثنا حمزة، ثنا علي بن أبي جميلة قال: قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن سعد: بلغني أن أبا عاملنا بمكان كذا وكذا زنديق، قال: وما يضره ذلك يا أمير المؤمنين! قد كان أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافراً فما ضره، فغضب عمر غضباً شديداً وقال: ما وجدت له مثلاً غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم! قال: فعزله عن الدواوين.

ومما وقع في عبارة العلماء من إطلاق ضرب المثل على الاستدلال ما وقع في عبارة ابن الصلاح في جوابه الذي ألفه في صلاة الرغائب حيث ذكر إنكار الشيخ عز الدين بن عبد السلام لها وقال: إنه ضرب له المثل بقوله: ﴿**أرأيت الذي ينهى، عبداً إذا صلى**﴾[1].

وأما الفصل السابع من الشفاء الذي قال المعترض: إن المسألة فيه، فنذكره ليعلم من علم واقعة الحال أنه غير مطابق لها:

قال القاضي عياض: الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله

---

(١) العلق الآية: ٩، ١٠.

عليه وآله وسلم أو يختلف في جوازه عليه، .وما يطرأ عن الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه، أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له، ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه، كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت مه العصمة للأنبياء عليهم السلام، وما يجوز عليهم.

وهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ، ولا في مقصد اللافظ، لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو يخشى به فتنة، فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن.

هذا كلام القاضي في الفصل السابع، فانظر كيف فرض المسألة في رواية الحديث ومذاكرة العلم! ثم لم يطلق ذلك، بل قيده بأن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفقهاء الطلبة، وهذه الواقعة لم تكن في مذاكرة العلم ولم يحضرها طالب البتة بل كانت في السباب .

والخصام في سوق الغزل بحضرة جمع من التجار والدلالين والسوقة، وكلهم عوام وأكثرهم سفهاء الألسن، يطلقون ألسنتهم في كثير من الأمور بما يوجب سفك دمائهم، ولا يعلمون عاقبة ذلك؛ فيقال لمن أنكر ما افتيت به: إن لم تعرف عين الواقعة فأنت معذور! وقولك: لا تعزير ولا عثرة، إن أردت فيما وقع في مجلس الدرس ومذاكرة العلم بين أهله فمسلم، وليس هو صورة الواقعة، وإن أردت ما وقع في السوق بالصفة المشروحة فمعاذ الله، وحاشا المفتين أن يقولوا ذاك! وبعد هذا كله فلست أقصد بذلك غمصاً من القائل، ولا حطاً عليه، فإني اعتقد دينه وخيره وصلاحه، وإنما هي بادرة بدرت وزلة فرطت وعثرة وقعت، فيستغفر الله منها ويتوب إليه ويندم على ما وقع منه ولا يعود، ولا يقدح ذلك في صلاحه.

فإن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في قواعده[1]: من ظن أن الصغيرة تنقص الولاية فقد جهل، وقال: إن الولي إذا وقعت منه الصغيرة فإنه لا يجوز للأئمة والحكام تعزيره عليها؛ ونص الشافعي رضي الله عنه على أن ذوي الهيئات لا يعزرون للحديث وفسرهم فإنهم الذين لا يعرفون بالشر فيزل أحدهم الزلة فيترك، وفسرهم بعض الأصحاب بأنهم أصحاب الصغائر دون الكبائر، وفسرهم بعضهم بأنهم الذين إذا وقع منهم الذنب تابوا وندموا؛ والأحاديث الواردة في إقالة ذوي الهيئات عثراتهم كثيرة.

وأخرج أحمد في مسنده والبخاري في الأدب وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود!».

وأخرجه النسائي من وجه آخر بلفظ: تجاوزوا عن زلة ذي الهيئة! وأخرج باللفظ الأول الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وابن عدي في الكامل من حديث أنس رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه بلفظ: تجافوا عن عقوبة ذي المروة إلا في حد من حدود الله تعالى!

وأخرجه في المعجم الأوسط من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: تجافوا عن ذنب السخي! فإن الله أخذ بيده كلما عثر.

وأخرجه بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية.

قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه طريق المعدلة في قتل من لا وارث له: قول الأصحاب: إن من قتل قتيلاً لا وارث له فللسلطان الخيرة بين أن يقتص

(١) القواعد الكبرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي الشامي الأصل مات في العام ٦٠٦ هـ.

منه أو يعفو على الدية وليس على العفو مجاناً، كأنهم ذكروه على الغالب، وقد يظهر للإمام من المصلحة ما يقتضي العفو عنه مجاناً إذا كان لا مال له ولا يقدر على الكسب وفيه صلاح وخير ونفع للمسلمين، ولكن فرطت منه تلك البادرة فقتل بها وظهرت توبته وحسنت طريقته، فالقول بأن هذا لا يجوز للإمام العفو عنه بعيد لا سيما إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى ذلك القدر الذي يؤخذ منه، فالرأي عندي أن يكون ذلك مفوضاً إلى رأي الإمام، والإمام يجب عليه فيما بينه وبين الله أن يختار الأمانة ومصلحة ظاهرة للمسلمين ولا يقدم على سفك دم مسلم بمجرد ما يقال له: إن هذا جائز، فجوازه منوط بظهور المصلحة فيه للمسلمين ولإقامة الدين لا لحظ نفسه، ولا لغرض من أغراض الدنيا؛ وحيث شك في ذلك يتعين الكف عن الدم وتبقية ذلك الشخص لأنه نفس معصومة إلا بحقها، فمتى قتلها من غير مرجح أخشى عليه أن يدخل فيمن قتلها بغير حقها ـ انتهى كلام السبكي.

فإذا جوز السبكي العفو عمن فيه صلاح وخير ونفع للمسلمين من القتل قصاصاً مجاناً بلا دية فمن تعزير له[1] فرطت منه من باب أولى، وهذه لا شبهة فيه عود على بدء. قال ابن السبكي[2] في كتابه التوشيح: قال الشافعي رضي الله عنه في بعض نصوصه: وقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة لها شرف فكلم فيها قال: لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعت يدها، قال ابن السبكي: فانظر إلى قوله: فلانة، ولم يبح باسم فاطمة رضي الله عنها تأدباً معها أن يذكرها في هذا المعرض، وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها، لأن ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم حسن دال على أن الخلق عنده في الشرع سواء ـ انتهى.

فهذا من صنع الشافعي، ثم من تقرير ابن السبكي أصل في هذه المسألة ونقل من حيث مذهبنا، فقوله: تأدباً، يدل على أنه من غيره قبيح، هذا مع كون الشافعي إنما ساق الحديث مساق الاحتجاج على المسائل الشرعية ومساق تقرير

(١) في الأصل بياض.

(٢) هو الإمام تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي الشافعي المتوفى عام ٧٧١ هـ.

العلم في التصنيف الذي لا يقف عليه إلا أهله بل لو صرح بالاسم في هذا المحل لم يكن فيه شيء.

وأمر آخر أن النقص المذكور واقع في حيز لو منفي عنها[1] إلا ثبت لها، وإنما ذكر سبيل الفرض الذي لا سبيل إلى وقوعه، فكيف يظن بالشافعي أنه يخالف ما قرره المالكية في المسألة التي نحن فيها! وإنما ذكرت هذا الكلام لأن قائلاً قال: هذا الذي افتيت به مذهب المالكية ليس بمنصوص في مذهبك، وكذا يقع لأهل العصر كثير يدعون علينا في فتاوى كثيرة أنها مخالفة للمذهب بمجرد كونها غير منصوصة لا بنفي ولا بإثبات كما وقع لنا في العام الماضي حيث افتينا بهدم الدار التي بنيت برسم الفساد فادعوا أن ذلك خلاف المذهب بمجرد كون الأصحاب لم ينصوا عليها، على أن الغزالي وغيره أشاروا إليها كما بيناه في التأليف الذي ألفناه فيها.

ثم نقول في هذه وغيرها: قولهم: ما أفتيت به خلاف المذهب، مستدلين على ذلك بعدم وجود المسألة منصوصاً عليها معارضاً بأن نقول لهم: ما افتيتم أنتم به أيضاً خلاف المذهب، لأن المسألة غير منصوص عليها، فكما استندتم إلى العدم في نسبة الخلاف إليَّ استندت إلى العدم في نسبته اليكم، فإن الإثبات والنفي كليهما حكم شرعي يحتاج إلى دليل أو نقل: فإن قالوا: أخذناه من القواعد، قلت: وأنا أيضاً أخذته من القواعد وعليَّ بيان ذلك أن تريد الانصاف؛ فمن قال: التعزير في هذه المسألة خلاف المذهب، لأن الأصحاب لم ينصوا عليها، أقول له قبل نص الأصحاب: أنه لا تعزير فيها حتى تقدم على القول به وتنسبه إلى مذهب الشافعي، وكذلك من قال: القول بهدم الدار الموصوفة بالصفات التي شرحتها في تأليفها خلاف المذهب، لأنه لم ينص عليها، أقول له: فهل نصوا على أنها لا تهدم حتى استندت إليه؟ وإذا حصل الاستواء في الجانبين من حيث عدم النص ووجدت النقول في المذاهب بأحدهما والأدلة ثابتة عليه من الأحاديث والآثار وجب الوقوف عنده وعدم التجاوز إلى الجانب

---

(١) في الأصل بياض.

الآخر إذا لم يكن في قواعد مذهبنا ما يخالفه.

وقد وقع في فتاوى ابن الصلاح أنه سئل عن مسألة لا نص فيها للأصحاب فأفتى فيها بالمنصوص في مذهب أبي حنيفة وبين ذلك، وقرر النووي في شرح المهذب مسألة لا نقل فيها عندنا وأجاب فيها بمذهب الحسن البصري وقال: إنه ليس في قواعدنا ما ينفيه، وسئل البلقيني عن مسألة فقال: لا نقل فيها عندنا، وأجاب فيها بما ذكره القاضي عياض في المدارك، وذكر بعض الأصحاب مسألة لا نقل فيها عندنا وأفتى فيها بالمنقول في مذهب الحنابلة. وذكر الزركشي في الخادم مسألة مسح الخف للمحرم وقال: لا نقل فيها عندنا، وأجاب بالمنقول في مذهب المالكية في أشياء كثيرة لا تحصى؛ وقد استوعبتها في كتابي الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، ومسألة الهدم نص عليه أئمة المذاهب الثلاثة وأشار إليها الغزالي وطائفة وثبتت فيها الأحاديث الصحيحة والآثار الكثيرة عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وابن مسعود وابن الزبير وابن عباس وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم وغيرهم سلفاً وخلفاً، ولا نص في مذهبنا بخلاف ذلك إلا قولهم: إنه لا تعزير بإتلاف المال، وهذه القاعدة مخصوصة ليست على عمومها بدليل قولهم: تكسر آنية الخمر والأواني المثمنة إذا كان فيها صورة - إلى غير ذلك، فعلم أن القاعدة مخصوصة بمال تعين إتلافه طريقاً لإزالة الفساد، وتقرير ذلك بإيضاحه يستدعي طولاً وقد بسطته في التأليف المشار إليه.

وكذلك نقول في هذه المسألة: قد نص ائمة المالكية على التعزير فيها ولم ينص أصحابنا على خلافه ولا في قواعد مذهبنا ما ينفيه فوجب الوقوف عنده والعمل به، وهذا النص الذي أوردناه عن الشافعي رضي الله عنه يصلح أصلاً في المسألة، وتقرير السبكي له وإيضاحه زاده بياناً وحسناً؛ وسأتتبع من نصوص الشافعي والأصحاب في كتبهم في الفقه وشروحهم للحديث ما أراه مقوياً لذلك فأذكره.

فصل

قال الرافعي في الشرح وتبعه في الروضة في باب الردة: في كتب أصحاب

أبي حنيفة اعتناء عام بتفصيل الأقوال والأفعال المقتضية للكفر وأكثرها مما يقتضي إطلاق الأصحاب الموافقة عليه فنذكر ما يحضرنا في كتبهم ـ ثم سردها الرافعي وتبعه في الروضة وتعقبنا جملة منها، ثم قال الرافعي وتبعه في الروضة بعد الفراغ من سردها: وهذه الصور تتبعوا فيها الألفاظ الواقعة من كلام الناس وأجابوا فيها اتفاقاً واختلافاً فيما ذكر، ومذهبنا يقتضي موافقتهم في بعضها، وفي بعضها يشترط وقوع اللفظ في معرض الاستهزاء، وقد بينا ذلك؛ فهذا من الشيخين صريح فيما قررناه من الفتوى بما نص عليه في مذاهب بقية الأئمة فيما لا نص فيه عندنا، ولا في قواعد مذهبنا ما ينفيه.

ثم قال النووي في الروضة من زوائده عقب ذلك: قلت: قد ذكر القاضي عياض في آخر الشفاء جملة من الألفاظ المكفرة غير ما سبق نقلها عن الأئمة أكثرها مجمع عليه ويخص ما في الشفاء من ذلك، فهذا من النووي عين ما صحبا إليه، بل هو نص صريح في مسألتنا هذه بعينها، وقال في الروضة تبعاً للرافعي فيما نقله عن كتب أصحاب أبي حنيفة: واختلفوا فيمن قال: رؤيتي إليك كرؤية ملك الموت، وأكثرهم على أنه يكفر، زاد النووي قلت: الصواب أنه لا يكفر، وهذه إحدى الصور التي ساقها القاضي عياض في الفصل الخامس: فإذا كان فيها قول بالتكفير فلا أقل من التعزير إذا لم يكفر.

فصل

قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يتأولوا شيئاً من القرآن عند ما يعرض من أحاديث الدنيا، قيل لهشيم: نحو قوله تعالى: ﴿جئت على قدر يموسى﴾[1] قال: نعم، وقد صرح العماد النهي من أصحابنا بهذا الحكم فقال: يمنع ضرب الأمثال من القرآن ـ نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته، والهشيم هذا من تلامذة البغوي، وهذا شاهد ما نحن فيه؛ فكما أن

(١) طه الآية: ٤٠.

الأدب أن لا تضرب كلمات القرآن مثلاً لواقعة دنيوية فكذلك الأدب أن لا تضرب أحوال الأنبياء مثلاً بحال غيرهم.

فصل

وسئل شيخ الإسلام والحفاظ قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر بما نصه: ما قول ائمة الدين في هذه الموالد التي يصنعها الناس محبة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير أن بعض الوعاظ يذكرون في مجالستهم الحلقة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء مجريات هي مخلة بكمال التعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن ورقة فيبقى في خير من يرحم لا من يعظم؟ من ذلك أنهم يقولون: المراضع حقرن ولم يأخذنه لعدم ماله إلا حليمة رغبت في رضاعه شفقة عليه، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرعى غنماً وينشدون:

بأغنامه سار الحبيب الى المرعى　　　فيا حبذا راع فؤادي له يرعى

وفيه:

فما أحسن الأغنام وهو يسوقها

وكثير من هذا المعنى المخل بالتعظيم؛ فما قولكم في ذلك؟

فأجاب بما نصه: ينبغي لهم كونه فطناً أن يحذف من الخبر ما يوهم في المخبر عنه نقصاً فلا يضره ذلك بل يجب ـ هذا جوابه بحروفه.

فصل

ومما يدخل في هذا الباب ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت عن مطرف لتعظيم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند مثل هذا قول أحدكم للكلب: اللهم خذه! وللحمار والشاة.

فصل

قال السهيلي في الروض الآنف بعد أن أورد حديث إن أبي وأباك في النار،

ما نصه: وليس لنا أن نقول نحو هذا في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»، والله تعالى يقول: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾**(١) ـ الآية.

فصل

رعي الغنم لم يكن صفة نقص في الزمن الأول، ولكن حدث العرف بخلافه، ولا يستنكر ذلك فرب حرفة هي نقص في زمان دون زمان وفي بلد دون بلد، ويشهد لذلك كلام الفقهاء في الكفاءة في النكاح، وفي المروة وفي الشهادات، والمسألة مسطورة حتى في المنهاج؛ ثم إن الخصم لم يخرج هذه الكلمة إلا مخرج الشتم والتنقيص حيث قال: وأنت يا راعي المعزى! صار لك كلام، ومثل هذا الموطن لا يحتج فيه بأحوال الأنبياء أبداً خصوصاً بين العوام، هذا لا يقوله من يعلم بلقي الله تعالى. وقد تذكرت لطيفة:

قال الشيخ تاج الدين السبكي في التوشيح كنتُ يوماً في دهليز دارنا في جماعة فمر بنا كلب يقطر ماء يكاد يمس ثيابنا فنهرته وقلت: يا كلب! يا بن الكلب! وإذا بالشيخ الإمام ـ يعني والده الشيخ تقي الدين السبكي يسمعنا من داخل، فلما خرج قال: لم تشتمه؟ فقلت: ما قلت إلا حقاً أليس هو كلب ابن كلب؟ فقال: هو كذلك إلا أنك أخرجت الكلام من مخرج الشتم والإهانة ولا ينبغي ذلك، فقلت: هذه فائدة لا ينادى مخلوق بصفة إلا إذا لم يخرج مخرج الإهانة ـ هذا لفظه في التوشيح(٢).

فصل

المماراة في مثل هذا الموضع والتدليس وقصد الانتقام بالضغائن الباطنة لا يضر إلا فاعله ولا يصيب المشنع عليه من ضرره شيء والحق للأنبياء وقد ذكر

---

(١) الأحزاب الآية: ٧٥.

(٢) التوشيح في الفقه لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي مات سنة ٧٧١ هـ.

السبكي أن تارك الصلاة يخاصمه كل صالح لأن لكل صالح في الصلاة حقاً حيث فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وكذلك المدلس في هذه المسألة يخاصمه كل الأنبياء يوم القيامة وعدتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وقد قيل ليحيى بن معين: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله؟ فقال: لأن يكونوا خصماء لي أحب إليَّ من أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصمي يقول لي: لم تذب الكذب عن حديثي! وكذلك أقول: يكون كل أهل العصر في هذه المسألة خصومي أحب إليَّ من أن يخاصمني نبي واحد فضلاً عن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ـ والله تعالى أعلم.

* * * *

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

انباه الاذكياء
في
حياة الانبياء عليهم السلام

قال المؤلف ـ رحمه الله ونفع له ولسائر المسلمين آمين اللهم آمين: الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ وقع السؤال أنه قد اشتهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره، وورد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: ما من أحد يسلّم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام؛ فظاهره أن مفارقة الروح له في بعض الأوقات، فكيف الجمع؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل، فأقول: حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك، وقد ألف الإمام البيهقي رحمه الله جزءاً في حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم.

فمن الأخبار الدالة على ذلك:

ما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ ليلة أسري به مرّ بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبر موسى عليه السلام وهو قائم يصلي فيه.

وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابت البناني رحمه الله يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا.

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم تعرض عليّ، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت[1] ـ يعني بليت ـ فقال: إن الله حَرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والأصبهاني في الترغيب، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ غائباً بلغته».

وأخرج البخاري في تاريخه عن عمار رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن لله تعالى ملكاً أعطاه أسماء الخلائق قائم على قبري، فما من أحد يصلي عليَّ صلاة إلا بلغنيها».

وأخرج البيهقي في حياة الأنبياء والأصبهاني في الترغيب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ مائة في الجمعة وليلة الجمعة قضي له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل الله بذلك ملكاً يدخله عليّ في قبري كما يدخل عليكم الهدايا: إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة». ولفظ البيهقي: يخبرني من صلى عليّ باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء.

وأخرج البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين

(١) أورد صاحب مجمع بحار الأنوار شرحاً لمعنى أرمت: أي بليت، ارم المال: إذا فني، وأرض أرمة لا تنبت شيئاً قال الخطابي: أصله أرممت أي بليت وصرت رميماً فحذف إحدى الميمين.

يدي الله سبحانه وتعالى حتى ينفخ في الصور». وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع..

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون حيث ينزلهم الله تعالى، ثم قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد ـ فذكر قصة الإسراء في لقيه جماعة من الأنبياء عليهم السلام وكلمهم وكلموه.

وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء وفيه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي! وإذا رجل ضرب جعد[1] كأنه من رجال شنوءة! وإذا عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قائم يصلي! وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي! أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم».

وأخرج حديث: إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، وقال: هذا يدل أيضاً على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعقوا؛ ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار ـ انتهى.

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ثم لأن قام على قبري فقال: يا محمد! لأجبته[2]».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة[3] وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر.

---

(١) سياق المعنى يفيد جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه ويحتمل أن يكون جعودة الشعر.

(٢) بهامش المطبوع: لأجيبنه.

(٣) الحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وشبهت بها الليالي رمزاً إلى الأيام السود التي نهبت بها المدينة من عسكر يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ.

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف.

وأخرج الدارمي في مسنده قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقم، وإن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيماً في المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة[1] يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء.

قد قال الله تعالى في الشهداء: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[2]، والأنبياء أولى بذلك، فهم أجل وأعظم، وقلّ نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحداً أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً.

وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه: «لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».

---

(١) الصوت الخفي الغير مفهوم.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٩.

فثبت كونه صلى الله عليه وآله وسلم حياً في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقي في كتاب الاعتقاد[1]: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال القرطبي في التذكرة[2]، في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا؛ وإذا كان في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.

وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، وقد رأى موسى قائماً يصلي في قبره، وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلّم عليه - إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه - انتهى.

سئل البارزي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي.

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل إنجاز مبين: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حي بعد وفاته، وإنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وإنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته؛ وقال: إن الأنبياء

---

(١) أورد صاحب كشف الظنون تعريفاً فقال: كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي مات سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وهو مرتب على أبواب.

(٢) ذكر في كشف الظنون تذكرة القرطبي الشيخ المحقق شمس الدين محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي مات سنة ٦٧١ هـ، وكتابه مشهور جمع فيه من كتب الأخبار والآثار ما يتعلق بذكر الموت والموتى والحشر والجنة والنار والفتن والأشرار، وبوبه أبواباً.

لا يبلون، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى ـ عليه السلام ـ في زمانه وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة، وأنه رأى آدم ـ عليه السلام ـ في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقال له: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح! وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا: نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حياً بعد وفاته، وهو على نبوته ـ وهذا آخر كلام الأستاذ.

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمَّهم في صلاة، وأخبر ـ وخبره صدق ـ أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً، قال: وهو بعد ما قبض نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه صلى الله عليه وآله وسلم. اللهم! أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واجمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة! إنك على كل شيء قدير ـ انتهى جواب البارزي.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: الأولياء يرد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في قبره، قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي؛ قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل. ونصوص العلماء في حياة الأنبياء عليهم السلام كثيرة فلنكتف بهذا القدر.

فصل

وأما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي عبد الرحمن المقرىء[1] عن حيوة بن شريح عن

---

(١) عبدالله بن يزيد المكي أبو عبد الرحمن المقرىء البصري المولد أو الأهواز ثقة فاضل، أقرأ القرآن نيفاً وسبعين سنة، التقريب.

أبي صخر، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام» ولا شك أن ظاهر هذا الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، وهو مخالف للأحاديث السابقة، وقد تأملته ففتح عليّ في الجواب عدة أجوبة:

الأول ـ وهو أضعفها ـ أن الراوي وهم في لفظة من الحديث حصل بسببها الإشكال، وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة لكن الأصل خلاف ذلك، فلا يعول على هذه الدعوى.

الثاني ـ وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية ـ أن قوله: رد الله جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها قد، كقوله تعالى: ﴿**جاؤكم حصرت صدورهم**﴾[1] ـ أي قد حصرت، وكذا هنا تقدر، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد وحتى، ليست للتعليل، بل هو مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: ما من أحد يسلم عليّ إلا قد رد الله عليّ روحي قبل ذلك وأردّ عليه: وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة رد الله، بمعنى الحال أو الاستقبال، وظن أن حتى، تعليلة، وليس كذلك؛ وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله، وأيده من حيث المعنى أن الرد لو أخذ بمعنى الحال أو الاستقبال لزم تكرره عند تكرار المسلمين السلام، وتكرار الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران:

أحدهما: تألم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه، أو نوع ما يخالفه التكريم إن لم يكن تأليم.

والآخر يخالفه شأن الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة.

---

(١) النساء الآية: ٩٠.

ومحذور ثالث وهو مخالفة القرآن، فإنه دل على أنه ليس إلا موتتان وحياتان، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل.

ومحذور رابع وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة، وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله، وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً؛ فلهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه.

الوجه الثالث أن يقال: إن لفظ الرد، قد لا يدل على المفارقة بل كنى به عن مطلق الصيرورة، كما قيل في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿**قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم**﴾[1]، إن لفظ «العود» أريد به مطلق الصيرورة لا العود بعد الانتقال، لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط؛ وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة للمناسبة اللفظية بينه وبين قوله: حتى أردّ عليه السلام، فجاء لفظ «الرد»، في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث.

الوجه الرابع ـ وهو قوي جداً ـ إنه ليس المراد بردّ الروح عودها بعد مفارقة البدن، وإنما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدة ربه، كما كان في الدنيا في حالة الوحي، وفي أوقات أخر، فعبر عن إفاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق بردّ الروح، ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء وهي قوله: «فاستيقظت وإذا بالمسجد الحرام» ليس المراد الاستيقاظ من نوم فإن الإسراء لم يكن مناماً وإنما المراد الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت؛ وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظة الرد، وقد كنت رجحت الثاني، ثم قوي عندي هذا.

الوجه الخامس: أن يقال: إن الرد يستلزم الاستمرار له، لأن الزمان لا يخلو من مصل عليه في أقطار الأرض، فلا يخلو من كون الروح في بدنه.

---

(١) الأعراف الآية: ٨٩.

والوجه السادس: قد يقال إنه أوحي إليه هذا الأمر أولاً قبل أن يوحى إليه بأنه لا يزال حياً في قبره فأخبر به، ثم أوحي إليه بعد ذلك، فلا منافاة لتأخر الخبر الثاني عن الخبر الأول.

هذا ما فتح الله تعالى لي من الأجوبة، ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد، ثم بعد كتابتي لذلك راجعت كتاب الفخر المنير فيما فضل به البشير النذير للشيخ تاج الدين ابن الفاكهاني المالكي فوجدته قال فيه ما نصه: روينا في الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد يسلم عليّ إلاّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام». يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام، وذلك أنه محال عادة أن يخلو وجود كل زمان من واحد مسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلاً ونهاراً.

فإن قلت: قوله عليه الصلاة والسلام: ردّ الله عليّ روحي، لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام، بل يلزم منه أن يتعدد حياته ومماته في أقل من ساعة، إذ الوجود لا يخلو من مسلّم يسلّم عليه كما تقدم، بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً.

فالجواب ـ والله أعلم! أن يقال: المراد بالروح هنا النطق مجازاً، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: إلا رد الله إليّ نطقي، وهو حي على الدوام لكن لا يلزم من حياته نطقه، والله سبحانه يردّ عليه النطق عند سلام كل مسلّم؛ وعلاقة المجاز أن النطق من لوازم وجود الروح، كما أن الروح من لازمة وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر.

وربما تحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى: **﴿قالوا ربنا أمتنا ثنتين وأحييتنا اثنتين﴾**[1] ـ هذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين.

وهذا الذي ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التي ذكرتها، وهو إن

---

(١) غافر الآية: ١١.

سلم فجواب سابع، وعندي فيه وقفة من حيث أن ظاهره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه حياً في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات ويردّ عند سلام المسلّم عليه، وهذا بعيد جداً، بل ممنوع فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه:

أما النقل فالأخبار الواردة عن حاله صلى الله عليه وآله وسلم وحال الأنبياء عليهم السلام في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاؤوا ولا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين وكذلك الشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاؤوا غير ممنوعين من شيء، ولم يرو أن أحداً يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات من غير وصية:

روى أبو الشيخ في كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى، قيل: يا رسول الله! وهل يتكلم الموتى؟ قال: نعم، ويتزاورون».

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، ويشهد له صلاة موسى ـ عليه السلام ـ في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى ـ انتهى.

وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب ولهذا عذب به تارك الوصية، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن ذلك، فلا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً بوجه من الوجوه، كما قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها في مرض وفاته: «لا كربة على أبيك بعد اليوم».

وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحصرون بالمنع من النطق، فكيف به صلى الله عليه وآله وسلم! نعم، يمكن أن

ينزع من كلام الشيخ تاج الدين جواب آخر ويقرر بطريق أخرى، وهو أن يراد بالروح النطق وبالرد الاستمرار من غير مفارقة على ما قررته في الوجه الثالث، ويكون في الحديث على هذا مجازان: مجاز في لفظ الرد، ومجاز في لفظ الروح، فالأولى استعارة تبعية والثاني مجاز مرسل؛ وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط.

ويتولد من هذا الجواب جواب آخر، وهو أن يكون الروح كناية عن السمع ويكون المراد أن الله تعالى يرد عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم، وإن بعد قطره ويرد عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلغ، وليس المراد سمعه المعتاد، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا حالة يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة، بحيث كان يسمع أطيط السماء كما بينت ذلك في كتاب المعجزات، وهذا قد ينفك في بعض الأوقات ويعود ولا مانع منه، وحالته صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ كحالته في الدنيا سواء.

وقد يخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد سمعه المعتاد، ويكون المراد بردّه إفاقته من الاستغراق الملكوتي، وما هو فيه من المشاهدة، فيردّه الله تعالى تلك الساعة إلى خطاب من يسلّم عليه في الدنيا، فإذا فرغ من الردّ عليه عاد إلى ما كان فيه.

ويخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد بردّ الروح التفرغ من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته، والاستغفار لهم من السيئات، والدعاء بكشف البلاء عنهم، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها، وحضور جنازة من مات من صالحي أمته؛ فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فلما كان السلام عليه من أفضل الأعمال وأجل القربات إختص المسلّم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يردّ عليه فيها تشريفاً له ومجازاة. فهذه عشرة أجوبة كلها من استنباطي، وقد قال الجاحظ: إذا نكح الفكر الحفظ ولد العجائب.

ثم ظهر لي جواب حادي عشر، وهو أنه ليس المراد بالروح روح الحياة بل الارتياح كما في قوله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾[1]، فإنه قرئ فرُوح - بضم الراء، والمراد أنه صلى الله عليه وآله وسلم يحصل له بسلام المسلّم عليه ارتياح وفرح وبشاشة لحبه صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فيحمله ذلك على أن يردّ عليه.

ثم ظهر لي جواب ثاني عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة، وقال ابن الأثير في النهاية[2]: تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن ووردت فيها على معان فالغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وقد أطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل - انتهى.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قرأ عليه قوله تعالى: ﴿فرُوح وريحان﴾ - بالضم، وقال: الروح الرحمة، وقد تقدم عنه صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أنس رضي الله عنه أن الصلاة تدخل عليه صلى الله عليه وآله وسلم في قبره كما يبلغ لكم الهدايا والثواب، والمراد ثواب الصلاة وذلك رحمة الله وإنعاماته.

ثم ظهر لي جواب آخر ثالث عشر، وهو أن المراد بالروح الملك الذي وكل بقبره صلى الله عليه وآله وسلم يبلغه السلام، والروح يطلق على جبريل أيضاً من الملائكة، قال الراغب: أشراف الملائكة تسمى أرواحاً - انتهى؛ ومعنى ردّ الله إليّ روحي، أي بعث إليّ الملك الموكّل يبلغني السلام؛ هذا غاية ما ظهر لي والله أعلم - انتهى.

تنبيه

وقع في كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما: أحدهما:

(١) الواقعة الآية: ٨٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث للإمام الشيخ أبي السعادات مبارك بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري توفي في العام ٦٠٦ هـ.

أنه عزا الحديث إلى الترمذي وهو غلط، فلم يخرجه من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي[1] في الأطراف. **الثاني**: أنه أورد الحديث بلفظ «ردّ الله عليّ» وهو كذلك في سنن أبي داود، ولفظ رواية البيهقي «ردّ الله إليّ» وهو ألطف وأنسب، فإن بين التعديتين فرقاً لطيفاً، فإن رد، يعدى بعلى في الإهانة وبإلى في الإكرام، قال في الصحاح: ردّ عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذا ردّ عليه إذا أخطأه، ويقال: رده إلى منزله ورد إليه جواباً أي رجع.

وقال الراغب: من الأول قوله تعالى: ﴿**يردوكم على أعقٰبكم**﴾[2] و ﴿**ردّوها عليّ**﴾[3] ﴿**نرد على أعقابنا**﴾[4]: ومن الثاني: ﴿**فرددنٰه إلى أمه**﴾[5] ﴿**ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً**﴾[6]، ﴿**ثم تردون إلى عٰلم الغيب والشهٰدة**﴾[7] ﴿**ثم ردوا إلى الله مولٰهم الحق**﴾[8].

فصل

قال الراغب: من معاني الرد التفويض، يقال: رددت الحكم في كذا إلى فلان أي فوضته إليه، قال الله تعالى: ﴿**فإن تنٰزعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾[9]، ﴿**وردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**﴾[10] ـ انتهى.

ويخرج من هذا جواب رابع عشر عن الحديث، وهو أن المراد فوض الله

---

(١) المتوفى في العام ٧٤٢ هـ.
(٢) آل عمران الآية: ١٤٩.
(٣) ص الآية: ٣٣.
(٤) الأنعام الآية: ٧١.
(٥) القصص الآية: ١٣.
(٦) الكهف الآية: ٣٦.
(٧) إبراهيم الآية: ٩٤.
(٨) الأنعام الآية: ٦٢.
(٩) النساء الآية: ٥٩.
(١٠) النساء الآية: ٨٣.

إليّ رد السلام عليه على أن المراد بالروح الرحمة والصلاة من الله رحمة، وكأن المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من الله تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً.» والصلاة من الله رحمة، ففوض الله أمر هذه الرحمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعو به المسلم فيحصل إجابته قطعاً، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي بركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلامه عليه، وينزل ذلك منزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة عليه، وتكون الإضافة، في روحي، لمجرد الملابسة، ونظيره قوله في حديث الشفاعة: فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ينتهي إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث الإسراء: لقيني ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا في أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى.

والحاصل أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فوض الله إليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولى الدعاء بها بنفسي بأن أنطقْ بلفظ السلام على وجه الرد عليه في مقابلة سلامه والدعاء به.

ثم ظهر لي جواب خامس عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته والرأفة التي جبل عليها، وقد يغضب في بعض الأحيان على من عظمت ذنوبه وانتهك محارم الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبب لمغفرة الذنوب، كما ورد في الحديث: إذاً يكفي همك ويغفر ذنبك، فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما من أحد يسلّم عليه وإن بلغت ذنوبه ما بلغت إلا رجعت إليه الرحمة التي جبل عليها حتى يرد عليه السلام بنفسه، ولا يمنعه من الرد عليه ما كان منه قبل ذلك من ذنب.

وهذه فائدة نفيسة وبشرى عظيمة، وتكون هذه فائدة زيادة من، الاستغراقية

في حد النفي الذي هو ظاهر في الاستغراق، فزيادتها نص فيه بعد زيادتها بحيث انتفى بسببها أن يكون العام المراد به الخصوص.

هذا آخر ما فتح الله تعالى به الآن من الأجوبة، وإن فتح بعد ذلك بزيادة ألحقناها ـ والله الموفق.

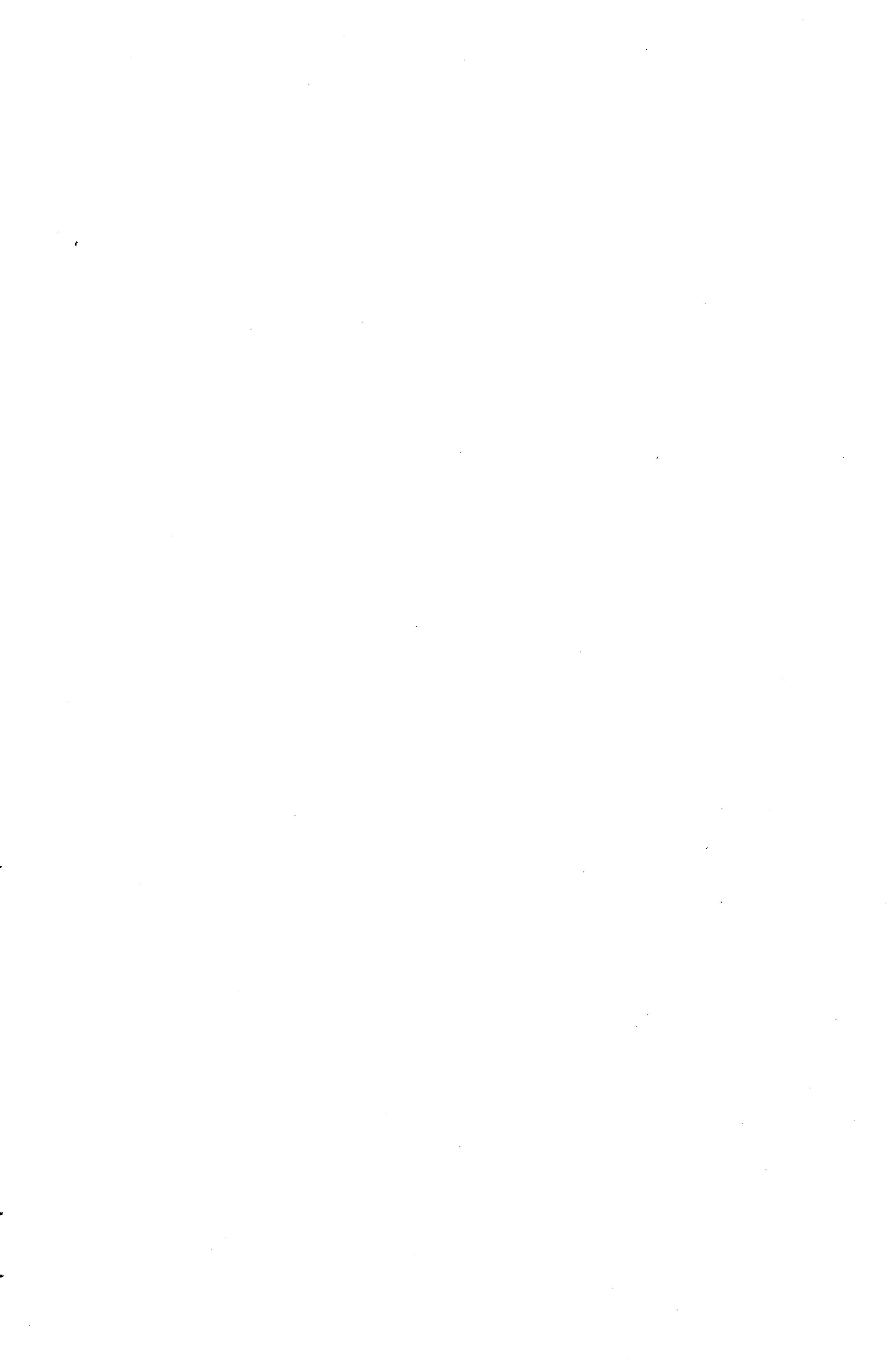
ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسؤول عنه مخرّجاً في كتاب حياة الأنبياء للبيهقي بلفظ: «إلّا وقد ردّ الله عليّ روحي» فصرح فيه بلفظ وقد، فحمدت الله كثيراً وقوي أن رواية إسقاطها محمولة على إضمارها وإن حذفها تصرف الرواة، وهو الأمر الذي جنحت إليه في الوجه الثاني من الأجوبة، وقد عرف الآن ترجيحه لوجود هذه الرواية، فهو أقوى الأجوبة. ومراد الحديث عليه الإخبار بأن الله تعالى يرد إليه روحه بعد الموت على الدوام فيصير حياً على الدوام حتى لو سلّم عليه أجد ردّ عليه السلام لوجود الحياة فيه، فصار الحديث موافقاً للأحاديث الواردة في حياته في قبره وواحداً من جملتها لا منافي لها البتة بوجه من الوجوه ـ ولله الحمد والمنة.

وقد قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً لما عقلناه، وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض تارة في ألفاظ المتن وتارة في الإسناد، فيكشف من الطريق المزيدة ما خفي في الطريق الناقصة ـ والله أعلم.

وقد تم كتاب إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه[1] وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وتوافقاً مع مضمون الكتاب ورد بهامش المطبوع: بالصواب وصلى الله الحي القيوم على النبي الحي الباقي وآله وأصحابه وسلم عدد كل معلوم الله في كل لحظة والله أعلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

العرف الوردي
في اخبار المهدي

الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى. هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي لخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزدت عليه ما فاته ورمزت عليه صورة (ك).

أخرج (ك) ابن جرير في تفسيره عن السدي في قوله تعالى: **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾**[1] قال: هم الروم كانوا ظاهروا بخت نصر على خراب بيت المقدس. وفي قوله تعالى: **﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾**[2] قال: فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه، أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها، وفي قوله: **﴿لهم في الدنيا خزي﴾**[3] قال: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي.

وأخرج (ك) أحمد. وابن أبي شيبة. وابن ماجه. ونعيم بن حماد في الفتن عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

وأخرج (ك) أبو داود. ونعيم بن حماد. والحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً

---

(١) البقرة الاية: ١١٤.

(٢) البقرة الآية: ١١٤.

(٣) البقرة الآية: ١١٤.

كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين»، وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أجلى الجبين أقنى الأنف» وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «المهدي منا أهل البيت رجل من أمتي أشم الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج (ك) أبو داود. وابن ماجه. والطبراني. والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وأخرج ابن ماجه. وأبو نعيم عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن سبعة ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا. وحمزة. وعلي. وجعفر. والحسن. والحسين. والمهدي».

وأخرج أحمد. والباوردي في المعرفة. وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي رجل من قريش من عترتي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس، وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ويرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً - فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس - ويملأ قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى أنه يأمر منادياً فينادي من له حاجة إليّ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول إئت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالاً فيقول: إحث فيحثي، ولا يستطيع أن يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً كلهم دعي إلى هذا المال فتركه غيري، فيرده عليه فيقول: إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين، ولا خير في الحياة بعده».

وأخرج (ك) أبو داود. والطبراني عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج (ك) أحمد. وأبو داود. والترمذي. وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة. والطبراني. والدارقطني في الأفراد. وأبو نعيم. والحاكم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج (ك) الطبراني عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي».

وأخرج (ك) أحمد. وابن أبي شيبة. وأبو داود عن علي، عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» وأخرج أبو داود. ونعيم بن حماد في الفتن عن علي أنه نظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ سيخرج من صلبه رجل يسمى اسم نبيكم يشبهه في الخلق، ولا يشبهه في الخلق، ثم ذكر القصة ـ وزاد يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ـ.

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة. وأحمد. وأبو داود. وأبو يعلى. والطبراني عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض يلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وأخرج (ك) أبو داود عن علي قال: قال النبي ﷺ: «يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء ـ أو يمكن ـ لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره، أو قال إجابته».

هذا آخر ما أورده أبو داود في باب المهدي من سننه، وأخرج الترمذي، وصححه عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي» وأخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يلي، وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً ـ زيد الشاك ـ فيجيء إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد. وابن ماجه عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصد فسبع، وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا بمثلها قط يؤتى أكلها ولا تدخر عنهم شيئاً والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذوا».

وأخرج ابن أبي شيبة. ونعيم بن حماد في الفتن. وابن ماجه. وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ «إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه، وتغير لونه فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً تكرهه؟ فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإنه المهدي».

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: في هذا السياق إشارة إلى ملك بني العباس، وفيه دلالة على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس.

وأخرج ابن ماجه. والحاكم وصححه. وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، ثم يجيء خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي».

وأخرج (ك) ابن ماجه. والطبراني عن عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه».

وأخرج (ك) أحمد. والترمذي. ونعيم بن حماد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شيء حتى تنصب بايلياء» قال ابن كثير: هذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية، بل رايات سود أخر تأتي صحبة المهدي.

وأخرج (ك) البزار. والحارث بن أبي أسامة. والطبراني عن قرة المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «لتملأون الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها يمكث فيهم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً».

وأخرج (ك) البزار عن أنس «أن النبي ﷺ كان نائماً في بيت أم سلمة فانتبه وهو يسترجع فقالت: يا رسول الله مم تسترجع؟ قال: من قبل جيش يجيء من قبل العراق في طلب رجل من أهل المدينة يمنعه الله منهم، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم فلا يدرك أعلاهم أسفلهم، ولا يدرك أسفلهم أعلاهم إلى يوم القيامة».

وأخرج (ك) البزار عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في أمتي خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عداً»، وأخرج أحمد عن أبي سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أمرائكم أميراً يحثو المال حثواً، ولا يعده يأتيه الرجل فيسأله

فيقول: خذ فيبسط ثوبه فيحثو فيه فيأخذه، ثم ينطلق».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن طلحة بن عبيدالله عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب حتى ينادي مناد من السماء أن أميركم فلان» وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه».

وأخرج (ك) أبو نعيم. والخطيب في تلخيص المتشابه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هـذا المهدي فاتبعوه».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن عاصم بن عمر البجلي قال: لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الدليل ولا يمتنع منه الذليل.

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط من طريق عمر بن علي، عن علي بن أبي طالب «أنه قال للنبي ﷺ: أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك» وأخرج نعيم بن حماد. وأبو نعيم من طريق مكحول عن علي «قال قلت: يا رسول الله أمنا آل محمد المهدي، أم من غيرنا؟ فقال: لا بل منا يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط. والحاكم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبايع لرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر فيأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام فيغزوه جيش من أهل الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يسير ملك المشرق إلى ملك المغرب فيقتله، فيبعث جيشاً إلى المدينة فيخسف بهم، ثم يبعث جيشاً فينشأ ناس من أهل المدينة فيعوذ عائذ بالحرم فيجتمع الناس إليه كالطائر الواردة المتفرقة حتى يجتمع إليه ثلثمائة وأربعة عشر منهم نسوة، فيظهر على كل جبار وابن جبار، ويظهر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم فيجيء سبع سنين ثم ما تحت الأرض خير مما فوقها».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن ابن عمر «أن النبي ﷺ أخذ بيد علي فقال: سيخرج من صلب هـذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فـإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي، فإنه يقبل من قبل المشرق، وهو صاحب راية المهدي».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن أم حبيبة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج ناس من قبل المشرق يريدون رجلاً عند البيت حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم».

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط. ونعيم. وابن عساكر عن علي «أن رسول الله ﷺ قال: يكون في آخر الزمان فتنة تحصل الناس كما يحصل الـذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام، ولكن سبوا شرارهم فإن فيهم الإبدال يوشك أن يرسل على أهـل الشام سيب[1] من السمـاء فيغرق جمـاعتهم حتى لو قـابلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج من أهل بيتي ثلاث رايات المكثر يقـول: هم خمسة عشر ألفاً، والمقلل يقول: هم اثنا عشر ألفاً أمارتهم أمت أمت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعاً، ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيهم».

وأخرج نعيم بن حماد، والحـاكم وصححه عن علي بن أبي طـالب قال: «ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبوا أهل الشام وسبو ظلمتهم فإن فيهم الأبدال، وسيرسل الله سيباً من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عترة الرسول ﷺ في

(١) السيب: المطر.

إثني عشر ألفاً إن قلوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا أمارتهم ـ أي علامتهم ـ أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات ليس من صاحب راية إلا وهـو يطمع بالملك فيقتلون ويهزمون، ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال» وأخرج الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج رجل من أهل بيتي يقول بسنتي ينزل الله له القطر من السماء، وتخرج له الأرض من بركتها تملأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس».

وأخرج (ك) الدارقطني في الأفراد. والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع، وإلا فثمان. وإلا فتسع سنين ينعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها، البر منهم والفاجر يـرسل الله عليهم السماء مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات، ويكون المال كدوساً يقول الرجل: يا مهدي أعطني، فيقول خذ».

وأخرج (ك) أبو يعلى عن أبي هريرة قال: «حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق قلت: وكم يملك؟ قال خمساً واثنين».

وأخرج (ك) أبو يعلى. وابن عساكر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان عند تظاهر من الفتن وانقطاع من الزمن أمير أول ما يكون عطاؤه للناس أن يأتيه الرجل فيحثي له في حجره يهمه من يقبل منه صدقة ذلك المال لما يصيب الناس من الفرج».

وأخرج (ك) أحمد. ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً، ولا يعده عداً».

وأخرج (ك) أحمد. ومسلم عن أبي سعيد. وجابر عن رسول الله ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان خليفـة يقسم المال ولا يعـده» وأخرج أبـو نعيم عن أبي

سعيد، عن النبي ﷺ قال: «يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع سنين، وإلا فثمان، وإلا فتسع سنين تتنعم أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثلــه قط، البر والفاجر، يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها».

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً، فيقوم رجل من عترتي فيملأها قسطاً وعدلاً يملك سبعاً أو تسعاً».

وأخرج أحمد، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله جوراً يملك سبع سنين».

وأخرج أبو نعيم. والحاكم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثاً للناس تنعم الأمة وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً» وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أعلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً يفيض المال فيضاً».

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً اسمه اسمي، وخلقه خلقي يكنى أبا عبدالله».

وأخرج الحارث بن أبي أسامة، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لتملأن الأرض ظلماً وعدواناً ثم ليخرجن رجل من أهـل بيتي حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» وأخرج الطبراني في الكبير. وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي وخلقه خلقي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وأخرج نعيم، وأبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون عند إنقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي، يكون عطاؤه هنيئاً».

وأخرج أحمد. ونعيم بن حماد. والحاكم. وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال

رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي» وأخرج أبو نعيم عن حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويقوّمهم بقلبه، فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها، يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام لا يخلف وعده وهو سريع الحساب».

وأخرج الحسن بن سفيان. وأبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي».

وأخرج الحسن بن سفيان. وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء الرايات السود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فليبايعهم ولو حبواً على الثلج» وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطول الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء إسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويقسم المال بالسوية، ويجعل الله الغنى في قلوب هذه الأمة فيمكث سبعاً، أو تسعاً، ثم لا خير في عيش الحياة بعد المهدي».

وأخرج ابن ماجه. وأبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّله الله حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم».

وأخرج الطبراني في الكبير. وابن منده. وأبو نعيم. وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بعدي خُلَفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج

رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم يؤمر بعده القحطاني، فوالذي بعثني بالحق ما هو بدونه».

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم فيقول: أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول ألا وإن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ. «لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم في آخرها والمهدي في وسطها».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال. «يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي الحق بغير عدد».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً».

وأخرج (ك) الحاكم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه، حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم».

وأخرج (ك) الحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم فيبعث الله رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، ولا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته، ولا السماء شيئاً من قطرها إلا صبته، يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمانٍ، أو تسعاً».

وأخرج ابن ماجه، والروماني، وابن خزيمة، وأبو عوانة، والحاكم، وأبو نعيم واللفظ له عن أبي أمامة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ ـ وذكر الدجال ـ وقال: فتنفي المدينة الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل رجلهم بيت المقدس، وإمامهم المهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن سيرين قال: «المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليهما السلام».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: حدثني فلان رجل من أصحاب النبي ﷺ أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي، فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها، وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء مطرها، وتنعم أمتي ولايته نعمة لم تنعمها قط».

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن أبي الجلد قال: «تكون فتنة بعدها فتنة، الأولى في الآخرة كثمرة السوط يتبعها ذباب السيف، ثم يكون بعد ذلك فتنة تستحل فيها المحارم كلها ثم تأتي الخلافة خير أهل الأرض، وهو قاعد في بيته».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد. وأبو الحسن الحربي في الأول من الحربيات، عن علي بن عبدالله بن عباس قال: لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية».

وأخرج (ك) الدارقطني في سننه، عن محمد بن علي قال: «إن لمهدينا آتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد. وعمر بن شبة عن عبدالله بن عمرو قال: «إذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدي».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد. وابن عساكر. وتمام في فوائده، عن عبدالله بن عمرو قال: «يخرج رجل من ولد حسن من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدها واتخذ فيها طرقاً». وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينكم وبين الروم أربع هدن، يوم الرابعة على يدي رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين فقال له رجل: يا رسول الله من إمام الناس يومئذ؟ قال المهدي: من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد. والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «في ذي القعدة تجاذب القبائل وعامئذ ينهب الحاج فتكون ملحمة بمنى حتى يهرب صاحبهم فيبايع بين الركن والمقام وهو كاره يبايعه مثل عدة أهل بدر يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض».

وأخرج الروياني في مسنده. وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري». وأخرج الروياني في مسنده. وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض، وأهل السماء، والطير في الجو».

وأخرج (ك) ابن جرير في تهذيب الآثار، وفيه «ووليكم الجابر خير أمة محمد الحقوه بمكة فإنه المهدي، واسمه محمد بن عبدالله يخرج إليه الأبدال من الشام، وعصب أهل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، رهبان بالليل ليوث بالنهار» وأخرج أبو نعيم. وأبو بكر بن المقري في معجمه عن ابن عمرو قال: قال

النبي ﷺ: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كرعة»، وأخرج أبو نعيم عن الحسين أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «المهدي من ولدك».

وأخرج (ك) ابن عساكر عن الحسين أن ﷺ قال: «أبشري يا فاطمة، المهدي منك» وأخرج الطبراني في الكبير. وأبو نعيم عن علي الهلالي أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «والذي بعثني بالحق إن منهما ـ يعني من الحسن والحسين ـ مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، بعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أول الزمان، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وأخرج (ك) الطبراني عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ: قال: «تجيء فتنة غبراء مظلمة، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي فإن أدركته فاتبعه، وكن من المهتدين».

وأخرج (ك) الخطيب في المتفق والمفترق عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلين الروم على وال من عترتي اسمه يواطىء اسمي، فيقتتلون بمكان يقال له العماق، فيقتلون فيقتل من المسلمين الثلث، أو نحو ذلك، ثم يقتتلون يوماً آخر فيقتل من المسلمين نحو ذلك، ثم يقتتلون اليوم الثالث فيكون على الروم، فلا يزالون حتى يفتتحوا القسطنطينية فبينما هم يقتسمون فيها بالأترسة إذ أتاهم صارخ أن الدجال قد خلفكم في ذراريكم».

وأخرج (ك) ابن سعد. وابن أبي شيبة، عن ابن عمر أنه قال: يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهدي .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد في كتاب الفتن بسند صحيح على شرط مسلم عن علي قال: الفتن أربع: فتنة السراء، وفتنة الضراء، وفتنة كذا، فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من عترة النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم.

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن ابن أرطأة قال: يدخل السفياني الكوفة فيستلها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمان عشرة ليلة يقسم أموالها، ودخول الكوفة بعد ما يقاتل الترك والروم بقدفنسيا، ثم يبعث عليهم خلفهم فتن فترجع طائفة منهم إلى خراسان، فيقتل السفياني ويهدم الحصون حتى يدخل الكوفة، ويطلب أهل خراسان ويظهر بخراسان قوم تذعن إلى المهدي، ثم يبعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد ﷺ حتى يؤديهم الكوفة، ثم يخرج المهدي، ومنصور هاربين، ويبعث السفياني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي، ومنصور الكوفة نزل جيش السفياني إليهما فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السوداء حتى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب، ليس معهم سلاح إلّا قليل، وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا أصحاب السفياني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي.

وأخرج (ك) نعيم بن حماد، عن محمد بن الحنفية قال: تخرج رايات سود لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سود قلانسهم سود، وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس يوطىء للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً.

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن الحسن قال: «يخرج بالري رجل ربعة أسمر من بني تميم، محروم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف، ثيابهم بيض، وراياتهم سود يكون على مقدمة المهدي لا يلقاه أحد إلا فله».

وأخرج (ك) نعيم عن علي قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث.

وأخرج (ك) نعيم عن علي قال: «لا يخرج المهدي حتى يبصق بعضكم في وجه بعض».

وأخرج (ك) نعيم عن عمرو بن العاص قال: «علامة خروج المهدي، إذا خسف بجيش في البيداء فهو علامة خروج المهدي».

وأخرج (ك) نعيم عن أبي قبيل قال: اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين».

وأخرج (ك) نعيم عن عمار بن ياسر قال «علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك، ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال ويستخلف بعده رجل ضعيف فيخلع بعد سنتين من بيعته ويخسف بغربي مسجد دمشق وخروج ثلاثة نفر بالشام وخروج أهل المغرب إلى مصر وتلك أمارة السفياني».

وأخرج (ك) نعيم عن علي قال: إذا نادى مناد من السماء أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره.

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن عمار بن ياسر قال: «المهدي على أولة شعيب بن صالح».

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن أبي جعفر قال: يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمين خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب بن علقمة قال: يخرج على لواء المهدي غلام حدث السن خفيف اللحية أصفر لو قاتل الجبال لهدّها، حتى ينزل إيلياء.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: إذا ملك رجل الشام وآخر مصر، فاقتتل الشامي والمصري، وسبى أهل الشام قبائل من مصر، وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قتل صاحب الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال: يكون بأفريقية أمير اثنتي عشرة سنة، ويكون بعده فتنة، ثم يملك رجل أسمر يملأها عدلاً ثم يسير إلى المهدي فيؤدي إليه الطاعة، ويقاتل عنه.

وأخرج (ك) أيضاً عن الحسن أن رسول الله ﷺ «ذكر فلا يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء، من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي، فيولونه أمرهم، فيؤيده الله وينصره».

وأخرج (ك) أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس، ثم يمكثون ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه من قبل المشرق يؤدون الطاعة للمهدي».

وأخرج (ك) أيضاً عن علي: قال: «تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب بن صالح فيهزم أصحابه».

وأخرج (ك) أيضاً عن عمار بن ياسر قال: «إذا بلغ السفياني الكوفة، وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح».

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال «تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة فإذا ظهر المهدي بمكة بعث إليه بالبيعة».

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: «إذا دارت رحا بني العباس، وربط أصحاب الرايات خيولهم بزيتون الشام، يهلك الله لهم الأصهب ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى امرؤ منهم إلا هارب أو مختف، ويسقط الشعبتان بنو جعفر. وبنو العباس، ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق، ويخرج البربر إلى سرة الشام، فهو علامة خروج المهدي».

وأخرج (ك) أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: «إذا خرجت خيل السفياني

إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي بـرايات سـود على مقدمتـه شعيب بن صالـح، فيلتقي هو والسفياني بباب إصطخر، فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتـظهر الـرايات السـود، وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه».

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال: بعث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبلغه فزعة من وراء النهر من أرض خراسان عليهم رجل من بني أمية فيكون لهم وقعة بتونس، ووقعة بدولاب الري، ووقعة بتخوم زريح، فعند ذلك تقبل الرايات السود من خراسان على جميع الناس شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال، سهل الله أمره وطريقه ثم يكون لهم وقعة بتخوم خراسان، ويسير الهاشمي في طريق الري فيبرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى إصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء إصطخر فيكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها، ثم يأتيه جنود من سجستان عظيمة، عليهم رجل من بني عدي، فيظهر الله أنصاره وجنوده، ثم تكون واقعة بالمدائن بعد وقعة الري، وفي عاقـرقوفا وقعة صلمية يخبر عنها كل ناج، ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل، ووقعة في أرض من أرض نصيبين، ثم يخرج على الأحوص قوم من سوادهم، وهم العصب عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان.

وأخرج (ك) أيضاً عن ضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا: يبعث السفيـاني خيله وجنوده فيبلغ عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هـاشم، وهم يومئـذ في آخر المشـرق، فيخرج بـأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم مولى لهم يقال له شعيب بـن صالح أصفر قليل اللحية يخرج إليه في خمسة آلاف، فإذا بلغه خروجه شايعـه فيصيره على مقدمته لو استقبل بهم الجبال الرواسي لهدها فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم، فيقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغالبة للسفيـاني ويهرب الهـاشمي ويخرج

شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس.يوطىء للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام ـ قال الوليد: بلغني أن هذا الهاشمي أخو المهدي لأبيه ـ وقال بعضهم: ـ هو ابن عمه ـ وقال بعضهم: إنه لا يموت ولكنه بعد الهزيمة يخرج إلى مكة فإذا ظهر المهدي خرج.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ، ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساءاً، فعند ذلك يهرب المهدي والبيض من المدينة إلى مكة، فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه.

وأخرج (ك) أيضاً عن يوسف بن ذي قربا قال: يكون خليفة بالشام يغزو المدينة، فإذا بلغ أهل المدينة خروج الجيش إليهم خرج سبعة نفر منهم إلى مكة، فاستخفوا فيكتب صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليك فلان وفلان يسميهم بأسمائهم فاقتلهم، فيعظم ذلك صاحب مكة، ثم بنو مروان بينهم فيأتونه ليلاً ويستجيرون به فيقول: أخرجوا آمنين فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهم والآخر ينظر، ثم يرجع إلى أصحابه فيخرجون، ثم ينزلون جبلاً من جبال الطائف فيقيمون فيه ويبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناس فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة فيهزمونهم ويدخلون مكة فيقتلون أميرها ويكونون بها حتى إذا خسف بالجيش استعد أمره وخرج.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال: يبعث السفياني جيشاً فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويفترقون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي، فإذا ظهر بمكة اجتمع كل من شذ منهم إليه بمكة.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال: يكون بالمدينة وقعة يغرق فيها أحجار

الزيت، ما الحرة عندها إلا كضربة سوط فيتنحى عن المدينة قدر بريدين، ثم يبايع للمهدي.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهزمونهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام، فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة غريب، فإذا أتوا البيداء فينزلها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب فيقول: يا ويح أهل مكة ما جاءهم؟ فينصرف إلى غنمه، ثم يرجع فلا يرى أحداً فإذا هم قد خسف بهم فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها، وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها فيعلم أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال: لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير، فأما الذي هو بشير فإنه يأتي المهدي بمكة وأصحابه فيخبرهم بما كان من أمرهم. والثاني يأتي السفياني فيخبره بما يؤول بأصحابه وهما رجلان من كلب.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال: يخرج السفياني. والمهدي كفرسي رهان فيغلب السفياني على ما يليه. والمهدي على ما يليه.

وأخرج (ك) أيضاً عن جعفر قال: يقوم المهدي سنة مائتين.

وأخرج (ك) أيضاً عن الزهري قال: يستخرج المهدي كارهاً من مكة من ولد فاطمة فيبايع.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال: «يظهر المهدي بمكة عند العشاء معه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم فقد اتخذ

الحجر وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب وآمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات وتكونوا أعواناً على الهدى، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها وأذنت بانصرام فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته فيظهر في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف[1] رهبان بالليل أسد بالنهار، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز، ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم، وتنزل الرايات السود الكوفة فيبعث بالبيعة إلى المهدي، ويبعث المهدي جنوده في الآفاق، ويميت الجور وأهله، وتستقيم له البلدان، ويفتح الله على يديه القسطنطينية».

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن مسعود قال: إذا انقطعت التجارات والطرق وكثرت الفتن خرج سبعة نفر علماء من أفق شتى على غير ميعاد يبايع لكل رجل منهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وجيشه فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له: أنت فلان ابن فلان؟ فيقول: لا بل أنا رجل من الأنصار حتى يفلت منهم فيصفونه لأهل الخبر منه والمعرفة به فيقال: هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى [أهل] مكة فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون: أنت فلان ابن فلان وأمك فلانة ابنة فلان، وفيك آية كذا وكذا وقد أفلت منّا مرة فمد يدك نبايعك؟ فيقول لست بصاحبكم حتى يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن، ويقولون له: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من حرام، فيجلس

---

(١) قال صاحب النهاية: أي قطع السحاب المتفرقة، وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.

بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقي الله محبته في صدور الناس فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل.

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: حدثني محمد أن المهدي. والسفياني. وكلباً يقتتلون في بيت المقدس حين تستقبله البيعة فيؤتى بالسفياني أمير فيأمر به، فيذبح على باب الرحبة، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق، وأخرج أيضاً عن الوليد بن مسلم، عن محمد بن علي قال: إذا سمع العائذ الذي بمكة الخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر من إيلياء: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة بعثت إليه ما بعثت فساحوا في الأرض إن في هذا لعبرة ونصرة فيؤدي إليه السفياني الطاعة، فيخرج حتى يلقى كلباً وهم أخواله فيعيرونه بما صنع ويقولون: كساك الله قميصاً فخلعته فيقول: ما ترون أستقيله البيعة؟ فيقولون: نعم فيأتيه إلى إيلياء فيقول: أقلني فيقول: بلى فيقول له: أتحب أن أقيلك؟ فيقول: نعم فيقيله ثم يقول: هذا رجل قد خلع طاعتي، فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة باب إيلياء، ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً فخسف بهم بالبيداء، وبلغ ذلك أهل الشام قال لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك فيرسل إليهم بالبيعة، ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتنقل إليه الخزائن ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى يبني المساجد بالقسطنطينية وما دونها، ويخرج قبله رجل من أهل بيت بالمشرق ويحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: تفرح الفتن برجل منا يسومهم خسفاً لا يعطيهم إلا السيف يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة، ولو كان من ولدها لرحمنا يغريه الله ببني العباس وبني أمية.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال: لا يخرج المهدي حتى تروا الظلمة.

وأخرج (ك) أيضاً عن مطر الوراق قال: لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهراً.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن سيرين قال: لا يخرج المهدي حتى يقتل من كل تسعة سبعة.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: المهدي خاشع لله كخشوع النسر لجناحه.

وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن الحارث قال: يخرج المهدي، وهو ابن أربعين سنة كأنه رجل من بني إسرائيل.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي طفيل أن رسول الله ﷺ وصف المهدي فذكر ثقلاً في لسانه، وضرب فخذه اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأ عليه الكلام اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي.

وأخرج (ك) أيضاً عن محمد بن حمير قال: المهدي أزح أبلج، أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق، وهو ابن ثمان عشرة سنة.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ، واسمه اسم نبي، ومهاجره بيت المقدس كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال في كتفه علامة النبي، يخرج براية النبي ﷺ من مراط معلمة سوداء مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم يبعث، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: المهدي مني من قريش أدم ضرب من الرجال.

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطأة قال: المهدي ابن عشرين سنة، وأخرج أيضاً عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: اسم المهدي محمد.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: اسم المهدي اسمي.

وأخرج (ك) أيضاً عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: المهدي حق هو؟ قال نعم قلت ممن هو؟ قال من ولد فاطمة.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال: المهدي شاب منا أهل البيت قيل عجز عنها شيوخكم ويرجوها شبابكم؟ قال: يفعل الله ما يشاء.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال: المهدي منا يدفعها إلى عيسى ابن مريم.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي عن النبي ﷺ قال: المهدي رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي.

وأخرج (ك) أيضاً عن الزهري قال: يخرج المهدي بعد الخسف في ثلثمائة وأربعة عشر رجلاً عدد أهل بدر فيلتقي هو وصاحب جيش السفياني، وأصحاب المهدي يومئذ جنتهم البرادع ـ يعني تراسهم ـ ويقال: إنه يسمع يومئذ صوت مناد من السماء ينادي ألا إن أولياء الله أصحاب فلان ـ يعني المهدي ـ فتكون الدبرة على أصحاب السفياني فيقتلون لا يبقى منهم إلا الشريد، فيهربون إلى السفياني فيخبرونه، ويخرج المهدي إلى الشام فيلتقي السفياني المهدي ببيعته، ويسارع الناس إليه من كل وجه ويملأ الأرض عدلاً، وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: يبايع للمهدي سبعة رجال علماء توجهوا إلى مكة من أفق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل رجل منهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فيجتمعون بمكة فيبايعونه ويقذف الله محبته في صدور الناس فيسير بهم، وقد توجه إلى الذين بايعوا السفياني بمكة عليهم رجل من جرم فإذا خرج بين مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء حتى

يأتي الحرم فيبايع له فيندمه كلب على بيعته، فيأتيه فيستقيله البيعة، فيقتله، ثم يغير جيوشه لقتاله فيهزمهم، ويهزم الله على يديه الروم، ويذهب الله على يديه الفقر وينزل الشام.

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطأة قال: يدخل الصخري الكوفة، ثم يبلغه ظهور المهدي بمكة فيبعث إليه من الكوفة بعثاً فيخسف به فلا ينجو منهم إلا بشير إلى المهدي، ونذير إلى الإصطخري فيقبل المهدي من مكة. والصخري من الكوفة نحو الشام كأنهما فرسا رهان فيسبقه الصخري، فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، فيأتون المهدي بأرض الحجاز، فيبايعونه بيعة الهدى، ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز فيقيم بها ويقال له: أنفذ فيكره المجاز ويقول اكتب إلى ابن عمي فلان بخلع طاعتي فأنا صاحبكم فإذا وصل الكتاب إلى الصخري بايع وسار إلى المهدي حتى ينزل بيت المقدس، ولا يترك المهدي بيد رجل من الشام فتراً من الأرض إلا ردها على أهل الذمة، ورد المسلمين إلى الجهاد جميعاً، فيمكث في ذلك ثلاث سنين، ثم يخرج رجل من كلب يقال له: كنانة بعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرناك حتى إذا ملكت بايعت هذا ليخرجن فليقاتلن فيقول: فيمن أخرج؟ فيقول: لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا يتخلف عنك ذات خسف ولا ظلف، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى تنزل بيسان، ويوجهه إليهم المهدي راية، وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل فينزلون على ماء ثم إبراهيم فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها، فإذا تشاءمت الخيلات ولت كلب أدبارها وأخذ الصخري فيذبح على الصفا المتعرضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا المقنطرة التي على يمين الوادي على الصفا المتعرضة على وجه الأرض عليها يذبح كما تذبح الشاة، فالخائب من خاب يوم كلب حتى تباع العذراء بثمانية دراهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: لا يخرج المهدي حتى يقوم السفياني على أعوادها.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: المهدي يبعث بقتال الروم يعطى معه عشرة يستخرج تابوت السكينة من غار إنطاكية، وأخرج أيضاً عن كعب قال: إنما سمي المهدي، لأنه يهدي لأمر قد خفي يستخرج التابوت من أرض يقال لها أنطاكية.

وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن شريك قال: مع المهدي راية رسول الله ﷺ المعلمة.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن سيرين قال: على راية المهدي مكتوب البيعة لله، وأخرج أيضاً عن طاوس قال: علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال جواداً بالمال، رحيماً بالمساكين.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: تكون فتن ثم تكون جماعة على رأس رجل من أهل بيتي، ليس له عند الله خلاق، فيقتل أو يموت فيقوم المهدي.

وأخرج (ك) أيضاً عن ضمرة عن بعض أصحابه قال: لا يخرج المهدي حتى لا يبقى قيل ولا ابن قيل إلا هلك ـ والقيل الرأس ـ.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال: يملك رجل من بني هاشم فيقتل بني أمية حتى لا يبقى منهم إلا اليسير لا يقتل غيرهم، ثم يخرج رجل من بني أمية فيقتل لكل رجل اثنين حتى لا يبقى إلا النساء، ثم يخرج المهدي، وأخرج أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: تكون فتنة كان أولها لعب الصبيان كلما سكنت من جانب طمت من جانب آخر، فلا تتناهى حتى ينادي مناد من السماء، ألا إن الأمير فلان ذلكم الأمير حقاً ثلاث مرات.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال: قال: ينادي مناد من السماء أن الحق في آل محمد، وينادي مناد من الأرض أن الحق في آل عيسى، أو قال العباس شك فيه، وإنما الصوت الأسفل كلمة الشيطان، والصوت الأعلى كلمة الله العليا .

وأخرج عن إسحق بن يحيى، عن أمه وكانت قديمة قال: قلت لها في فتنة ابن الزبير: إن هذه الفتنة تهلك الناس. قالت كلا يا بني، ولكن بعدها فتنة تهلك الناس لا يستقيم أمرهم حتى ينادي مناد من السماء عليكم بفلان.

وأخرج (ك) أيضاً عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «في المحرم ينادي منادٍ من السماء ألا إن صفوة الله فلان، فاسمعوا له وأطيعوا في سنه الضرب والمعمعة».

وأخرج (ك) أيضاً عن عمار بن ياسر قال: إذا قتل النفس الزكية وآخره تقتل بمكة صنيعة، نادى مناد من السماء: إن أميركم فلان، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض خصباً وعدلاً.

وأخرج (ك) أيضاً عن سعيد بن المسيب قال: يكون فرقة واختلاف حتى يطلع كف من السماء، وينادي منادٍ من السماء: إن أميركم فلان، وأخرج أيضاً عن الزهري قال: إذا التقى السفياني والمهدي للقتال يومئذ يسمع صوت من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان - يعني المهدي - وقالت أسماء بنت عميس: إن إمارة ذلك اليوم أن كفاً من السماء مدلاة ينظر إليها الناس.

وأخرج (ك) أيضاً عن الحكم بن نافع قال: إذا كان الناس بمنى وعرفات نادى مناد بعد أن تتحارب القبائل: ألا إن أميركم فلان ويتبعه صوت آخر ألا إنه قد صدق فيقتتلون قتالاً شديداً فجل سلاحهم البرادع، وعند ذلك يرون كفاً معلمة في السماء ويشتد القتال حتى لا يبقى من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر، فيذهبون حتى يبايعوا صاحبهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: يحج الناس معاً، ويعرفون معاً على غير إمام، فبينما هم نزول بمنى إذ أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضهم إلى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلى خيرهم، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي كأني أنظر إلى دموعه، فيقولون هلم إلينا فلنبايعك، فيقول: ويحكم كم من عهد نقضتموه؟ وكم من دم سفكتموه؟ فيبايع كرهاً، فإن

أدركتموه فبايعوه، فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال: يبعث المهدي بعد إياس، وحتى يقول الناس: لا مهدي وأنصاره ناس من أهل الشام عددهم ثلثمائة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر، يسيرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا، فيبايعونه كرهاً فيصلي بهم ركعتين عند المقام يصعد المنبر.

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال: يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً.

وأخرج (ك) أيضاً عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي من المدينة إلى مكة، فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره».

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: إذا خرجت الرايات السود من السفياني التي فيها شعيب بن صالح تمنى الناس المهدي، فيطلبونه، فيخرج من مكة ومعه راية رسول الله ﷺ فيصلي ركعتين بعد أن ييأس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلايا، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال: يا أيها الناس ألح البلاء بأمة محمد وبأهل بيته خاصة، فهو باغ بغى علينا.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال قتادة: المهدي خير الناس أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام مقدمته جبريل وساقته ميكائيل محبوب في الخلائق يطفىء الله به الفتنة العمياء وتأمن الأرض حتى أن المرأة لتحج في خمس نسوة ما معهن رجل لا تتقي شيئاً إلا الله تعطي الأرض زكاتها، والسماء بركتها.

وأخرج (ك) أيضاً عن مطر أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز فقال: بلغنا أن المهدي يصنع شيئاً لم يصنعه عمر بن عبد العزيز قلنا: ما هو؟ قال: يأتيه رجل فيسأله فيقول: ادخل بيت المال فخذ، فيدخل ويخرج ويرى الناس شباعاً فيندم فيرجع

إليه فيقول خذ ما أعطيتني فيأبى ويقول: إنا نعطي ولا نأخذ.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: إني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ما في عمله ظلم ولا عيب.

وأخرج (ك) أيضاً من طريق ضمرة عن محمد بن سيرين أنه ذكر فتنة تكون فقال: إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر. وعمر قيل: أفيأتي خير من أبي بكر وعمر؟ قال: قد كان يفضل على بعض قلت: في هذا ما فيه، وقد قال ابن أبي شيبة في المصنف في باب المهدي: حدثنا أبو أسامة عن عوف عن محمد هو ابن سيرين ـ قال: يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر.

قلت: هذا إسناد صحيح، وهذا اللفظ أخف من اللفظ الأول، والأوجه عندي تأويل اللفظين على ما أول عليه حديث، بل أجر خمسين منكم لشدة الفتن في زمان المهدي، وتمالأ الروم بأسرها عليه ومحاصرة الدجال له، وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب والرفعة عند الله، فالأحاديث الصحيحة والاجتماع على أن أبا بكر، وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين.

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يأوي إلى المهدي أمته كما تأوي النحل إلى يعسوبها يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً.

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سمعت رجلاً يحدث قوماً فقال: المهديون ثلاثة: مهدي الخير عمر بن عبد العزيز. ومهدي الدم وهو الذي تسكن عليه الدماء. ومهدي الدين عيسى ابن مريم تسلم أمته في زمانه، وأخرج أيضاً عن كعب قال: مهدي الخيري يخرج بعد السفياني.

وأخرج (ك) أيضاً عن طاوس قال: إذا كان المهدي يبذل المال، ويشتد على العمال ويرحم المساكين.

وأخرج (ك) أيضاً عن طاوس قال: وددت أني لا أموت حتى أدرك زمان المهدي يزاد للمحسن في إحسانه، ويثاب فيه على المسيء، وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «المهدي يصلحه الله في ليلة واحدة».

وأخرج (ك) أيضاً عن عمر بن الخطاب أنه ولج البيت وقال: والله ما أدري أدع خزائن البيت وما فيه من السلاح والمال، أو أقسمه في سبيل الله، فقال له علي بن أبي طالب: امض يا أمير المؤمنين فلست بصاحبه إنما صاحبه منا شاب من قريش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك فيهزمهم، ويأخذ ما معهم من السبي والأموال، ثم يصير إلى الشام فيفتحها، ثم يعتق كل مملوك معه، ويعطي أصحابه قيمتهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن لهيعة قال: يتمنى في زمان المهدي الصغير الكبر والكبير الصغر.

وأخرج (ك) أيضاً عن صباح قال: يمكث المهدي فيهم تسعاً وثلاثين سنة، يقول الصغير: يا ليتني كبرت، ويقول الكبير: يا ليتني كنت صغيراً.

وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: المهدي ينزل عليه عيسى ابن مريم، ويصلي خلفه عيسى.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: المهدي من ولد العباس، وأخرج أيضاً عن الزهري قال: المهدي من ولد فاطمة.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: ما المهدي إلا من قريش، وما الخلافة إلا فيهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: المهدي رجل منا من ولد فاطمة.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عمر أنه قال لابن الحنيفة: المهدي الذي يقولون كما يقول الرجل الصالح إذا كان الرجل صالحاً، قيل له المهدي.

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطأة قال: يبقى المهدي أربعين عاماً.
وأخرج (ك) أيضاً عن بقية بن الوليد قال: حياة المهدي ثلاثون سنة.
وأخرج (ك) أيضاً عن محمد بن حمير عن أبيه قال: يملك المهدي سبع سنين، وشهرين وأياماً.
وأخرج (ك) أيضاً عن دينار بن دينار قال: بقاء المهدي أربعون سنة.
وأخرج (ك) أيضاً عن الزهري قال: يعيش المهدي أربع عشرة سنة، ثم يموت موتاً.
وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال: يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: يموت المهدي موتاً، ثم يلي الناس بعده رجل من أهل بيته فيه خير وشر، وشره أكثر من خيره يغصب الناس يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة بقاؤه قليل يثور به رجل من أهل بيته فيقتله.

وأخرج (ك) أيضاً عن الزهري قال: يموت المهدي موتاً، ثم يصير الناس بعده في فتنة، ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زماناً، ثم ينادي مناد من السماء ليس بإنس، ولا جان بايعوا فلاناً، ولا ترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة فينظرون فلا يعرفون الرجل، ثم ينادي ثلاثاً، ثم يبايع المنصور فيصير إلى المخزومي، فينصره الله عليه فيقتله ومن معه.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: «يتولى رجل من بني مخزوم، ثم رجل من الموالي، ثم يسير رجل من المغرب رجل جسيم طويل عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقيه حتى يدخل بيت المقدس، فيموت موتاً فتكون الدنيا شراً مما كانت، ثم يلي بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ظلوم غشوم، ثم يلي من بعد المضري العماني القحطاني يسير سيرة أخيه المهدي، وعلى يديه تفتح المدينة الروم».

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد عن معمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

القحطاني بدون المهدي؟». وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: بعد الجبابرة الجابر، ثم المهدي، ثم المنصور، ثم السلم، ثم أمير العصب.

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عمرو أنه قال: يا معشر اليمن يقولون: إن المنصور منكم والذي نفسي بيده إنه لقرشي أبوه، ولو شاء أن أسميه إلى أقصى جد هو له لفعلت، وأخرج أيضاً عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون من أهل بيتي رجل يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم من بعده القحطاني والذي نفسي بيده ما هو دونه».

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطأة قال: ينزل المهدي بيت المقدس، ثم يكون خلف من أهل بيته بعده تطول مدتهم ويجبرون حتى يصلي الناس على بني العباس، فلا يزال الناس كذلك حتى يغزو مع واليهم القسطنطينية وهو رجل صالح يسلمها إلى عيسى ابن مريم ولا يزال الناس في رخاء ما لم ينتقص ملك بني العباس، فإذا انتقص ملكهم لم يزالوا في فتن حتى يقوم المهدي.

وأخرج (ك) أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: ثلاثة أمراء يتوالون تفتح كلها عليهم كلهم صالح الجابر، ثم المفرج، ثم ذو العصب يمكثون أربعين سنة، ثم لا خير في الدنيا بعدهم.

وأخرج (ك) أيضاً عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن المهدي يمكث أربع عشرة سنة ببيت المقدس، ثم يموت، ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يقتل، ثم يملك المولى يمكث ثلاث سنين، ثم يقتل، ثم يملك بعده هشيم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال: يكون بعد المهدي خليفة من أهل اليمن من قحطان أخو المهدي في دينه يعمل بعمله، وهو الذي يفتح مدينة الروم ويصيب غنائمها.

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطأة قال: يكون بين المهدي وبين الروم هدنة، ثم يهلك المهدي ثم يلي رجل من أهل بيته يعدل قليلاً ثم يقتل.

وأخرج (ك) أيضاً عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله ﷺ قال: «القحطاني بعد المهدي وما هو دونه»، وأخرج أيضاً عن أرطأة قال: بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً، ثم يموت على فراشه، ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة، ثم يموت قتيلاً بالسلاح، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ مهدي حسن السيرة يغزو مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ، ثم يخرج في زمانه الدجال، وينزل في زمانه عيسى ابن مريم.

هذه الآثار كلها لخصتها من كتاب الفتن لنعيم بن حماد، وهو أحد الأئمة الحفاظ، وأحد شيوخ البخاري، وبقي من أخبار المهدي ما أخرج (ك) ابن أبي شيبة في المصنف، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي المهدي إن طال عمره، أو قصر عمره ملك سبع سنين أو ثمان سنين، أو تسع سنين، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلمـاً، وتمطر السماء مطرها، وتخرج الأرض بركتها وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعيشه قبل ذلك».

وأخرج (ك) أيضاً ابن أبي شيبـة عن ابن عباس قـال: لا تمضي الأيام والليـالي حتى يلي منا أهل البيت فتى لم تلبسه[1] الفتن ولم يلبسها قيل: يا أبا العباس يعجز عنها مشيختكم، وينالها شبابكم؟ قال: هو أمر الله يؤتيه من يشاء.

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن حكيم بن سعد قال: لما قام سليمان فأظهر ما أظهر قلت لأبي يحيى: هذا المهدي الذي يذكر؟ قال: لا.

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: قد كان مهدياً، وليس به إن المهدي إذا كان زيد المحسن في

---

(١) في بعض النسخ (لم يلب الفتن).

إحسانه ويكتب على المسيء من إساءته، وهو يبذل المال ويشتد على العمال ويرحم المساكين.

وأخرج (ك) أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز هو المهدي؟ قال: هو مهدي، وليس به إنه لم يستكمل العدل كله، وأخرج المحاملي في أماليه عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين قال: يزعمون أني أنا المهدي وأني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدعون.

وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صل بالناس فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي» الحديث.

وأخرج (ك) ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، والكافران: نمروذ، وبخت نصر وسيملكها خامس من أهل بيتي».

وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن ابن شوذب قال: إنما سمي المهدي، لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود، فيسلم على يديه جماعة من اليهود.

وأخرج (ك) الداني، عن الحكم بن عتيبة قال: قلت لمحمد بن علي: سمعنا أنه سيخرج منكم رجل يعدل في هذه الأمة قال: إنا نرجو ما يرجو الناس، وإنا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يكون ما ترجو هذه الأمة وقبل ذلك فتنة شر فتنة يمسي الرجل مؤمناً، ويصبح كافراً ويصبح مؤمناً، ويمسي كافراً، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله، وليكن من أحلاس بيته.

وأخرج (ك) الداني عن سلمة بن زفر قال: قيل يوماً عند حذيفة قد خرج المهدي، فقال: لقد أفلحتم إن خرج وأصحاب محمد بينكم إنه لا يخرج حتى لا

يكون غائب أحب إلى الناس منه مما يلقون من الشر.

وأخرج (ك) الداني عن قتادة قال: يجاء إلى المهدي في بيته، والناس في فتنة يهراق فيها الدماء يقال له: قم علينا فيأبى حتى يخوف بالقتل، فإذا خوف بالقتل قام عليهم فلا يهراق بسببه محجمة دم.

وأخرج (ك) الداني عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون وقعة بالزوراء قال يا رسول الله: وما الزوراء؟ قال: مدينة بالمشرق بين أنهار يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتي يقذف بأربعة أصناف من العذاب بالسيف وخسف وقذف ومسخ» وقال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت السودان طلبت العرب مكشوفون حتى يلحقوا ببطن الأرض، أو قال: ببطن الأردن، فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين وثلثمائة راكب حتى يأتي دمشق فلا يأتي عليهم شهر حتى يتابعه من كلب ثلاثون ألفاً، فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينجرون إلى الكوفة، فينهبونها فعند ذلك تخرج راية من المشرق ويقودها رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة فينهبونها ثلاثة أيام، ثم يسيرون إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبريل عذبهم فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم، فلا يبقى منهم إلا رجلان فيقدمان على السفياني فيخبرانه بخسف الجيش فلا يهوله، ثم إن رجالاً من قريش يهربون إلى قسطنطينية فيبعث السفياني إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق ـ قال حذيفة ـ حتى أنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس حتى تأتي فخذ السفياني، فتجلس عليه، وهو في المحراب قاعد، فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول: ويحكم أكفرتم بعد إيمانكم؟ إن هذا لا يحل، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق، ويقتل كل من شايعه على ذلك فعند ذلك ينادي مناد من السماء أيها الناس إن الله قد قطع عنكم مدة الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ فالحقوا به بمكة، فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبدالله، ـ قال حذيفة ـ:

فقام عمران بن الحصين فقال: يا رسول الله كيف لنا حتى نعرفه؟ قال: هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كأن وجهه الكوكب الدري في اللون في خده الأيمن خال أسود ابن أربعين سنة، فيخرج الأبدال من الشام وأشباههم ويخرج إليه النجباء من مصر وعصائب أهل الشرق وأشباههم حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يخرج متوجهاً إلى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحوش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار وتضعف الأرض أهلها وتستخرج الكنوز فيقدم الشام فيذبح السفياني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية ويقتل كلباً قال رسول الله ﷺ: فالخائب من خاب[1] يوم كلب ولو بعقال، قال حذيفة: يا رسول الله كيف يحل قتالهم وهم موحدون؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا حذيفة هم يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ولا يصلون».

وأخرج (ك) الداني عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في رمضان صوت، وفي شوال معمعة، وفي ذي القعدة تحارب القبائل، وعلامته ينهب الحاج، وتكون ملحمة بمنى تكثر فيها القتلى، وتسيل فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على الجمرة حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك يرضى به ساكن السماء، وساكن الأرض».

وأخرج (ك) نعيم عن كعب قال: يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذنب يضيء، وأخرج نعيم عن شريك قال: بلغني أنه قبل خروج المهدي ينكسف القمر في شهر رمضان مرتين، وأخرج أبو غنم الكوفي في كتاب الفتن عن علي بن أبي طالب قال: ويحاً للطالقان فإن الله فيه كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال عرفوا الله حق معرفته وهم أنصار المهدي آخر الزمان، وأخرج أبو بكر الأسكاف في فوائد الأخبار عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر».

---

(١) في بعض النسخ (فالخائب من خان وهو تحريف)

وأخرج (ك) نعيم عن جعفر بن يسار الشامي قال: يبلغ رد المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يرده.

وأخرج (ك) نعيم عن سلمان بن عيسى قال: بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلاً منهم.

وفي (ك) الفردوس من حديث ابن عباس مرفوعاً المهدي طاوس أهل الجنة.

وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي، فيقال: تقدم يا نبي الله، فصل بنا، فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض.

وأخرج (ك) نعيم عن خالد بن سمير قال: هرب موسى بن طلحة بن عبيدالله من المختار إلى البصرة، وكان الناس يرون في زمانه أنه المهدي، وأخرج نعيم عن صباح قال: لا خلافة بعد حمل بني أمية حتى يخرج المهدي، وأخرج نعيم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: وجدت في بعض الكتب يوم اليرموك أبو بكر الصديق أصبتم اسمه عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه عثمان ذو النورين، أو في كفلين من الرحمة، لأنه قتل مظلوماً أصبتم اسمه، ثم يكون سفاح، ثم يكون منصور، ثم يكون الأمين، ثم يكون مهدي، ثم يكون سيف[1] وسلام - يعني صلاحاً وعافية - ثم يكون أمير العصب ستة منهم من ولد كعب بن لؤي، ورجل من قحطان كلهم صالح لا يرى مثله.

وأخرج (ك) نعيم عن عبدالله بن عمرو قال: يكون بعد الجبارين: الجابر يجبر الله به أمة محمد ﷺ ثم المهدي، ثم المنصور، ثم السلام، ثم أمير

(١) في بعض النسخ (شين وسلام).

العصب، فمن قدر على الموت بعد ذلك فليمت، وأخرج نعيم من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الخامس من أهل بيتي فالهرج فالهرج، حتى يموت السابع قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل كذلك حتى يقوم المهدي».

وأخرج (ك) نعيم عن محمد بن الحنفية قال: يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير، ثم يتشعث أمرهم في سنة خمس وتسعين، فإن لم تجدوا إلا جحر عقرب فادخلوا فيه، فإنه يكون في الناس شر طويل، ثم يزول ملكهم في سنة سبع وتسعين، أوتسع وتسعين، ويقوم المهدي في سنة مائتين.

وأخرج (ك) نعيم عن عبد السلام بن مسلم[1] قال: لا يزال الناس بخير ورخاءمالم ينقض ملك بني العباس، فإذا انتقض ملكهم لم يزالوا في فتنة حتى يقوم المهدي.

وأخرج (ك) نعيم عن الحكم بن نافع قال: يقاتل السفياني الترك، ثم يكون استئصاله على يد المهدي، وأول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك، وقال ابن سعد في الطبقات: أنا الواقدي قال: سمعت مالك بن أنس يقول: خرج محمد بن عجلان مع عبدالله بن حسن حين خرج بالمدينة، فلما قتل محمد بن عبدالله، وولي جعفر بن سليمان بن علي المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتى به فبكته وكلمه كلاماً شديداً وقال: خرجت مع الكذاب فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك[2] شفتيه بشيء لا يدرى ما هو، فيظن أنه يدعو، فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرافهم فقالوا: أصلح الله الأمير محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شبه عليه، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه فولى محمد بن عجلان منصرفاً لم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله.

---

(١) في بعض النسخ عن عبدالله بن سلم.

(٢) في بعض النسخ (إلا أنه يجري شفتيه) ولعله يؤدي نفس المعنى.

وأخرج (ك) نعيم عن كعب قال: يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس، فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع، فبينما هم على ذلك إذ سمعوا صوتاً في الغلس فيقولون: إن هذا لصوت رجل شبعان فينظرون فإذا بعيسى ابن مريم، وتقام الصلاة فيرجع إمام المسلمين المهدي، فيقول عيسى تقدم فلك أقيمت الصلاة فيصلي بهم تلك الليلة، ثم يكون عيسى إماماً بعده، وأخرج أبو الحسين بن المنادي في كتاب الملاحم عن سالم بن أبي الجعد قال: يكون المهدي إحدى وعشرين سنة، أو اثنتين وعشرين سنة، ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح أربع عشرة سنة، ثم يكون آخر من بعده، وهو دونه وهو صالح تسع سنين.

وأخرج ابن عساكر عن خالد بن معدان قال: يهزم السفياني الجماعة مرتين، ثم يهلك، ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا، وأخرج ابن المنادي في الملاحم قال: ليخرجن رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيحيي الله بالمهدي محمد بن عبدالله السنن التي قد أميتت، وتسر بعدله وبركته قلوب المؤمنين، وتتألف إليه عصب العجم وقبائل من العرب فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة دون العشرة، ثم يموت، قال ابن المنادي:

وفي كتاب دانيال أن السفيانيين ثلاثة، وأن المهديين ثلاثة، فيخرج السفياني الأول، فإذا خرج وفشا ذكره خرج عليه المهدي الأول، ثم يخرج السفياني الثاني، فيخرج عليه المهدي الثاني، ثم يخرج السفياني الثالث فيخرج عليه المهدي الثالث، فيصلح الله به كل ما أفسد قبله، ويستنقذ الله به أهل الإيمان، ويحيي به السنة ويطفىء به نيران البدعة، ويكون الناس في زمانه أعزاء ظاهرين على من خالفهم، ويعيشون أطيب عيش، ويرسل الله السماء عليهم مدراراً، وتخرج

الأرض زهرتها ونباتها، فلا تدخر من نباتها شيئاً، فيمكث على ذلك سبع سنين، ثم يموت.

ثم قال: أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة، ثنا محمد بن إبراهيم أبو أمية الطرسوسي، ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا شريك بن عبدالله عن عمار بن عبدالله الدهني، عن سالم بن أبي الجعد قال: يكون المهدي إحدى وعشرين سنة، أو اثنتين وعشرين، ثم يكون آخر من بعده وهو صالح أربع عشرة سنة، ثم يكون آخر من بعده، وهو صالح تسع سنين.

وأخرج (ك) ابن منده في تاريخ أصبهان عن ابن عباس قال: المهدي شاب منا أهل البيت.

فصل:

قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب، وابن الجوزي في غريب الحديث، وابن الأثير في النهاية في حديث علي أنه ذكر المهدي من ولد الحسن فقال: إنه أزيل الفخذين ـ والمراد انفراج فخذيه وتباعد ما بينهما ـ.

تنبيهات الأول: عقد أبو داود في سننه باباً في المهدي، وأورد في صدره حديث جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة» وفي رواية «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». فأشار بذلك إلى ما قاله العلماء أن المهدي أحد الاثني عشر، فإنه لم يقع إلى الآن وجود اثني عشر اجتمعت الأمة على كل منهم.

الثاني: روى الدارقطني في الأفراد. وابن عساكر في تاريخه عن عثمان بن عفان سمعت النبي ﷺ يقول: «المهدي من ولد العباس عمي» قال الدارقطني: هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم.

الثالث: روى ابن ماجه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم» قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث

عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه، وقال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السحري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه في طول من قصته وأمره، قال القرطبي: ويحتمل أن يكون قوله عليه السلام ولا مهدي إلا عيسى، أي لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى قال: وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض، وقال ابن كثير: هذا الحديث فيما يظهر ببادىء الرأي مخالف للأحاديث الواردة في إثبات مهدي غير عيسى ابن مريم، وعند التأمل لا ينافيها، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي حق المهدي هو عيسى، ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهدياً أيضاً.

الرابع: أورد القرطبي في التذكرة أن المهدي يخرج من الغرب الأقصى في قصة طويلة ولا أصل لذلك والله أعلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

الحمدلله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ هذا جزء ألفته في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، سميته بتبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة.

ذكر أصله

قال الخطيب في تاريخه: أنبأنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي الصيمري [1] أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرىء، ثنا مكرم بن حنبل بن أحمد القاضي، ثنا أحمد بن عبدالله بن شاذان المروزي، حدثني أبي عن جدي: سمعت اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس

(١) الصيمري ـ نسبة إلى صيمر كحيدر، وقد تضم ميمه: مدينة من بلاد الجبل وخوزستان ـ من كبار الفقهاء، يروي عن أبي نصر محمد بن سهل، وعن أبي بكر محمد الخوارزمي، عن أبي بكر الجصاص، عن أبي الحسن الكرخي، عن أبي سعيد البردعي، عن موسى بن نصر الرازي عن الإمام محمد رحمهم الله، مات في العام ٤٣٦ هـ. في شهر شوال بمدينة بغداد وقد ذكر صاحب الجواهر المضيئة في نسبه بين علي وجعفر محمداً.

روى عنه الحافظ أبو بكر وقال: كان صدوقاً، وافر العقل جميل المعاشرة، عارفاً بحقوق أهل العلم، وسمعته يقول: حضرت عند أبي الحسن الدارقطني، وسمعت منه أجزاء من كتاب السنن الذي صنفه، قال الخطيب: كان مولده سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة، وقال أبو الوليد الباجي: كان إمام الحنفية ببغداد وكان قاضياً عالماً خيراً، وله كتاب مجلد ضخم في أخبار أبي حنيفة وأصحابه.

الأحرار، والله! ما وقع علينا رق قط، ولد جدي في سنة ثمانين؛ وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب الله تعالى ذلك لعلي بن أبي طالب فينا، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذج في يوم النيروز[1] فقال: نورزوا لنا كل يوم.

ذكر تبشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم به

قد ذكر الأئمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر بالإمام مالك في حديث «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة»، وبشر بالإمام الشافعي في حديث «لا تسبوا قريشاً! فإن عالمها يملأ الأرض علماً» أقول: قد بشر صلى الله عليه وآله وسلم بالإمام أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس».

وأخرج الشيرازي في الألقاب عن قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس»، وحديث أبي هريرة أصله في صحيحي البخاري ومسلم بلفظ «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس» وفي لفظ لمسلم: «لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناوله» وحديث قيس بن سعد في معجم الطبراني[3] بلفظ: «لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لا تناله العرب لناله رجال فارس» وفي معجم الطبراني أيضاً عن ابن مسعود ـ رضي الله

(١) النيروز أول أيام السنة الشمسية عند الفرس.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني مات عام ٤٣٠ هـ وكتابه الحلية كتاب ذات قيمة.

(٣) الطبراني الكبير هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ مات في العام ٣٦٠ هـ، كما ذكر حاجي خليفة.

عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان الدين معلقاً بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس». فهذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة والفضيلة نظير الحديثين اللذين في الإمامين ويستغنى به عن الخبر الموضوع[1].

ذكر من أدركه من الصحابة رضي الله عنهم

وقد ألف الإمام أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المقرىء الشافعي جزءاً فيما رواه الإمام أبو حنيفة عن الصحابة ذكر فيه: قال أبو حنيفة: لقيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة وهم: (١) انس بن مالك و(٢) عبدالله بن جزء الزبيدي و(٣) جابر بن عبدالله و(٤) معقل بن يسار و(٥) واثلة بن الأسقع و(٦) عائشة بنت عجرد رضي الله عنهم، ثم روى له عن أنس ثلاثة أحاديث، وعن ابن جزء حديثاً، وعن واثلة حديثين، وعن جابر حديثاً، وعن عبدالله بن أنيس حديثاً، وعن عائشة بنت عجرد حديث؛ وروى له أيضاً عن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ حديثاً، والأحاديث التي أوردها كلها واردة من غير هذا الطريق. لكن قال حمزة السهمي: سمعت الدارقطني يقول: لم يلق أبو حنيفة أحداً من الصحابة إلا أنه رأى أنساً بعينه ولم يسمع منه، وقال الخطيب: لا يصح لأبي حنيفة سماع من أنس[2].

ووقفت على فتيا رفعت إلى الشيخ ولي الدين العراقي صورتها: هل روى أبو حنيفة عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهل يعد هو في التابعين أم لا؟ فأجاب بما نصه: الإمام أبو حنيفة لم يصح له رواية عن أحد من

---

(١) وقد ذكر العلامة أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي في جامع مسانيد الإمام الأعظم في الباب الأول والأحاديث المرفوعة المتعددة بالأسانيد المتصلة في فضائل الإمام، وكذا ذكرها العلامة موفق ابن أحمد المكي في كتابه مناقب الإمام الأعظم.

(٢) أورد صاحب جامع مسانيد الإمام الأعظم في النوع الثالث من الباب الأول: بأنه روى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن العلماء اتفقوا على ذلك، وإن اختلفوا في عددهم، ثم أورد أحاديثه المروية عن الصحابة بالأسانيد المتصلة المتعددة، والله أعلم.

الصحابة وقد رأى أنس بن مالك، فمن يكتف في التابعي بمجرد رؤية الصحابي يجعله تابعياً، ومن لا يكتف بذلك لا يعده تابعياً.

ورفع هذا السؤال إلى الحافظ ابن حجر فأجاب بما نصه: أدرك الإمام أبو حنيفة جماعة من الصحابة، لأنه ولد بمكة سنة ثمانين من الهجرة وبها يومئذ من الصحابة عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ فإنه مات بعد ذلك بالاتفاق، وبالبصرة يومئذ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ومات سنة تسعين أو بعدها، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنساً؛ وكان غير هذين في الصحابة بعده من البلاد أحياء. وقد جمع بعضهم جزءاً فيما ورد من رواية أبي حنيفة عن الصحابة لكن لا يخلو إسنادها هنا من ضعف، والمعتمد على إدراكه ما تقدم على رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في الطبقات، فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له كالأوزاعي بالشام والحمادين بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة ومسلم بن خالد الزنجي بمكة والليث بن سعد بمصر؛ والله أعلم ـ هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر.

وحاصل ما ذكره هو وغيره الحكم على أسانيد ذلك بالضعف وعدم الصحة لا بالبطلان، وحينئذ فسهل الأمر في إيرادها، لأن الضعيف يجوز روايته ويطلق عليه أنه وارد كما صرحوا؛ فلنوردها ونتكلم عليها حديثاً حديثاً:

قال أبو معشر في جزئه: أنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن منصور الفقيه الواعظ، ثنا أبو إبراهيم أحمد بن الحسن القاضي، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان الحنفي، ثنا أبو سعيد اسماعيل بن علي السمان، ثنا أبو الحسين بن أحمد بن محمد بن محمود البزار، ثنا أبو سعيد الحسين بن أحمد بن محمد بن المبارك، ثنا أبو العباس أحمد بن الصلت بن المغلس الحماني، ثنا بشر ابن الوليد القاضي عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وبه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الدال على الخير كفاعله».

وبه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله يحب إغاثة اللهفان». أقول: أحمد بن الصلت بن المغلس[1] مجروح.

والحديث الأول متنه مشهور، وقد قال النووي في فتاواه: هو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحاً. وقال الحافظ جمال الدين المزي: روى من طريق يبلغ رتبة الحسن. قلت: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح لأني وقفت له على نحو خمسين طريقاً وقد جمعتها في جزء.

والحديث الثاني متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وأصله في صحيح مسلم من حديث أبي مسعود بلفظ: من دل على خير فله مثل أجر فاعله.

والحديث الثالث متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وصححه الضياء[2] المقدسي في المختارة من حديث بريدة رضي الله عنه.

ثم قال أبو معشر: أنا أبو عبدالله، حدثنا إبراهيم، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعيد الحسين بن أحمد، ثنا علي بن أحمد بن الحسين البصري ثنا أحمد بن عبدالله بن حرام، ثنا المظفر بن منهل، ثنا موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي، ثنا أبي، ثنا إسماعيل بن عياش، عن أبي حنيفة عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وبه عن واثلة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تظهر الشماتة لأخيك! فيعافيه الله ويبتليك».

---

(١) ورد في الجواهر المضيئة بأنه تفقه على بشر بن الوليد الكندي، وحدث عنه أبي نعيم الفضل بن دكين، وهو ابن أخي جبارة بن المغلس الفقيه.

(٢) مات في العام ٦٤٣ هـ.

أقول: الحديث الأول متنه صحيح ورد من رواية جمع من الصحابة، وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم والضياء من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

والحديث الثاني أخرجه الترمذي من وجه آخر عن واثلة وحسنه، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ثم قال أبو معشر: أخبرنا أبو يوسف عبدالله، حدثنا أبو إبراهيم حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعد السمان، حدثنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق اليماني، حدثنا أبو الحسن علي بن بابويه الأسواري، حدثنا أبو داود الطيالسي عن أبي حنيفة قال: ولدت سنة ثمانين وقدم عبدالله بن أنيس - رضي الله عنه - الكوفة سنة أربع وتسعين ورأيته وسمعت منه وأنا ابن اربع عشرة سنة، سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حبك الشيء يعمي ويصم».

أقول: هذا الحديث رواه أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه، وأصعب ما هنا أن يقال: إن عبدالله بن أنيس الجهني[1] الصحابي المشهور مات سنة أربع وخمسين وذلك قبل مولد أبي حنيفة بدهر. والجواب أن الصحابة المسمين عبدالله بن أنيس خمسة، فلعل الذي روى عنه أبو حنيفة واحد آخر منهم غير الجهني المشهور.

ثم قال أبو معشر: أخبرنا أبو عبدالله، حدثنا أبو إبراهيم، أنا أبو بكر الحنفي، حدثنا أبو سعد السمان، ثنا محمد بن موسى، ثنا محمد بن عياش الجلودي عن التمتام يحيى بن القاسم، عن أبي حنيفة: سمعت عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة». أقول: هذا الحديث متنه صحيح بل متواتر.

---

(١) قيل إن الصحابي عبدالله بن أنيس الجهني مات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ.، وذكر صاحب تهذيب التهذيب في الخلاصة: قال أبو سعيد بن يونس: عبدالله بن أنيس مات بالشام سنة ٨٠ هـ.

وبه إلى أبي سعد السمان، ثنا أبو محمد عبدالله بن كثير الرازي ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ثنا عباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن معين عن أبي حنيفة أنه سمع عائشة بنت عجرد[1] رضي الله عنها تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أكثر جند الله في الأرض الجراد لا آكله ولا أحرمه. أقول: هذا الحديث متنه صحيح، أخرجه أبو داود من حديث سلمان وصححه الضياء في المختارة.

ذكر من روى عنهم الإمام أبو حنيفة من التابعين فمن بعدهم

قال الحافظ جمال الدين المزي: روى أبو حنيفة عن (١) إبراهيم بن محمد بن المنتشر و (٢) اسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير و (٣) جبلة بن سحيم و (٤) أبي هند الحارث بن عبد الرحمن الهمداني و (٥) الحسن بن عبيد الله و (٦) الحكم بن عتيبة و (٧) حماد بن أبي سليمان و (٨) خالد بن علقمة و (٩) ربيعة بن أبي عبد الرحمن و (١٠) زبيد اليامي و (١١) زياد بن علاقة و (١٢) سعيد بن مسروق الثوري و (١٣) سلمة بن كهيل و (١٤) سماك بن حرب و (١٥) أبي روبة شداد بن عبد الرحمن و (١٦) شيبان بن عبد الرحمن النحوي وهو من أقرانه و (١٧) طاوس بن كيسان فيما قيل و (١٨) طريف بن سفيان السعدي و (١٩) أبي سفيان طلحة بن نافع و (٢٠) عاصم بن كليب و (٢١) عامر الشعبي و (٢٢) عبدالله بن أبي حبيبة و (٢٣) عبدالله بن دينار و (٢٤) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج و (٢٥) عبد العزيز بن رفيع و (٢٦) عبد الكريم بن المخارق أبي أمية البصري و (٢٧) عبد الملك بن عمير و (٢٨) عدي بن ثابت الأنصاري و (٢٩) عطاء بن أبي رباح و (٣٠) عطاء بن السائب و (٣١) عطية بن سعد العوفي و (٣٢) عكرمة مولى ابن عباس و (٣٣) علقمة بن مرثد و (٣٤)

---

(١) في تجريد أسماء الصحابة: عائشة بنت عجرد سمعت ابن عباس في الغسل، قال الدارقطني ليس لها سواه، روى أبو حنيفة عن عثمان بن راشد عنها، وقيل: روى عنها، قال ابن معين: لها صحبة، فشذ ـ انتهى ما في التجريد، أقول: ابن معين إمام حافظ جليل ثقة، ويروي عن الإمام الأعظم ما يدل على أنها صحابية، وزيادة الثقة وتفرده مقبول، فلا يضر شذوذ ابن معين هنا.

علي بن الأقمر و (٣٥) علي بن الحسن الزراد و (٣٦) عمرو بن دينار و (٣٧) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود و (٣٨) قابوس بن أبي ظبيان و (٣٩) القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود و (٤٠) قتادة بن دعامة و (٤١) قيس بن مسلمة الجدلي و (٤٢) محارب بن دثار و (٤٣) محمد بن الزبير الحنظلي و (٤٤) محمد بن السائب الكلبي و (٤٥) أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و (٤٦) محمد بن قيس الهمداني و (٤٧) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري و (٤٨) محمد بن المنكدر و (٤٩) مخول بن راشد و (٥٠) مسلم البطين و (٥١) مسلم الملائي و (٥٢) معن بن عبد الرحمن و (٥٣) مقسم و (٥٤) منصور بن المعتمر و (٥٥) موسى بن أبي عائشة و (٥٦) ناصح بن عبدالله المحملي[١] و (٥٧) نافع مولى ابن عمر و (٥٨) هشام بن عروة و (٥٩) أبي غسان الهيثم بن حبيب الصراف و (٦٠) الوليد بن سريع المخزومي و (٦١) يحيى بن سعيد الأنصاري و (٦٢) أبي حجية يحيى بن عبدالله الكندي و (٦٣) يحيى بن عبدالله الجابر و (٦٤) يزيد بن صهيب الفقير و (٦٥) يزيد بن عبد الرحمن الكوفي و (٦٦) يونس بن عبدالله بن أبي الجهم و (٦٧) أبي جناب الكلبي و (٦٨) أبي حصين الأسدي و (٦٩) أبي الزبير المكي و (٧٠) أبي السوار ويقال: أبو السوداء السلمي و (٧١) أبي عون الثقفي و (٧٢) أبي فروة و (٧٣) أبي معبد مولى ابن عباس و (٧٤) أبي يعفور العبدي رحمة الله عليهم أجمعين.

ذكر الرواة عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى

روى عنه (١) ابراهيم بن طهمان و (٢) الأبيض بن الأغر بن الصباح المنقري و (٣) أسباط بن محمد القرشي و (٤) اسحاق بن يعقوب الأزرق و (٥) اسد بن عمرو البجلي و (٦) اسمعيل بن يحيى الصيرفي و (٧) أيوب بن هانىء الجدلي و (٨) الجارود بن يزيد النيسابوري و (٩) جعفر بن عون و (١٠)

---

(١) ناصح بن عبد الله أو ابن عبد الرحمن التميمي المحملي - أبو عبدالله الحائك صاحب سماك ابن حرب ضعيف، من كبار السابعة التقريب.

الحارث بن نبهان و (١١) حبان بن علي العنزي و (١٢) الحسن بن زياد اللؤلؤي و (١٣) الحسن بن فرات القزاز و (١٤) الحسين بن حسن بن عطية العوفي و (١٥) جعفر بن عبد الرحمن البلخي القاضي و (١٦) حكام بن سلم الرازي و (١٧) أبو مطيع الحكم بن عبد الرحمن البلخي و (١٨) ابنه حماد بن أبي حنيفة[1] و (١٩) حمزة بن حبيب الزيات و (٢٠) خارجة بن مصعب السرخسي و (٢١) داود بن نصير الطائي[2] و (٢٢) أبو الهذيل زفر بن الهذيل التميمي و (٢٣) زيد بن الحباب العكلي و (٢٤) سابق الرقي و (٢٥) سعد بن الصلت قاضي شيراز و (٢٦) سعيد بن أبي الجهم القابوسي و (٢٧) سعيد بن سلام بن الهيفاء العطار البصري و (٢٨) سلم بن سالم البلخي و (٢٩) سليمان بن عمر النخعي و (٣٠) سهل بن مزاحم و (٣١) شعيب بن إسحاق الدمشقي و (٣٢) الصباح بن محارب و (٣٣) الصلت بن الحجاج الكوفي و (٣٤) أبو عاصم الضحاك بن مخلد[3] و (٣٥) عامر بن الفرات القسري و (٣٦) عائذ بن حبيب و (٣٧) عباد بن العوام و (٣٨) عبدالله بن المبارك و (٣٩) عبدالله بن يزيد المقرىء و (٤٠) عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني و (٤١) عبد الرزاق بن همام و (٤٢) عبد العزيز بن خالد الترمذي و (٤٣) عبد الكريم بن محمد الجرجاني و (٤٤) عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد و (٤٥) عبد الوارث بن سعيد و (٤٦) عبيدالله بن عمرو الرقي و (٤٧) عبيدالله بن موسى و (٤٨) عتاب بن محمد بن شوذان و (٤٩)

---

(١) تفقه على أبيه فأفتى في زمنه، وتفقه عليه ابنه إسماعيل، وهو في طبقة أبي يوسف ومحمد وزفر، وكان الغالب عليه الورع والزهد، مات في العام ١٧٠ هـ. الجواهر المضيئة.

(٢) هو الإمام الرباني أبو سليمان الكوفي، كان ممن درس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة، كان محارب بن دثار يقول: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله علينا من خبره مات في العام ١٦٥ هـ.

(٣) من كبار أصحاب الإمام الضحاك بن مخلد أبو عاصم المعروف بالنبيل، قال الذهبي: اجمعوا على توثيق أبي عاصم، وقال عمر بن شبة: والله! ما رأيت مثله، قال البخاري: سمعت أبا عاصم يقول: منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحداً قط، روى له الشيخان، كذا في الجواهر المضيئة، قلت: هو من مشاهير شيوخ البخاري، يروي عنه كثيراً في صحيحه.

علي بن ظبيان الكوفي القاضي و (٥٠) علي بن عاصم الواسطي و (٥١) علي بن مسهر و (٥٢) عمرو بن محمد العنقزي و (٥٣) أبي قطن عمرو بن الهيثم القطني و (٥٤) أبو نعيم الفضل بن دكين[1] و (٥٥) الفضل بن موسى السيناني و (٥٦) القاسم بن الحكم العرني و (٥٧) القاسم بن معن المسعودي و (٥٨) قيس بن الربيع و (٥٩) محمد بن أبان العنبري و (٦٠) محمد بن بشر العبدي و (٦١) محمد بن الحسن بن أنس الصنعاني و (٦٢) محمد بن الحسن الشيباني و (٦٣) محمد بن خالد الوهبي و (٦٤) محمد بن عبدالله الأنصاري و (٦٥) محمد بن الفضل بن عطية و (٦٦) محمد بن القاسم الأسدي و (٦٧) محمد بن مسروق الكوفي و (٦٨) محمد بن يزيد الواسطي و (٦٩) مروان بن سالم و (٧٠) مصعب بن المقدام و (٧١) المعافى بن عمران الموصلي و (٧٢) مكي بن إبراهيم البلخي[2] و (٧٣) أبو سهل نصر بن عبد الكريم البلخي المعروف بالصيقل و (٧٤) نصر بن عبد الملك العتكي و (٧٥) أبو غالب النضر بن عبدالله الأزدي و (٧٦) النضر بن محمد المروزي و (٧٧) النعمان بن عبد السلام الأصبهاني و (٧٨) نوح بن دراج القاضي و (٧٩) أبو عصمة نوح بن أبي مريم و (٨٠) هريم بن سفيان و (٨١) هوذة بن خليفة و (٨٢) الهياج بن بسطام البرجمي و (٨٣) وكيع بن الجراح و (٨٤) يحيى بن أيوب المصري و (٨٥) يحيى بن نصر بن حاجب و (٨٦) يحيى بن يمان و (٨٧) يزيد بن زريع و (٨٨) يزيد بن هارون و (٨٩) يونس بن بكير الشيباني و (٩٠) أبو إسحاق الفزاري و (٩١) أبو حمزة السكري و (٩٢) أبو سعد الصاغاني و (٩٣) أبو شهاب الحناط و (٩٤) أبو مقاتل السمرقندي و (٩٥) القاضي أبو يوسف رحمهم الله تعالى.

ذكر نبذ من أخباره ومناقبه

روى الخطيب في تاريخه عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: لما أردت

---

(١) من كبار شيوخ البخاري.

(٢) روى له أصحاب الصحاح الستة، ثقة ثبت كما ورد، في التقريب. قلت: أكثر ثلاثيات البخاري عنه.

طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل لي: تعلم القرآن! فقلت: إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره؟ قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ فتذهب رياستك! قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني؟ قالوا: إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان، ثم لم تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عاراً عليك في عقبك! فقلت: لا حاجة لي في هذا؛ ثم قلت: أتعلـم النحو فقلت: إذا تعلمت النحو والعربية ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلماً فأكثر رزقك ديناران إلى الثلاثة! قلت: وهـذا لا عاقبة له؛ قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ما يكون من امرى؟ قالوا: تمدح هذا فيهب لك أو يحملك على دابة، أو يخلع عليـك خلعة، وإن حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات! فقلت: لا حاجة لي في هذا؛ قلت: فإن نظرت في الكلام فما يكون آخره؟ قالوا: لا يسلم من نـظر في الكلام من شنعات الكلام فيرمى بالزندقة، فإما أن يؤخذ فيقتل، وإما أن يسلم فيكون مذموماً؛ قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسـأل وتفتي الناس وتـطلب للقضاء وإن كنت شاباً؛ قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته.

وروى الخطيب عن زفر بن الهذيل قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت مبلغاً يشار إليَّ فيه بالأصابع! وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان فجاءتني امرأة يوماً فقالت: لي رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟ فلم أدر ما أقول! فأمرتها أن تسأل حماداً، ثم ترجع فتخبرني، فسألت حماداً فقال: يطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فـإذا اغتسلت فقد حلت لـلأزواج؛ فرجعت فـأخبـرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله فأحفظها، ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطىء أصحابه فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة! فصحبته عشر سنين؛ ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي

وعزمي أن أفعل، فلما دخلت المسجد فرأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالاً، وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه؛ فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليَّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين؛ فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات.

وروى الخطيب عن أحمد بن عبدالله العجلي قال: قال أبو حنيفة: قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب. فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة.

وروى الخطيب عن أبي يحيى الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: رأيت رؤيا فأفزعتني، رأيت كأني أنبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيت البصرة فأمرت رجلاً يسأل محمد بن سيرين، فسأله فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى الخطيب عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: لولا أن الله عز وجل أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس!

وروى الخطيب عن حجر بن عبد الجبار قال: قيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود: ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة؟ قال: لا جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة، وقال القاسم: تعال - يعني إليه! فجاء فلما جاء إليه لزمه وقال: رأيت مثل هذا! وكان أبو حنيفة ورعاً سخياً.

وروى الخطيب عن أحمد بن الصباغ قال: سمعت الشافعي محمد بن ادريس قال: قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته!

وروى الخطيب عن روح بن عبادة قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة وأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وترجع وقال: أيّ علم ذهب!

وروى الخطيب عن ضرار بن صرد قال: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه أبو حنيفة أو سفيان؟ قال: سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه.

وروى الخطيب عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: رأيت أعبد الناس، ورأيت أورع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس! فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد، وأما أورع الناس فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري وأما أفقه الناس فأبو حنيفة؛ ثم قال: ما رأيت في الفقه مثله.

وروى الخطيب عن أبي الوزير المروزي قال: قال عبدالله بن المبارك إذا اجتمع سفيان وأبو حنيفة فمن يقوم لهما على فتيا!

وروى الخطيب عن علي بن الحسن بن شقيق قال: كان عبدالله بن المبارك يقول: إذا اجتمع هذان على شيء فذاك قولي ـ يعني الثوري وأبا حنيفة.

وروى الخطيب عن عبد الرزاق قال: سمعت ابن المبارك يقول: إن كان أحد ينبغي له أن يقول برأيه فأبو حنيفة ينبغي له أن يقول برأيه!

وروى الخطيب عن بشر بن الحارث قال: سمعت عبدالله بن داود قال: إذا أردت الآثار ـ أو قال: الحديث ـ فسفيان وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة.

وروى الخطيب عن محمد بن بشر[1] قال: كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان، فآتي أبا حنيفة فيقول لي: من أين جئت؟ فأقول: من عند سفيان، فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله!

---

(١) في تهذيب التهذيب: محمد بن بشر بن الفرافصة الحافظ العبدي أبو عبدالله الكوفي، روى عن الثوري وشعبة وغيرهما، وروى عنه علي بن المديني وإسحاق بن راهويه وعباس الدوري وغيرهم، قال ابن معين: ثقة، وقال أبو داود: هو أحفظ من كان بالكوفة.

فآتي سفيان فيقول: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض!

وروى الخطيب عن يحيى بن زبان قال: قال لي أبو حنيفة: يا أهل البصرة! أنتم أورع منا، ونحن أفقه منكم.

وروى الخطيب عن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة صاحب غوص في المسائل!

وروى عن محمد بن سعد الكاتب قال: سمعت عبدالله بن داود الخريبي يقول: يجب على أهل الإسلام أن يدعو الله لأبي حنيفة في صلاتهم! قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

وروى الخطيب عن أحمد بن محمد البلخي قال: سمعت شداد بن حكيم يقول: ما رأيت أعلم من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن اسماعيل بن محمد الفارسي قال: سمعت مكي بن ابراهيم[1] ذكر أبا حنيفة فقال: كان أعلم أهل زمانه!

وروى الخطيب عن يحيى بن سعيد القطان يقول: لا نكذب الله! ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله، قال يحيى بن معين: وكان يحيى بن سعيد[2] يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين ويختار قوله من أقوالهم، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

وروى الخطيب عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

---

(١) من كبار شيوخ البخاري، روى أكثر ثلاثياته عنه.

(٢) يحيى بن سعيد القطان البصري الحافظ الحجة أحد أئمة الجرح والتعديل، قال الإمام أحمد: ما رأت عيناي مثله! وقال محمد بن بشار: يحيى بن سعيد إمام أهل زمانه تذهيب التهذيب قلت: وناهيك بشهادته وأخذه بأكثر أقوال الإمام! وهو إمام أئمة المحدثين وشيخ شيوخ أصحاب الصحاح الستة وغيرهم.

وروى الخطيب عن حرملة بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه؛ ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

وروى الخطيب عن حماد بن يونس قال: سمعت أسد بن عمرو يقول: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه؛ وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة.

وروى الخطيب عن حماد بن أبي حنيفة قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: يرحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد بيمينك بالليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء.

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة! لا ينام الليل، قال أبو حنيفة: والله! لا يتحدث علي ما لم أفعل؛ وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً.

وروى الخطيب عن حفص بن عبد الرحمن قال: سمعت مسعر بن كدام[1] يقول: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته، فقرأ سبعاً فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة؛ فنظرت فإذا هو أبو حنيفة!

---

(١) أبو سلمة الكوفي أحد الأعلام الخلاصة ......، قال القطان: ما رأيت مثله، كان من أثبت الناس، وقال شعبة: كان يسمى المصحف لإتقانه، وقال وكيع: شكه كيقين غيره، وفي تهذيب التهذيب: وثقه أحمد وأبو زرعة والعجلي.

وروى الخطيب عن خارجة بن مصعب قال: ختم القرآن في ركعة أربعة من الأئمة: (١) عثمان بن عفان و(٢) تميم الداري و(٣) سعيد بـن جبير و(٤) أبو حنيفة.

وروى الخطيب عن يحيى بن نصر قال: كان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة.

وروى الخطيب عن حبان بن موسى قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: قدمت الكوفة فسألت عن أورع أهلها؟ فقالوا: أبو حنيفة.

وروى الخطيب عن سليمان بن الربيع قال: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: جالست الكوفيين فما رأيت فيهم أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن علي بن حفص البزار قال: كان حفص بـن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة فبعث إليه في رفقة بمتاع وأعلمه أن في ثوب كذا عيباً، فإذا بعته فبين! فباع حفص المتاع ونسي أن يبين ولم يعلم ممن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.

وروى الخطيب عن حامد بن آدم قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: ما رأيت أحداً أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن عبيدالله بن عمرو الرقي قال: كلم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة فأبى عليه.

وروى الخطيب عن مغيث بن بديل قال: قـال خارجـة بن مصعب: أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعي ليقبضها، فشاورني وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب، وإن قبلتها دخل عليَّ في ديني ما أكره، فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دعيت لتقبضها فقل: لم يكن أملي من أمير المؤمنين، فدعي ليقبضها فقال ذلك، فرفع إليه خبره فحبس الجائزة. قال: وكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري.

وروى الخطيب عن محمد بن عبد الملك الدقيقي قال: سمعت يزيد بن هارون[1] يقول: أدركت الناس فما رأيت أحداً أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبي حنيفة.

وروى الخطيب عن محمد بن عبدالله الأنصاري قال: كان أبو حنيفة يتبين عقله في منطقه ومشيه ومدخله ومخرجه.

وروى الخطيب عن حجر بن عبد الجبار قال: ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة ولا إكراماً لأصحابه.

وروى الخطيب عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان لنا جار طحان رافضي، وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر، والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحدهما فقتله، فأخبر أبو حنيفة فقال: انظروا البغل الذي رمحه تجدوه الذي سماه عمر! فنظروا فكان كذلك.

وروى الخطيب عن سليمان بن أبي سلم قال: قال مساور الوراق أبياتاً في أبي حنيفة فلقيه أبو حنيفة فقال: هجوتنا! نحن نرضيك، فبعث إليه بدراهم فقال:

إذا ما أهل مصر ما دهونا	بداهية من الفتيا لطيفة
اتيناهم بمقياس صحيح	صليب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه به حواه	وأثبته بحبر في صحيفة

وروى الخطيب عن محمد بن أحمد بن يعقوب قال: حدثنا جدي قال: أملى عليَّ بعض أصحابنا أبياتاً مدح بها عبدُالله بن المبارك أبا حنيفة:

رأيت أبا حنيفة كل يوم	يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه	إذا ما قال أهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب	فمن ذا يجعلون له نظيرا

(١) أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، روى عنه الإمام أحمد وابن المديني، قال أحمد: كان حافظاً متقناً، وقال أبو حاتم: إمام لا يسأل عن مثله مات في العام ٢٠٦ هـ. . قلت: وهو من كبار شيوخ البخاري وأصحاب الصحاح فانظر! كيف يمدح الإمام ويفضل على من رأى من العلماء الأعلام.

كفانا فقه حماد وكانت مصيبتنا به أمراً كبيرا
فرد شماتة الأعداء عنا وأبدى بعده علماً كثيرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى ويطلب علمه بحراً غزيرا
إذا ما المشكلات تدافعتها رجال العلم كان بها بصيرا

وروى الخطيب عن ابن أبي داود قال: الناس في أبي حنيفة جاهل به وحاسد له.

وروى الخطيب عن ابن أبي داود قال: الناس في أبي حنيفة حاسد وجاهل، وأحسنهم عندي حالاً الجاهل.

وروى الخطيب عن عبد العزيز بن أبي داود، عن وكيع قال: دخلت على أبي حنيفة فرأيته مطرقاً متفكراً، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند شريك ـ وأظنه كان بلغه عنه شيء، فرفع رأسه وأنشأ يقول:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما مجدوا

وروى الخطيب عن أحمد بن عبد قاضي الري قال: كنا عند ابن أبي عائشة فذكر حديثاً لأبي حنيفة فقال بعض من حضر: لا نريده، فقال لهم: أما أنكم لو رأيتموه لأردتموه! وما أعرف له ولكم مثلاً إلا ما قال الشاعر:

اقلوا عليهم ويلكم لا أبا لكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وروى الخطيب عن يحيى بن الضريس قال: سمعت سفيان وأتاه رجل فقال: سمعت أبا حنيفة يقول: آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم، وما أخرج من قولهم إلى قول غيرهم؛ فأما إذا انتهى الأمر وجاء إلى إبراهيم والشعبي، وابن سيرين، والحسن، وعطاء، وسعيد بن المسيب ـ وعدد رجالاً ـ فقوم اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا.

وروى أبو عبدالله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي في مقدمة مسنده أن محمد بن سلمة قال: قال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه.

وروى أيضاً عن محمد بن حفص عن الحسن بن سليمان أنه قال في تفسير حديث «لا تقوم الساعة حتى يظهر العلم» قال: هو علم أبي حنيفة وتفسيره الآثار.

وروى أيضاً عن سعيد بن منصور قال: سمعت فضيل بن عياض[1] يقول: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، مصروفاً بالإفضال على كل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام حتى ترد مسألة في حرام أو حلال، وكان يحسن البذل على الحق، هارباً من مال السلطان، وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، وإن كان عن الصحابة والتابعين وإلا قاس فأحسن القياس.

وروى أيضاً عن أبي عبيد قال: سمعت الشافعي يقول: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه! فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه.

وروى أيضاً عن وكيع قال: كان والله! أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً عظيماً كبيراً، وكان يؤثر رضى ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ـ رحمه الله ورضي عنه رضى الأبرار ـ فلقد كان منهم.

وروى أيضاً عن الحسن بن الحارث قال: سمعت النضر بن شميل يقول: كان الناس نيام في الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه.

---

(١) أورده صاحب الخلاصة فقال: أبو علي الخراساني الزاهد شيخ الحرم، وأحد أئمة الهدى والسنة، روى عنه السفيانان، وابن المبارك، ويحيى القطان، قال النسائي: ثقة مأمون، وقال ابن سعد: كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث، مات بمكة سنة ١٨٧ هـ. وفي الجواهر المضيئة: ذكر الصيمري أنه أحد من أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة، وروى عنه الإمام الشافعي، فأخذ عن إمام عظيم عنه إمام عظيم.

وروى أيضاً عن ابن المبارك قال: رأيت مسعراً في حلقة أبي حنيفة وهو جالس بين يديه يسأله ويستفهم منه! وما رأيت أحداً تكلم في الفقه أحسن من أبي حنيفة.

وروى أيضاً عن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه.

وروى أيضاً عن عبد الرزاق قال: كنت عند معمر[1] فأتاه ابن المبارك فسمعت معمراً يقول: ما أعرف رجلاً يحسن التكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويشرح الحديث في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله شيئاً من الشك مثل أبي حنيفة.

وروى أيضاً عن بشر بن الحارث قال: سمعت ابن أبي داود يقول: لا يتكلم في أبي حنيفة إلا رجلان: إما حاسد لعلمه، وإما جاهل بالعلم لا يعرف قدر حملته، لقد سمعت أبا معاوية الضرير يقول: كنت عند هارون فأطعمت شيئاً من الحلو، ثم أتى بماء وطست فصب على يدي من الماء، ثم قال: تدري من يصب على يدك الماء؟ قلت: لا، قال: أمير المؤمنين إجلالاً للعلم، فقلت: أكرمك الله كما أكرمت العلم.

وروى عن بشر بن موسى قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء وكان إذا حدثنا عن أبي حنيفة قال: حدثنا شاهنا.

وروى أيضاً عن ابن أبي أويس قال: سمعت الربيع يقول: دخل أبو حنيفة يوماً على المنصور وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور: هذا عالم الدنيا اليوم، فقال له: يا نعمان! عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن

---

(١) ورد في الخلاصة تعريفاً له: معمر بن راشد الأزدي، أحد الأعلام، روى عن الزهري وخلق، وعنه سفيان الثوري وابن المبارك وخلق، قال العجلي: ثقة صالح، وقال النسائي: ثقة مأمون، روى له أصحاب الصحاح. مات سنة ١٥٣ هـ.

أصحاب علي عن علي، وعن أصحاب عبدالله عن عبدالله[1]، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه؛ قال: لقد استوثقت لنفسك.

وروى أيضاً عن يحيى الحماني قال: سمعت ابن المبارك يقول: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبدالله! ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدواً له قط، قال: هو ـ والله! أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

وروى عن ابن المبارك قال: رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول: والله! ما أدركنا أحداً يتكلم في الفقه أبلغ، ولا أخصر جواباً منك، وإنك لسيد من تكلم فيه في وقتك غير مدافع، وما يتكلمون فيك إلا حسداً.

وروى أيضاً عن مسعر بن كدام قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده فرأيته يصلي بالغداة، ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر جلس الى المغرب، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء؛ فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة لأتعاهدنه، فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب إلى الصلاة إلى أن طلع الفجر، ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج إلى المسجد وصلى الغداة فجلس للناس إلى الظهر، ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء؛ فقلت في نفسي: إن الرجل قد ينشط الليلة لأتعاهدنه الليلة فتعاهدته، فلما هدأ الناس خرج فانتصب للصلاة ففعل كفعله في الليلة الأولى، فلما أصبح جلس كذلك ثم خرج إلى الصلاة وفعل كفعله في يوميه؛ حتى إذا صلى العشاء قلت في نفسي: إن الرجل قد ينشط الليلة والليلتين لأتعاهدنه الليلة، ففعل كفعله في ليلتيه، فلما أصبح جلس كذلك؛ فقلت في نفسي: لألزمنه إلى أن يموت أو أموت، فلازمته في مسجده؛ وقال ابن أبي معاذ: فبلغني أن مسعراً مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده رحمة الله عليه.

---

(١) لعل المراد به عبدالله بن عباس أو عبدالله بن مسعود كما هو المعتاد عند المحدثين والفقهاء فترك ذكر عبد الله بن عباس عن الناسخ أو عن الراوي والله أعلم.

وروى أيضاً عن أبي الجويرية قال: لقد صحبت حماد بن أبي سليمان وعلقمة بن مرثد، ومحارب بن دثار، وعون بن عبدالله، وصحبت أبا حنيفة فلم يكن في القوم أحسن ليلاً من أبي حنيفة، لقد صحبته ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه فيها.

وروى أيضاً عن أبي حمزة السكري قال: سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم نحل عنه الى غيره وأخذنا به، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم.

وروى أيضاً عن أبي غسان قال: سمعت إسرائيل يقول: كان نعم الرجل النعمان! ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه فأكرمه الخلفاء والأمراء والوزراء، وكان إذا ناظره رجل في شيء من الفقه همته نفسه، ولقد كان مسعر يقول: من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف ولا يكون فرط في الاحتياط لنفسه.

وروى أيضاً عن الحارث بن إدريس قال: قال أبو وهب العامري: قل من لا يرى المسح على الخفين أو يقع في أبي حنيفة إلا ناقص العقل.

وروى أيضاً عن أبي بكر بن عياش قال: مات عمر بن سعيد أخو سفيان فأتيناه نعزيه فإذا المجلس غاص بأهله، وفيهم عبدالله بن إدريس إذ اقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه سفيان تحول له من مجلسه ثم قام فاعتنقه وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه، فقلت له: يا أبا عبدالله! رأيتك اليوم فعلت شيئاً أنكرته وأنكره أصحابنا عليك، قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة فقمت إليه وأجلسته في موضعك وصنعت به صنيعاً بليغاً، فقال: وما أنكرت من ذاك؟ هذا رجل من العلم بمكان! فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه، فأفحمني[1] فلم يكن له عندي جواب.

---

(١) أسكته بالحجة في خصومه.

وروى أيضاً عن نعيم بن حماد قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى الـرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخترنا ولم نخرج من قولهم؛ وإذا كان عن التابعين زاحمناهم.

وروى أيضاً عن علي بن يزيد الصدائي قال: رأيت أبا حنيفة ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ختمة بالليل، وختمة بالنهار.

وروى أيضاً عن أبي يحيى الحماني عن بعض أصحاب أبي حنيفة أنه كان يصلي الفجر بوضوء العشاء، وكان إذا أراد أن يصلي من الليل تزين وسرح لحيته.

وروى من كتاب الحافظ أبي بكر محمد بن عمر الجعابي[1] عن إسحاق بـن البهلول قال: قال سفيان بن عيينة: سمعت شقيق بن عتيبة يقول: ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة.

وروى منه أيضاً عن عفان بن مسلم قال: سمعت حماد بن سلمة وذكر أبا حنيفة فقال: من أحسن الناس فتوى.

وروى منه أيضاً عن اسماعيل بن عياش قال: سمعت الأوزاعي[2] والعمري يقولان: أبو حنيفة أعلم الناس بمعضلات المسائل.

وروى منه أيضاً عن يزيد بن هارون قال: وددت أني كتبت عن أبي حنيفة كذا وكذا مسألة.

وروى من تاريخ بخارا عن غنجار عن علي بن عاصم قال: لو وزن عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم.

---

(١) محدث مشهور.

(٢) عبد الرحمن بـن عمرو الأوزاعي أبوعمرو الشامي الإمام العلم، قال ابن مهدي: إمام، وقال ابن سعد: كان ثقة، مأموناً، فاضلاً، خيراً، كثيـر الحديث والعلم والفقـه، مات في العـام ١٥٧ هـ. فـي إحدى ضواحي مدينة بيروت.

وروى منه أيضاً عن نعيم بن عمر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: عجباً للناس يقولون: إني أفتي بالرأي! ما أفتي إلا بالأثر.

وروى منه أيضاً عن أسد بن عمرو قال: سمعت أبا حنيفة يقول: ما بقي في القرآن سورة إلا وقد قرأت في وتري بها.

وقال ابن خسرو: سمعت أبا القاسم علي بن الحسين بن عبدالله الشافعي يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان النحوي يقول: من رزقه الله فهماً لمذهب أبي حنيفة، ونحو الخليل: رأى منهما الآية الباهرة والحكمة المعجزة واستنار في قلبه، إن الله لم يخص بهما إلا منهج الحق وشرعة الصدق.

وقال ابن خسرو: أنشدني القاضي أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد قال: أنشدنا الأستاذ الأديب أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد لنفسه:

حسبي من الخيرات ما أعددته ... يوم القيامة في رضى الرحمن

دين النبي محمد خير الورى ... ثم اعتقادي مذهب النعمان

وروى الخطيب في كتاب المتفق والمفترق عن محمد بن ثابت الأحول قال: سمعت أسيد بن أبي أسيد الحارثي تعجب من حضور جواب أبي حنيفة وقياسه قال: أخذ الحجام شعرة فقال: القط هذه الشعرات البيض! فقال الحجام: لا تلقطها فإنك إن لقطتها كثرت، فقال أبو حنيفة: إن كانت البيض تكثر إذا لقطت فالقط السود إذن حتى تكثر.

وروى صاحب كتاب العقلاء[1] بسنده عن محمد بن يحيى القصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكاً ليوليهم القضاء فقال أبو حنيفة: أخمن فيكم تخميناً، أما أنا فأحتال فأتخلص، وأما مسعر فيتجانن فيتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك فيقع؛ فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة: أنا رجل مولى، ولست من العرب، والعرب لا ترضى بأن يكون عليهم مولى، ومع ذلك فإني لا

---

(١) ابن عبد البر يوسف بن عبدالله القرطبي مات في العام ٤٦٣ هـ. كشف الظنون.

أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قولي فلست أصلح، وإن كنت كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروجهم.

وأما سفيان فأدركه شخص في طريقه فذهب لحاجته وانصرف الشخص ينتظر فراغه، فبصر سفيان بسفينة فقال للملاح: إن أمكنتني من سفينتك وإلا أذبح، تأول قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين» فأخفاه الملاح تحت الباري.

وأما مسعر فدخل على المنصور فقال له: هات يدك! كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال: أخرجوه! فإنه مجنون.

وأما شريك فتقلد، فهجره الثوري وقال: أمكنك الهرب فلم تهرب.

وروى أبو المظفر السمعاني في كتاب الانتصار وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف! وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وروى الهروي عن محمد بن الحسن قال: قال أبو حنيفة: لعن الله عمرو بن عبيد! فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام، قال: وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام.

وفي تاريخ ابن خلكان كان أبو حنيفة عالماً، عاملاً، زاهداً، ورعاً، تقياً، كثير الخشوع، دائم التضرع إلى الله تعالى؛ أراد المنصور أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع بن يونس الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف! فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدر على كفارة أيمانه مني، وأبى أن يلي في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله! ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله، والله! ما أنا مأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب! ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبت،

أنت تصلح لذلك، فقال: قد حكمت على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب! قال: وكان أبو حنيفة حسن الوجه، ربعة، وقيل: وكان طُوالاً يعلوه سمرة.

وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة؛ على هذا أدركت الناس.

وقال جعفر بن الربيع: أقمت عند أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن الفقه نفح، وسال كالوادي؛ وسمعت له دوياً وجهارة بالكلام.

وقال عبدالله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه، أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم؛ وكان أبو حنيفة يسمع جلبته[1] كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس[2] منذ ليالي وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له! وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط! ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له من مجلسه وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يا أمير المؤمنين! مُر بتخليته! قال: نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فقال له أبو حنيفة: يا فتى! أضعناك، فقال: لا. بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق! وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

---

(١) الجَلَب اختلاط الأصوات والصياح.

(٢) العسس: جمع عاس والعسس الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

وقال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوي لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل، فتحيروا، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع؛ فأكلوا الشواء بالخل فقالوا: تحسن علم كل شيء! فقال: عليكم بالسير! فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم!

وقال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور ـ وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين! هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين! إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف ذلك؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم؛ فضحك المنصور وقال: يا ربيع! لا تتعرض لأبي حنيفة! فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تُشيط[1] بدمي! فقال له: ولكنك أردت أن تشيط بدمي! فتخلصت نفسي.

وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور، وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة! إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمر بضرب عنق الرجل لا ندري ما هو يسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس! أمير المؤمنين يضرب بالحق أم بالباطل؟ قال: بالحق، قال: انفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه! ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوبقني فربطته.

وقال يزيد بن الكميت: قرأ بنا علي بن الحسن ليلة في العشاء الأخيرة سورة إذا زلزلت، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي

---

(١) أشاط بدمه: عرّضه للقتل وأهدر دمه.

حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل فرجعت وهو يقول: يامـن يجزي بمثقال ذرة خير خيراً! ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً! أجِرْ النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء! وأدخله في سعة رحمتك! قال: فأذنت فإذا القنديل يزهر وهو قائم! فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقيمت الصـلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين من الهجرة، وقيل: سنة إحدى وستين، والأول أصح؛ وتوفي في رجب ـ وقيل: في شعبان ـ سنة خمسين ومائة، وقيل: لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة المذكورة، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: ثلاث وخمسين؛ وقيل: إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكانت وفاته ببغداد، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور يُزار[1] ـ انتهى ما أورده ابن خلكان. زاد الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب[2]: وصلى عليه ست مرات ولم يقدر على دفنـه إلى العصر من كثـرة الزحام.

وفي كتاب غاية الاختصار في مناقب الأربعة ائمـة الأمصار روي عن ابن المبارك أنه قال: ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة! فقد كنا يوماً في المسجد الجامع فسقطت حية فوقعت في حجر أبي حنيفة وهرب الناس غيره، وما رأيته زاد على أن نفض الحية وجلس مكانه!

---

(١) في مقدمة الهداية صح أن الإمام لما أحس بالموت سجد فمات وهو ساجد ـ رضي الله عنه وعن تابعيه.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي المتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة، وهو كتاب كبير لم يؤلف مثله، ولا يظن أن يستطاع، قيل: إنه لم يكمله وكمله علاء الدين مغلطاي، ومختصر تهذيب الكمال للحافظ ابن حجر العسقلاني وهو كبير في ست مجلدات ـ من كشف الظنون ملخصاً.

وعن سلمة بن نسيب قال: كان عبد الرزاق يقول: كنت إذا رأيت أبا حنيفة بانت آثار البكاء في عينيه وفي خديه.

وعن سهل بن مزاحم قال: كنا ندخل على أبي حنيفة فلا نرى في بيته شيئاً إلا البواري[1]، وكان أبو يوسف يقول: كان أبو حنيفة خلفاً ممن مضى، ما خلف والله! على وجه الأرض خلفاً مثله.

وعن يزيد بن الكميت قال: سمعت أبا حنيفة وقد ناظره رجل في مسألة فقال: غفر الله لك! الله يعلم مني خلاف ما قلت، وهو يعلم اني ما عدلت به أحداً منذ عرفته، ولا رجوت إلا عفوه، ولا خفت إلا عقابه، ثم بكى عند ذكر العقاب فسقط صريعاً، ثم أفاق، فقال الرجل: اجعلني في حل! قال: كل من قال ما ليس فيّ من أهل الجهل فهو في حل، ومن قال شيئاً مما ليس فيّ من أهل العلم فهو في حرج، فإن غيبة العلماء تبقى شيئاً بعدهم.

وعن الدراوردي قال: رأيت مالكاً وأبا حنيفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة العشاء الأخيرة وهما يتذكران ويتدارسان حتى إذا رمى أحدهما على الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعسف ولا تخطئة لواحد منهما حتى صليا الغداة في مجلسهما ذلك.

وعن منصور بن هاشم قال: كنا عند عبدالله بن المبارك بالقادسية إذ جاءه رجل من أهل الكوفة فوقع في أبي حنيفة فقال له عبدالله: ويحك! أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة على وضوء واحد! وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة! وتعلمت الفقه الذي عندي من أبي حنيفة.

وعن سويد بن سعيد المروزي قال: سمعت ابن المبارك يقول:

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفة
بآثار وفقه في حديث ... كآثار الرموز على الصحيفة

---

(١) البُورِية والبورياء: الحصير المنسوج من القصب.

فما في المشرقين له نظير ولا بالمغربين ولا بكوفة
رأيت القامعين له سفاهاً خلاف الحق مع حجج ضعيفة

وقال أبو القاسم غسان بن محمد بن عبدالله بن سالم التميمي في أبي حنيفة:

وضع القياس أبو حنيفة كله فأتى بأوضح حجة وقياس
والناس يتبعون فيها قوله لما استبان ضياؤه للناس
أفدى الإمام أبا حنيفة ذا التقى من عالم بالشرع والمقياس
سبق الأئمة فالجميع عياله فيما تحراه بحسن قياس

وفي كتاب آخر في مناقب الأئمة الأربعة: دفن رجل مالاً في موضع ثم نسي موضع دفنه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال: ليس بفقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة! فإنك ستذكر دفينتك؛ ففعل الرجل فذكره قبل ربع الليل، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك، ويحك! فهلا أتممت ليلتك شكراً لله تعالى! وقال بعضهم:

الفقه منا إن أردت تفقهاً والجود والمعروف للمنتاب
وإذا ذكرت أبا حنيفة فيهم خضعت له في الرأي كل رقاب

وقال أبو المؤيد موفق بن أحمد المكي:

هذا مذهب النعمان خير المذاهب كذا القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى فمذهبه لا شك خير المذاهب

وقال بعضهم:

أيا جبلي نعمان إن حصاكما لتحصى وما تحصى فضائل نعمان

وقال بعض من جمع مسند أبي حنيفة: من مناقب أبي حنيفة التي انفرد بها أنه أول من دون علم الشريعة ورتبه أبوابا، ثم تابعه مالك بن أنس في ترتيب الموطأ، ولم يسبق أبا حنيفة أحد، لأن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لم

يضعوا في علم الشريعة أبواباً مبوبة ولا كتباً مرتبة، وإنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم، فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشراً، وخاف عليه الضياع دونه فجعله أبواباً وبدأ بالطهارة ثم بالصلاة، ثم بسائر العبادات، ثم المعاملات، ثم ختم الكتاب بالمواريث، وإنما بدأ بالطهارة والصلاة لأنهما أهم العبادات، وإنما ختم الكتاب بالمواريث لأنها آخر أحوال الناس، وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط؛ ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.

وقال أبو سليمان الجرجاني: قال لي أحمد بن عبدالله قاضي البصرة: نحن أبصر بالشروط من أهل الكوفة، فقلت له: إن الانصاف بالعلماء أحسن، إنما وضع هذا أبو حنيفة فأنتم زدتم ونقصتم وحسنتم الألفاظ ولكن هاتوا بشروطكم وشروط أهل الكوفة قبل أبي حنيفة! فسكت ثم قال: التسليم للحق لعمري أولى من المجادلة بالباطل.

قال الطبراني في المعجم الأوسط: ثنا عبدالله بن أيوب القزي ثنا محمد بن سليمان الذهلي ثنا عبد الوارث بن سعيد قال: قدمت الكوفة فوجدت أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة، فسألت أبا حنيفة قلت: ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً؟ قال: البيع باطل والشرط باطل؛ ثم اتيت ابن أبي ليلى فسألته فقال: البيع جائز والشرط باطل، ثم أتيت ابن شبرمة فسألته فقال: البيع جائز والشرط جائز، فقلت: سبحان الله! ثلاثة من فقهاء العراق اختلفوا عليّ في مسألة واحدة، فأتيت أبا حنيفة فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيع وشرط؛ البيع باطل والشرط باطل. ثم أتيت ابن أبي ليلى فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا.

حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أشتري بريرة فأعتقها؛ البيع جائز والشرط باطل. ثم أتيت ابن شبرمة فأخبرته فقال: لا أدري ما قالا، حدثني مسعر بن كدام

عن محارب بن دثار عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: بعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناقة وشرطت حملانها إلى المدينة؛ البيع جائز والشرط جائز.

قال الطبراني في الأوسط: حدثنا أحمد، حدثنا أبو سليمان الجوزجاني، حدثنا محمد بن إسحاق عن أبي حنيفة، عن بلال، عن وهب بن كيسان، عن جابر ابن عبدالله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد والتكبير كما يعلمنا السورة من القرآن. قال الطبراني: لم يروه عن وهب إلا بلال. تفرد به أبو حنيفة.

وقال الطبراني: حدثنا عثمان، حدثنا إبراهيم، حدثنا اسماعيل عن أبي حنيفة، عن حماد بن أبي سليمان، ، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا أراد أحدكم أمراً فليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب؛ اللهم! إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنيائي وعاقبة أمري فقدره لي! وإن كان غير ذلك خيراً لي فاهد لي الخير، حيث كان واصرف عني الشر حيث كان، وأرضني بقضائك».

وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن سويد الحنفي قال: سألت أبا حنيفة وكان لي مكرماً قلت: أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام: الخروج إلى ألغزاة أو الحج؟ قال: غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة.

تمّ والحمدلله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس